بولس سلامة

عيد الغدير

الشركة العالمية للكتاب

عید الغدیر

عيد الغدير

جميع الحقوق محفوظة © 1999 للشركة العالميّة للكتاب ش. م. ل. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادّته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت «الكترونيّة» أو «ميكانيكيّة»، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدّماً.

صفّ وإخراج A&T Graphics

تحرير د. يوسف البقاعي

طبع في لبنان

عيد الغدير، بولس سلامة، الطبعة الثانية
ISBN 1-894319-22-2

لمزيد من المعلومات الاتصال بالشركة العالمية للكتاب
ص. ب. 3176 بيروت لبنان
فاكس : 351226 (1 -961)
Web page: http: // www.arabook.com
E-mail: info@arabook.com

بولس سلامة

عيد الغدير

الشركة العالمية للكتاب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرست

العنوان	الصفحة
تصدير	٧
صَلاة	١١
الجاهِلِيَّة	١٣
قريش	١٥
هاشم	١٦
عَبْد المطّلِب	١٨
صَلاة الاسْتِسقاء	١٩
مَولد محمَّد	٢١
أبو طالب	٢٤
البِعثَة	٢٦
مَولد عَليّ	٢٧
فجر الاسْلام	٢٩
هجرة الرسُول	٣٢
هجرة عَليّ	٣٤
عَليّ في يَثرب	٣٦
حِلم عَاتِكة	٣٩
بَدْر	٤٣
زوَاج عَليّ	٤٧
أحُد	٥٠
الخَنْدَق	٥٧
خَيْبَر	٦١
وادي الرمل وَالطائِف وزبير	٦٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

العنوان	الصفحة
حُنَين	٧٠
أهلُ البَيْت	٧٤
يَوم الغَدير	٧٨
وفَاة الرسُول (ص)	٨٤
عثمانُ بن عَفّانِ	٨٩
أبو ذَرٍّ الغفاري	٩٧
خِلافَة عَليّ	١٠٤
يوم الجمَل	١٠٩
صِفّين	١١٦
التحكيم وَالخوارج	١٢٣
الحُلم الأخير	١٢٩
رثاء أمير المؤمنين	١٣٤
مُعَاوِيَة	١٣٨
يَزيد بن معاوِيَة	١٤٩
الدعوة لِلحُسَين	١٥٤
مُسْلِم في الكوفة	١٥٨
أصحابُ مُسْلِم	١٦٥
مَصرَع مُسْلِم	١٧٠
رحيلِ الحُسَين	١٧٧
في كربَلاء	١٨٢
بِمَ تستحلُّون دمي	١٨٨
الوقيعَة	١٩٥
الساعة الرهيبة	٢٠٠
غِبّ الوقيعَة	٢١١
التطواف	٢١٧
الخاتمة	٢٢٣

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تصدير

نشرت مجلة الأديب الغراء في خلال سنة ١٩٤٧ إحدى قصائدي القديمة (حمدان البدوي). وكأن طريقتي في سرد تلك القصة المنظومة لفتت الأدباء، فتمنى عليَّ فضيلة العلاَّمة الشيخ عبدالله العلايلي في العدد نفسه أن أنظم (أيام العرب) في ملحمة لافتقار الأدب العربي إلى الملاحم. وفي أعقاب خريف سنة ١٩٤٧ اقترح عليَّ حضرة الإمام الشريف، صاحب السماحة : السيد عبد الحسين شرف الدين

نظم (يوم الغدير) فتزاحمت عليَّ الفِكَر وأيقظت كوامن الوجدان وتآلفت كما تتآلف المويجات على صفحات اليمّ، ثم تتكشف عن أمواج ترفضّ على الشاطئ، فصحَّت عزيمتي على نظم ملحمة عنوانها (عيد الغدير).

غير أن العنوان لا يستوعب الموضوع فليس (حديث الغدير) سوى فصل من هذا الكتاب الذي مداره (أهل البيت) في أهم ما يتصل بهم من الجاهلية إلى ختام مأساة كربلاء.

ولا يخفى أن في ذلك نشراً لناحية عظمى من التأريخ العربي.

وإن العروبة المستيقظة اليوم في صدور أبنائها، من المغرب الأقصى إلى آخر جزيرة العرب، لأحوج ما تكون إلى التمثُّل بأبطالها الغابرين، وهم كُثُر، على أنه لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعليّ من البطولة والعلم والصلاح. ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين. فقد عاش الأب للحق وجرّد سيفه للذياد عنه منذ يوم بدر، واستشهد الابن في سبيل الحرية يوم كربلاء، ولا غرو فالأول ربيب محمد، والثاني فلذة منه.

ولما عزمت على النظم انصرفت إلى درس المراجع التاريخية ولكنني قطعًا للظن والشبهات ـ قلّما اعتمدت مؤرخي الشيعة بل الثقات من أهل السنة ـ الذين عصمهم الله من فتنة الأمويين ـ وتقيَّدت بالتاريخ جهد الاستطاعة، فلو تقيدت أكثر مما فعلت لكنت

كاتبًا بالعدل يُخضع التاريخ للقوافي.

ومع الانطلاق الشعريّ الذي حاولته فلقد بقيت مغلول الجناحين لا أستطيع أن أخلع على الواقعات من الفن إلا بمقدار، ذلك أن الملاحم تدور على الأساطير حيث يسبح الشاعر ولا رقيب عليه إلا ذوقه، وكتابي هذا محوره التاريخ، والتاريخ حرام على الخيال حتى في الحوادث العادية فكيف به عندما يستند معظمه إلى الأحاديث النبوية؟.

وجعلت للكتاب هامشًا يُسهّل للقراء ـ وعلى الأخص غير المسلمين منهم ـ تفهُّم الكتاب، ولم أفسّر من الألفاظ إلا عسيرها، ولقد تنكبت عن استعمال الغريب، غير محجم عن تناول بعض الألفاظ المهجورة الخفيفة على السمع واللسان، لئلا تُمنى هذه العوانس بعزوبة دائمة، ولئلا يبقى مدار اللغة الشعرية في أواسط القرن العشرين مقصوراً على طائفة من الألفاظ.

كما أنني قد تَصديت لبعض القضايا الفكرية فوضعت على لسان مسلم بن عقيل مشكلة الشر مثلاً، وأرسلت في كثير من المواضع آراء اجتماعية فبسطت الرأي في الحرية والثورة في معرض الكلام على عثمان وأبي ذرّ الغفاري، وإنها آراء تصلح لكل زمان ومكان لأنها في صعيد المطلق، ولكنني في ذلك كله لم أبتعد عن السرد ـ وهو لحمة الملحمة وسداها ـ إلا بمقدار.

فإذا عدلت عنه قليلاً فلا ألبث أن أعود إليه. وقد يكون التفلت منه إقبالاً عليه من شرفة أخرى، فالمقطع الخاص بأهل البيت مثلاً يبدو في ظاهره مدحًا مجرداً وهو في حقيقته سرد للأحاديث النبوية المتعلقة بالعترة الطاهرة.

ولقد أدمجت في الملحمة بعض قصيدتي (علي والحسين) فنقلت مالي من اليد اليسرى إلى اليمنى. وقد اقتضاني تأليف هذا الكتاب ستة أشهر، ثلاثة منها لدرس الموضوع تأريخًا وثلاثة للنظم، تخللها ما قد تخللها من الألم الممضّ الذي يذهل البصيرة، فكنت أختلس الوقت اختلاسًا من الفترات التي يهادنني فيها الألم.

وربَّ قارئ قد حسبني متحاملاً على بني أمية، ويعلم الله أني لم أقل فيهم إلا ما أجمعت عليه السير النبوية، ومؤرخو الإسلام كأبي الفداء، والمسعودي، والطبري، وابن الأثير، وابن خلكان وما أقرَّه الأدباء المعاصرون، وقد أشرت إلى المراجع في الهوامش ليكون الكلام عن بيّنة. ولا ريب أن الأمويين شادوا في الشرق والغرب حضارة لها

مكانتها الشامخة في عين من ينظر إلى الدنيا، ولكنني قست بالمقاييس الروحية، وأن قصور العالم جميعًا لا تعادل في كفة الفضيلة جناح بعوضة. فإن سقراط الفيلسوف الخيّر الذي كان يمشي حافيًا في أسواق أثينا لأجلّ قدراً في ميزان القيم الروحية من الإسكندر على عرشه ومن كسرى أنو شروان في إيوانه.

ورُبَّ معترض قال : ما بال هذا المسيحي يتصدى لملحمة إسلامية بحتة؟ أجل إنني مسيحي ولكن التاريخ مشاع للعالمين.

أجل إني مسيحي ينظر من أفق رحب لا من كوَّة ضيقة، فيرى في غاندي الوثني قديسًا، مسيحي يرى (الخلق كلهم عيال الله) ويرى أن (لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى).

مسيحي ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمسًا كل يوم. رجل ليس في مواليد حواء أعظم منه شأنًا، وأبعد أثراً، وأخلد ذكراً. رجل أطلّ من غياهب الجاهلية فأطلّت معه دنيا أظلها بلواءٍ مجيد، كُتب عليه بأحرف من نور : لا إله إلاّ الله إ الله أكبر!

قد يقول قائل، ولمَ آثرت عليًّا دون سواه من أصحاب محمد (ﷺ) بهذه الملحمة؟

ولا أجيب عن هذا السؤال إلاّ بكلمات فالملحمة كلها جواب عليه، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون : (رضي الله عنه، وكرّم وجهه، وعليه السلام) ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه، ويتمثّل به الزهّاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقنوتًا، وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ويتطلّع إليه الكاتب الألمعي فيأتمّ ببيانه، ويعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه.

أما الخطيب فحسبه أن يقف على السفح، ويرفع الرأس إلى هذا الطود لتنهلّ عليه الآيات مِنْ عَلُ، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسّخ قواعده أبو الحسن إذ دفعها إلى أبي الأسود الدؤلي فقال : انحُ هذا النحو. وكان علم النحو. ويقرأ الجبان سيرة علي فتهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة، إذ لم تشهد الغبراء، ولم تظل السماء أشجع من ابن أبي طالب، فعلى ذلك الساعد الأجدل اعتمد الإسلام يوم كان وليداً، فعليّ هو بطل بدر وخيبر والخندق وحُنَين ووادي الرمل والطائف واليمن.

وهو المنتصر في صفين، ويوم الجمل، والنهروان، والدافع عن الرسول يوم أُحُد، وقيدوم السرايا ولواء المغازي.

وأعجب من بطولته الجسدية بطولته النفسية، فلم يُرَ أصبر منه على المكاره، إذ كانت حياته موصولة الآلام منذ فتح عينيه على النور في الكعبة حتى أغمضهما على الحق في مسجد الكوفة.

وبعد، فَلِم تسائلني بأبي الحسن؟ أولم تقم في خلال العصور فئات من الناس تؤلّه الرجل؟ ولا ريب أنها الضلالة الكبرى، ولكنها ضلالة تدلك على الحق إذ تدلك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى.

ولم يستطع خصوم عليّ أن يأخذوا عليه مأخذاً فاتهموه بالتشدّد في إحقاق الحق، أي انهم شكوا كثرة فضله فأرادوه دنيويًّا يماري ويداري، وأراد نفسه روحانيًّا رفيعاً يستميت في سبيل العدل، لا تأخذه في سبيل الله هوادة. وإنما الغضبة للحق ثورة النفوس القدسية، التي يؤلمها أن ترى عوجاً.

أولم يغضب السيد المسيح وهو الذروة في الوداعة والحلم، ويوم دخل الهيكل فوجد فيه باعة الحمام والصيارف المرابين فأخذ بيده السوط وقلب موائدهم وطردهم قائلاً : بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص؟ !.

بقي لك بعد هذا أن تحسبني شيعيًّا. فإذا كان التشيع تنقصًا لأشخاص، أو بغضًا لفئات، أو تهوُّراً في المزالق الخطرة فلست كذلك. أما إذا كان التشيع حبًّا لعلي وأهل البيت المطيبين الأكرمين، وثورة على الظلم وتوجعًا لما حلّ بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ، فإنني شيعي.

فيا أبا الحسن ! ماذا أقول فيك، وقد قال الكتّاب في المتنبي : (إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس) وإن هو إلا شاعر له حفنة من الدرّ إزاء تلال من الحجارة. وما شخصيته حيال عظمتك إلا مَدَرَة على النيل خجلى من عظمة الأهرام.

حقًّا إن البيان ليسفّ، وإن شعري لحصاة في ساحلك يا أمير الكلام، ولكنها حصاة مخضوبة بدم الحسين الغالي، فتقبَّل هذه الملحمة، وانظر من رفارف الخلد إلى عاجزٍ شرّف قلمه بذكرك.

بولس سلامة

صَلاة

يا مليك الحياة أنزل عليَّا ... عزمة منك تبعث الصخر حيَّا

جود كفيك إن تشأ يملأ العيش ... نماءً ويفرش الجدب فيَّا

يوقظ الوردَ فالربيع على التلّ ... ضحوكُ الألوان طلق المحيَّا

كلَّما افترّ برعم داعبته ... كفُّ ريح تقول للطّيب هيَّا

واهبَ النُّور والندى للروابي ... أولني من جمال وجهك شيَّا

طال في منقع العذاب مقامي ... واستراح الشقاء في مقلتيَّا

فنسيت النهار مّن طول ليلي ... أترى الليل شرعك الأبديَّا

ليتني أبصر النجوم فأهدي ... في العشيات بسمة للثريَّا

إنّ حظّي من الحياة سرير ... صار مني فلم يعد خشبيَّا[1]

كل هذه الدنيا الطليقة أضحت ... ويحَ حظي ! أضحت حراماً عليَّا

يا إلهي سدّد خُطايَ فإنّي ... قد تمرّست بالضلالة غيَّا

بالعذاب الأمرّ طَهِّر فؤادي ... فيعود الصلصال درًّا مُضيَّا

منشئ القطر من أجاج كريه ... ومحيلَ الخضمّ طلاًّ مريَّا

عن مهاوي الآثام نزّه جناني ... وعن المين والهوى شفتيَّا

في سبيل الكمال أجرِ يراعي ... ملهم البثّ فيصلًا عربيَّا

فأصوغ الألفاظ أقمار ورد ... خالعاً فوقها الصباح النديَّا

وإذا آذن البيان بحرب ... ألهبَ الطرسَ مرقمي والرويَّا[2]

---

(١) يشير الشاعر المقعد الجريح إلى مرضه المزمن الذي ألزمه السرير فسمَّره على وسادة الألم منذ سنين.

(٢) الطرس : الصحيفة ؛ المرقم : القلم.

أين مني الشبابُ يومَ خيالي ... يرتقي سدّة السنى عبقريًّا

فيه من رفّة الجناح دويّ ... ويكاد السهى يُجيبُ الدويًّا

هاتِ، يا شعر من عيونك واهتف ... باسم من أشبع السباسب ريًّا[1]

باسم زين العصور بعد نبيّ ... نوّر الشرق كوكباً هاشميًّا

باسم ليث الحجاز نسرِ البوادي ... خير من هزَّ في الوغى سمهريًّا[2]

خير من جلَّل الميادين غاراً ... وانطوى زاهداً ومات أبيًّا

كان رب الكلام، من بعد طه ... وأخاه وصهره والوصيًّا[3]

بطل السيف والتقى والسجايا ... ما رأت مثله الرماحُ كميًّا[4]

يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي ... واخشعي إنني أردت عليًّا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) السباسب : الأرض البعيدة : المفازة.

(٢) الوغى : الحرب ؛ السمهريّ : السيف.

(٣) طه : من أسماء النبي ﷺ.

(٤) التقى : الإيمان والورع ؛ السجايا : الصفات الحسنة ؛ الكميّ : البطل.

الجاهِليَّة

كـــان في ذلك الزمـــان القـــاتمْ ... في رمـــال الحـجـاز شـعـب عـارم[1]

راح في لجـــة الضـــلالة يهـــوي ... ليس يدري أيّ الفـــعـــال مـــآثم

عطَّلت وعـــيـــه الغـــريزةُ حـــتى ... خـــدّر الجـــهلُ عـــقله فـــهـــو نائم

لا إله ســـوى الجـــلامـــيـــد ترجى ... للملمـــات وانتـــهـــاب الغنائم[2]

يئـــدون البنات خـــشـــيـــة عـــارٍ ... ويمدّون في القـــبـــور البـــراعم[3]

أجـــفل القـــبـــرُ من أنين العـــذارى ... واشـــتكى الرمل من نواح الحـــمـــائم

تســـتـــجـــيـــر الموءودة البكر لكن ... لـــيس لـــلـــظـــالمين قـــلـــب راحـــم

تـــلـــهـــب الأرض رأفـــــــة وتُـــوارَى ... زهرة الحسن في الصـعـيـد الجـاحم[4]

لا مـــيـــــاه تبـــلُّهـــــا لا ظـلال ... لا نـســـيـم إلاّ الرياح الســـمـــائم[5]

***

وتراهم من ســـورة الخـــمـــر صـــرعى ... عـــربدات فـــمنكر فـــشـــتـــائم

يكرعـــون الزقـــاق بالخـــمـــر مـــلأى ... مـــثلمـــا تكرع الحـــيـــاض البـــهـــائم

شـــهـــوة إثر شـــهـــوة تتلظى ... في ضـــروب الزنى ومسّ المحـــارمْ

والخـــيـــام الحـــمـــراء رايُ البـــغـــايا ... حـــولهـــا الناس كـــالفـــراش الحـــائمْ

يدفـــعـــون الإمـــاء للعـــهـــر دفـــعـــاً ... ومـن الـنتن يـأكـلـون المغـــــانم[6]

---

(١) القائم : المظلم : الأسود ؛ العارم : الفاسد : الشرس.

(٢) الجلاميد : الصخور ؛ الملمّات : المصائب والنكبات.

(٣) يئدون : يدفنون الفتاة في الرمال وهي حيّة.

(٤) توارى : تدفن في التراب ؛ الجاحم : الملتهب.

(٥) الرياح السمائم : رياح السموم الحارّة المؤذية.

(٦) الخيام الحمراء : بيوت البغايا القائمة في الجاهليّة، يميّزها اللون الأحمر عن غيرها من البيوت.

سل عن الصفقة الدنيئة صخراً[1] أيّ نسل في حمأة النتن عائمْ

***

تُعبد (اللاّت) أو تُرجّى (مناةٌ)[2] والمرابون أعبدٌ للدراهمْ

أقفر الخلق والصعيد فقحطٌ في السجايا وثورة في البلاعمْ

يبتغون الخنافس السود قوتاً ومن الضبّ يطرفون الولائمْ

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) هو صخر بن حرب المعروف بأبي سفيان والد معاوية وكان يدفع إماءه للفجور طمعاً بالربح.

(٢) اللات ومناة من الأصنام المعبودة في الجاهلية.

قريش

ذر من غيهب الرمال كريم ... ذرّة الشمس في الغيوم الجواهمْ

هو (فهر)[1] بن مالك من نزار ... نسل عدنان أو جُماع المكارمْ

واحة الخير في القفار الكسالى ... بسطة الكفّ في الزمان الآزمْ

لقبته أُمّ القرى بقريش ... وتنادت باسم الزعيم الحضارمْ

لقب طوّق الجزيرة فخراً ... مثلما طوّق السوارُ المعاصمْ

رنّ في مسمع العصور الخوالي ... وسيبقى ملء الزمان القادمْ

ما قريش في غمرة البيد إلا ... نجمة الصبح في الزمان القاتمْ

لو درت ما لها على الله خفّت[2] ... واستعارت من النسور القوادمْ

وتوالت أبناء فهرٍ كراماً ... إنما التبر من كرام المناجمْ

---

(١) سماه أبوه فهراً وقيل هو لقب. واسمه قريش. والمناسب أن يكون قريش لقباً لأنه كان يقرش أي يفتش على خلة المحتاج الفقير فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم ويرفدونهم فسموا بذلك قريشاً (السيرة الحلبية).

(٢) في حديث مسند أنه (ﷺ) قال لقتادة بن النعمان : لا تشتم قريشاً فلولا أن تطغى قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله تعالى (السيرة الحلبية).

هاشم

ومشى للخلود عبد مناف ... يوم أهدى إلى البرية هاشم[1]

توأمٌ جاء سابقاً عبد شمس ... سبقة الضوء للمساء الداجمْ

ألصقت رجله بجبهة عبدٍ ... ولدى الفصل نزّ دمٌ فاحمْ

ذاك رمز العداء قالت نساء ... يا لشؤم الحروب صاح الراجمْ

قبل أن يولدا عدوين كانا ... والمصلّي[2] هو البغيض الأثمْ

هاشمٌ[3] يرفد الحجيج ويهدي ... فضلة الرزق للنسور القشاعمْ

كفه تسكب الندى في البوادي ... قبل أن يحلم السخاء بحاتمْ

حمل المجدُ صيته فتمشّى ... مشية العطر في رفيف النياسمْ

---

(١) هو هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو العلا أي لعلو مرتبته، وهو أخو عبد شمس، وكانا توأمين وجاءت رجل هاشم ملصقة بجبهة عبد شمس، ولم يكن نزعها إلا بسيلان دم أسود. فزعم الكهان والراجمون بالغيب أنه ستقوم بين الأخوين حروب، تسفك فيها دماء غزيرة (السيرة الحلبية).

(٢) المصلي هو الذي يتلو السابق في الميدان وقد جاء عبد شمس تالياً.

(٣) كان هاشم أكرم أهل زمانه وفيه يقول الشاعر :

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه ... مر السحاب ولا ريح تجاريه

جفانه كالجوابي للوفود إذا ... لبوا بمكة ناداهم مناديه

أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت ... قوتاً لحاضره منهم وباديه

وإنما سمّي هاشماً لأنه كان يهشم الخبز والكعك، وينحر الجزور ويطعم الناس، وقد سمّي سيد البطحاء وحصلت المنافسة بينه وبين أخيه عبد شمس، ثم حسده ابن أخيه أمية فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيّرته قريش وقالوا له : أتتشبه بهاشم؟ ثم تنافرا على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة، والجلاء عن مكة عشر سنين، فنصر هاشم على أمية الذي قتله الحسد فخرج إلى الشام وأقام فيها. وكانت هذه أول عداوة بين هاشم وأمية (السيرة الحلبية). يعود الفضل لهاشم في ازدهار التجارة بمكة إذ إنه ربطها بمعاهدة تجارية مع اليمن والشام فنشأ عن ذلك رحلتا الشتاء والصيف وإلى هاتين الرحلتين يشير القرآن الكريم في سورة قريش وهي : ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا ربَّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

جـاب صنعـاء والشـآم فـسـارت ... رحلة الصـيف والشـتـاء مـواسمْ

واسـتـفـاقت أمّ القـرى من كـراها ... وانطوى البـؤس فـهي أمّ العـواصمْ

حُـرم الزرع والمنابت وادٍ ... قلمـا افـتـرّ للغـيـوث السـواجمْ

فـاسـتـفـاضت تجـارة واطمـأنت ... مكة تنهل الحـيـاة مناعمْ

هاشم سـيـد البطاح فـتـاها ... لم يخـيِّب سـمـاطه السـمح قـادمْ

يحـرز المجـد بكرةً وأصـيـلًا ... كلمـا طاف بالحطيم شـراذمْ

***

غـار منه أمـيَّـةٌ فـتـلظَّى ... حـسـد الذئب للأسـود الضـراغمْ

لا يضـيـر الجـبـال وهي رواسٍ ... صـيـحـة الديك أو نزيب البـاغم[1]

تأكل النار بعـضـهـا ثم تخـبـو ... ويصـيـب الشـرار وجـه الحـادم

أين من سـيـد البطاح شـحـيح ... رده الحـقـد أحـمـقـاً مـتكارم

نافس الغـرُّ عـمَّـه فـتـلاشى ... كـانطفـاء السـراب في عين واهم

فـتـولَّى إلى الشـآم ذليـلًا ... طرد شـمس الضـحى رقـاق الغـمـائم

ذلك الأفـعـوان يقطر سـمًّا ... كـان صـلّاً فـصـار جـدّ الأراقم

ذكـره وصـمـة الدهور سـيـبـقى ... كلمـا همَّ بالشـتـيـمـة شـاتم

---

(١) صوت الظبي.

عَبْد المطّلِب[1]

غيَّب القبر هاشماً فاستضاءت ... بابنه البدر مقفرات التهائمْ

(شيبة) الحمد جاء سرَّ أبيه ... يستجيب العلى، يشدُّ الدعائم

بيته الرحب مشرع للأيامى ... واليتامى فسما بمكة صائم

وتعالى حول الأبيّ جدارٌ ... من قلوب وفيلق من أكارم

شذّ عن هالة الكرامة فدمٌ ... أسود النفس أغبر الوجه جاهم

هو (حرب)[2] وهل أُمية إلا ... منبع الشر فابنه حقد ناقم

طعمة الحنظل الكريه كطعم ... العلقم المرِّ في مذاق الطاعم

شيبة الحمد في جبينك نور ... شيَّب المفرق الدجيّ الباسمْ

وجهك السمح يستدرّ الهوامي ... يوم وجه السماء غضبة صارم

إذ تناديك للصلاة قريش ... فاعتليت الهضاب والقلب واجم

---

(١) عبد المطلب هو جد النبي (ﷺ) وقد سمّي شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له فقد كان مفزع قريش في النوائب وشريفها وسيدها من غير مدافع، وإنما سُمّي شيبة لأنه ولد وفي رأسه شيبة (السيرة).

(٢) وقد حسد حرب عبد المطلب كما حسد أبوه أمية هاشماً. وهكذا ترى التاريخ يعيد نفسه، ولكنك لن تجد للمبطل منصفاً في ذي إنصاف، فما مشى الرجلان إلى نفيل بن عبد العزى يحكمانه بينهما حتى صاح الحكم غاضباً: يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأعظم هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً وأطول منك مذوداً؟ أما والله إنك لمبطل كما كان أبوك.

عن كتاب (الإمام علي بن أبي طالب) لمؤلفه عبد الفتاح عبد المقصود.

صَلاة الاسْتِسقاء[1]

قلت : يا رب يا إلـــه السمـــاء ... استجبني يا منقذ الضعفاء

يبس الضـــرع والمنابت جـــفت ... حـــالماتٍ ولو بقطرة مـــاء

غـــاض وجـــه الأديم فـــانشق ثغـــراً ... يتلظَّى في لاهب الرمـــضاء

شـــوق أُمٍّ إلى لقـــاء وحـــيد ... غـــرّبتـــه مـــفاوز الصـــحراء

إثمنا جـــفَّف الســـحاب فـــجدنا ... بهـــتونٍ من كـــفك الســـمحاء

ضلـت البســـهم عن دروب المراعي ... حـــيث حلت تحل في بيـــداء

تائهـــات عـــيونهـــا تتـــحرى ... أثراً من عـــلامـــة خـــضراء

تلعب الريح بالشـــياه عـــجافًـــا ... فـــهي عظمٌ مموّه بفـــراء

كـالفـراش المبثـوث في السـهل صـرعى ... يتـــقلّبن في مـــهبّ الـهـــواء

***

ربي ارحم أطفـــالنا فـــحرام ... أن يحـل العـــقـــاب بالأبـرياء

إنني ضـــارع إليك بهـــذا الطفل ... يـا رب لا تخـــيب دعـــائي

---

(١) كانت صلاة الاستسقاء معروفة في الجاهلية وقد استسقى الناس مرات عديدة بعبد المطلب، وفيه قال قائلهم :

بشـيبـة الحـمـد أسـقى الله بلدتنا ... وقـد عـدانا الحـيـا واجلوز المطر

مـبـارك الاسم يستـسـقى الغـمـام به ... مـا في الأنـام له عـدل ولا خطر

وقيل : إن عظماء قيس ومضر أتوه فحيوه بالسلام وقام خطيبهم فقال : قد أصابنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك. فقال عبد المطلب : سمعاً وطاعة موعدكم غداً عرفات، ثم أصبح غادياً إليها وخرج معه الناس وولده ومعه محمد (ﷺ) فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ حفيده (ﷺ) ووضعه في حجره ثم قام الشيخ ورفع يديه فقال :

اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف، رب الأرباب وملين الصعاب، هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤوسها، وحدبت ظهورها تشكو إليك شدة الهزال وذهاب النفوس والأموال، اللهم فأتح لهم سحاباً خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم. . . الخ. فرجع القوم إلى بلادهم وقد سقوا. (السيرة).

هو مني كالروح للجسم حتى ... لا أساوي بحبه أبنائي

مات في غربة أبوه فلاحت ... في محياه بارقات رجائي

كان هذا الطفل اليتيم[1] رضيعاً ... يوم مادت جوانب البطحاء

بعجيج الأفيال والجيش مجرٌ ... كجبال الأمواج في الدأماء

تتهادى الفيَّالة الزنج تيهاً ... وتضرّي فيولها للقاء

فتمور الكثبان مما عراها ... ويضيق الصعيد بالخيلاء

أنت أفنيت ذلك الجيش عدلاً ... ودفنت الطغاة في الكبرياء

ودفعت الطير الأبابيل تهوي ... فستفلّ الأبطال بالحصباء

وابلٌ من حجارةٍ ورعودٍ ... وأزيزٌ مزمجر في الفضاء

فإذا الجيش والعتاد حطام ... واشتباك الأشلاء بالأشلاء

قد منعت البيت العتيق وصنت ... الركن من صولة اليد الهوجاء

صنت عهداً لإسماعيل[2] قديماً ... ورحمت الآباء بالأبناء

كم تهاوت على المقام قلوب ... تتلاقى من شاسع الأرجاء

رُمته للخلود بيتاً طهوراً ... وسيبقى ما دام معنى البقاء

***

ربي ارحم عبيدك اليوم واعطف ... واستجبنا بديمة وطفاء

لا علينا بل حولنا الغيّ يهمي[3] ... وتسيل الحياة في الغبراء

رفع الطفل طرفه بانكسار ... بين جفنيه مثل طيف البكاء

فتداعى الغمام من كلّ صوبٍ ... وتبارت دموعه في السخاء

---

(١) تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وَهْب من بني زهرة ومات وهي حبلى فولد (ﷺ) عام الفيل أي عام جاء أبرهة ملك الحبشة يغزو مكة ولديه الفيلة الكثيرة فرماه الله وجنده بحجارة من سجيل فأهلكهم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة الفيل ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾.

(٢) إسماعيل جد العرب ابن إبراهيم الخليل وإليه ينتهي النسب النبوي ولكن النسابين يقفون عند عدنان.

(٣) كانوا صلاة الاستسقاء يقولون : اللهم لا علينا بل حوالينا.

مَولد محمَّد

من ترى ذلك الصبي الذي ... إمَّا يُدمعْ فالجوّ في إعطاء
مبسمٌ من لآلئ الفجر أنقى ... وجبينٌ كالنجمة الغرّاء؟
حدث الصادق الخبير حديثاً ... سطَّرته أصابع اللألاءِ
قال : كانت في آل زهرة بنت ... خير من أنجبت بطون النساء
طلعة الصبح رونقاً وجمالاً ... وذكاء في عفَّةٍ وحياء
أكرم الناس محتداً بنت وهْب ... درَّة البيد حُجِّبت في خباء
(شيبة الحمد) راح يطلب عرساً ... لابنه المفتدى بأغلى فداء[1]
عاشر الولد، بدرهم كان عبد ... الله ملء السنى وملء الرواء
فاصطفى الشيخ درّة لم تصادف ... مثلها العين في خلوص النقاء
كان ذاك الزواج أقصر عمراً ... من حياة الزنابق البيضاء
إن عمر النعماء ومضة حلم ... فالليالي حرب على النعماء
مات زين الشباب والزوج حبلى ... بالجنين اليتيم في الأحشاء
أيّما أصبحت كريمة وهْب ... واستحال الربيع قرّ شتاء
حلمت ذات ليلة أن منها ... شعّ نور أضاء رحب الخلاء
نوّر الشام والحجاز ومصراً ... واستطار الشعاع في صنعاء
فأضاءت جزيرة العرب حتى ... باتت الأرض أبحراً من ضياء

***

(١) افتدى عبد المطلب ابنه عبد الله بمائة من الإبل لأن أباه عبد المطلب نذر نذراً مؤداه : أنه إذا رزق عشرة ذكور ذبح عاشرهم وقد حاول إنفاذ نذره هذا لولا عناية الله، لذلك لقب عبد الله بالذبيح قياساً على إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

هلَّ يومٌ في صفحة الدهر فذٌّ ... طيِّب الفوح رافل بالبهاء

لم يشب ذلك النهار مساءٌ ... فهو يوم مسمَّر الأضواء

وانزوى الليل خاشعاً كيتيم ... ضيَّعته مباهج الأغنياء

أرهف الكون سمعه وتمشَّت ... في الجمادات نشوة الصهباء

واستفاقت جزيرة العرب حيرى ... (فمناة) و (اللات) في الدقعاء

أخرس الناس خطبها فتباروا ... في استلام الألهة الصمَّاء

أين (ودّ) وأين بطش (سواعٍ)[1] ... كان ذاك النذير بدء انتهاء

وتوالت في أرض فارس[2] ... أرزاء جسام فنارها في انطفاء

وارتجاس الإيوان هزّ قلوب ... الفرس هزّ السنابل العجفاء

تحفة العالم القديم ومجد ... العين والفن والعلى والبناء

إن تداعى فشمس كسرى كسوف ... مؤذن بالنهاية السوداء

حلم الموبذان[3] بالنوق تجري ... والصحارى مروعة بالرغاء

والخيول العراب سيل أتيٍّ ... ضابحاتٍ[4] في مسمع الزوراء

أجفل السور في المدائن خوفاً ... من صهيل السوابح الجرداء

وإذا الفرس والمدائن[5] صرعى ... في مجال السنابك الحمراء

***

(١) إشارة إلى الخوارق العديدة التي وقعت يوم مولد محمد (ﷺ) فقد انقلبت الأصنام بطناً لظهر ومنها ود وسواع.

(٢) ومن الخوارق انطفاء نيران فارس وارتجاس إيوان كسرى وفي ذلك يقول صاحب الهمزية :

وتداعى إيوان كسرى ولولا ... آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه ... كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها إطفاء

(٣) ورأى الموبذان أي كبير القضاة في منامه إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً وقد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد.

(٤) الضبح هو الصوت الذي تخرجه الخيل من خياشيمها عند الركض.

(٥) المدائن عاصمة بلاد فارس.

حسب الرمل ذلك اليوم تبراً ... ينبت الحلم في جفون الرائي

فسهول الحجاز بحر نضارٍ ... من نثير السبائك الصفراء

ضحك السبسب الخليُّ وشقت ... أنمل الورد صفحة الدهناء

ذاك عرس الدنيا فلا غرو أن ... بثَّت حلاها ونمنمت في الكساء

رحبت بالوليد جاء يتيمًا ... فهو والفقر توأم في رداء

يا فقيراً ودونه الشمس عزاً ... سوف تعلو مناكب الجوزاء

خلفك النَّسر والسُّهى والثريَّا ... سائرات في الركب سير الإماء

فقر كف والنفس كنز خلود ... هكذا كان مولد الأنبياء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو طالب

مَن لهذا اليتيم مَن للصغير ... مَن لفرخ النسور غير النسور

(شيبة الحمد) بالحنان تولّى ... بُرعمَ الورد في النبات الطرير

فنما أحمد بظل كريم ... كانبلاج الضحى وسري العبير

وقضى شيبة العظيم فمالت ... دولة الظل عن يتيم العطور

ومضت بعد (شيبةٍ) بنتُ وهْبٍ ... فغدا الطفل زهرة في الهجير

يا أبا طالب فدتك السجايا ... من مجير سمح الجنان نصور

يؤثر الطفل بالطعام سخياً ... ويدفء من الفراش الوثير

أحمد قبله وقبل بنيه ... فهو في البيت قبلة التوقير

هالة من قلوبهم ضفروها ... حول نجم الصحراء حول الأمير

لا يبالي بنفسه العم يطوي ... الليل غرثان، جنبه لحصير

لا يضاهي سماح (جعفر) فلساً ... من فقير يسخو بِه لفقير

وتنادت لرحلة الصيف غلبٌ ... يقطعون القفار سرب صقور

ينحتون الرزق الحلال من البيداء ... تشوي، ومن سنام البعير

همّ عمّ الغلام[1] بالسير لكن ... أوقفته دموع جفن كسير

فالغلام البكيّ لاذ بثوب العم ... أخذَ الغريق ثوب المجير

أشفق الشيخ مردفاً لغلام ... خفّ في الرحل وهو ملء البرور

---

(١) لما تهيأ أبو طالب للرحيل الى الشام تعلق به ربيبه (ﷺ) وبكى، فرقَّ له عمه الذي كان يؤثره على أولاده. وفي رواية أنه قال: يا عم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم وكان سنه إذ ذاك على الأرجح تسع سنين. فادمعت عينا أبي طالب وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً.

وأظلّ الركب العريض ببصرى ... سقف دير معبَّق بالبخور

خف سرجيس[1] ينثر التمر جوداً ... ويحز الجزور إثر الجزور

لم تكن تلك شيمة في بحيرا ... فهو في مثل نشوة المخمور

ما عراه؟ رأى عصوراً بشخص ... فاستشفّ الإلهام خلف الستور

شام طه فخال ظلّ إلٰه ... يتمشّى في المرمر المسحور

فدرى أن مكة عن قريبٍ ... سوف تنحلّ من قيود الغرور

فيحول الجهل المقطّب علماً ... ومقام الأصنام كعبة نور

قال للعمّ إنّ لابن أخيه ... بسطة البحر وارتفاع البدور

ليس في ولد آدم مثل طه ... منذ قرّت رواسخ المعمور

كان شيئاً مكوكباً في الهيولى ... والبرايا غريقة في الأثير

فاحذر الغدر واليهود عليه ... إن عين الحسود نبع شرور

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) سرجيس أو سرجيوس هو اسم الراهب الذي نزل عليه الركب ضيفًا وقد بالغ بحيرا ذلك اليوم في الإكرام ونحر الجزور، وإنما فعل ذلك احتفاء بالغلام الذي رأى فيه علامات النبوة وأفضى إلى أبي طالب بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم.

البِعثَة

وأشبّ الغلام فامتد صيتًا ... كامتداد الشعاع في الديجور

طبعه الصدق والأمانة فالآراء ... تهدي هدي الصباح المنير

واصطفته خديجة[1] لاتّجارٍ ... عاد منه والربح فيض بحور

فاصطفته لنفسها فحباها ... شرفاً أن تكون فوق الحور

كلَّ عام يرتاد غار (حراء)[2] ... مفعم الروح ملهم التفكير

يرسل الطرف للسماء كلامًا ... ليس تجلوه صنعة التعبير

ذلك الصمت دونه جهر موسى ... بالدعاء الحميم فوق الطور

فالصلاة الصلاة خفقة قلب ... وهيام مغلغل في الشعور

قال عيسى ملك الإله لديكم ... لو نبشتم عن كنزه في الصدور

***

هدأ الكون وامَّحى الصوت حتى ... لتحسُّ الآذان همسَ العطور

وإذا صوت هاتف يهتف : اقرأ ... فيرد الصَّدى نداء البشير

فتهاوى محمد وتمشت ... في حناياه رعشة المقرور

ما أنا قارئ أجاب فردّ ... الصوت : إقرأ، يا للدعاء الخطير

فأجاب الأمّيُّ لم أتلُ حرفًا ... لا ولا جال ناظري في السطور

قال جبريل : يا محمد كبّر ... باسم رب ملء الوجود قدير

صفحة الكون بُدّلت في ثوانٍ ... بين مرآتها ضمير الدهور

فإذا أحمدُ العظيم نبيٌّ ... والمجيد القرآن حلم العصور

---

(١) هي خديجة بنت خويلد زوج النبي وأول من آمن به من النساء.

(٢) اسم الغار الذي كان يرتاده النبي في كل عام يتعبد لله.

مَولد عَلِيّ[1]

سمع الليل في الظلام المديد ... همسة مثل أنّة المفؤودِ
من خفيّ الآلام والكبت فيها ... ومن البشر والرجاء السعيد
حُرّةٌ ضامها المخاض فلاذت ... بستار البيت العتيق الوطيد
كعبة الله في الشدائد ترجى ... فهي جسر العبيد للمعبود
لا نساءٌ ولا قوابلُ حفّتْ ... بابنة المجد والعلى والجود
يذر الفقر أشرف الناس فرداً ... والغني الخليع غير فريد
أينما سار واكبته جباهٌ ... وظهور مُعدّةٌ للسجود

***

صبرت فاطم على الضيم حتى ... لهث الليل لهثة المكدود
وإذا نجمة من الأفق خفّت ... تطعن الليل بالشعاع الجديد
وتدانت من الحطيم وقرّت ... وتدلّت تدلّيَ العنقود
تسكب الضوء في الأثير دفيقًا ... فعلى الأرض وابلٌ من سعود
واستفاق الحمام يسجع سجعًا ... فتهش الأركان للتغريد
بَسِم المسجد الحرام حبوراً ... وتنادت حجاره للنشيد
ذرَّ فجران ذلك اليوم فجرٌ ... لنهار وآخر للوليد
هالت الأم صرخةٌ جال فيها ... بعض شيء من همهمات الأسود

---

(١) ولد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الكعبة ولم يولد فيها أحد غيره. أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وكانت بمثابة أم النبي (ﷺ) أيضًا ولم يكن أبوه حاضراً عند ولادته فسمته أمه (حيدرة) ومعناها الأسد وجاء أبوه عقيب ذلك فلم يرض عن هذا الاسم وسماه عليًا.

دعت الشبل (حيدراً) وتمنَّت ... وأكبَّت على الرجاء المديد

(أسداً) سمت ابنها كأبيها ... لبدة الجد أهديت للحفيد

بل (عليًّا) ندعوه قال أبوه ... فاستفزَّ السماء للتأكيد

ذلك اسم تناقلته الفيافي ... ورواه الجلمود للجلمود

يهرم الدهر وهو كالصبح باقٍ ... كل يوم يأتي بفجرٍ جديد

***

وحبا الطفل نابهاً هاشميًّا ... خصب عقل وساعدٌ من حديد

ورآه النبي كنزاً صغيراً ... طلعة الليث في بهاء العيد

فانتقاه لعشّه فرخ نسر ... فهو من قلبه كحبل الوريد

بُدّل (القاسم)[1] الفقيد عليًّا ... بدّل الدر طارف بتليد

حضنته خديجة كاحتضان ... العين للضوء والربى للورود

يا لزوج في طاعة الزوج لانت ... لين غصن الصفصافة الأملود

في صفاءٍ ورقَّةٍ في السجايا ... رقة الماء جاريًا في العود

آمنت بالرسول والجو حربٌ ... والغيوم الدكناء قصف رعود

يوم صاح النبي : أن لا إلٰهٌ ... غير ربي فآمنوا بوحيد

أدبر الصَّحب كالقطيع جزوعاً ... هالع القلب من زئير الفهود

---

(١) القاسم هو بكر أولاد النبي وقد توفي صغيراً وبه كني الرسول (ﷺ) وقد قام الرسول على تربية علي لما توسمه من خير في هذا الصبي العجيب، ووفاء لعمه أبي طالب الذي كفله صغيراً وآثره على أولاده، وتخفيفاً عن كاهل العم الفقير الذي كان كثير العيال.

فجر الإسْلام

وتلا زوجة النَّبيِّ عليٌّ ... بكرُ من آمنوا وبكر الخلودِ

أول المسلمين لله طوعاً ... بكره عند حوضه المورود

وأبوه الحامي الرسول من العدوان ... والبطش والردى والوعيد

إذ تداعت قريش للغدر كالعقبان ... تسطو بالبلبل الغرّيد

إن حظَّ المصباح في كلِّ عصرٍ ... عصفة البحر في الليالي السود

غضبة الحاسد الجهول وسمّ ... الصلّ فيها وغمغمات الحقود

حُسَّد يلبسون وجه رياء ... ثعلبيّ مموّه بالوعود

يعدون النبيّ بالملك والإنعام ... والتبر والملاح الغيد

فإذا ردَّهم تنادوا ذئاباً ... يبرزون الأنياب للتهديد

«يا أبا طالب» يقولون أفسح ... بين أسيافنا وعُنق المريد

سبَّ أصنامنا وتاه ضلالاً ... فهو يدعو لواحدٍ في الوجود

أفنرضى بواحد ولنا الأرباب ... ملء السهول ملء النجود؟

يسمع القول دامع الطرف طه ... يرقب الحكم من شفاه العميد

زعق الشيخ زعقة رددتها ... عاليات السحاب قبلَ البيد

قال : «لن يبلغوا إليك فإني ... أسد الغاب واقفاً بالوصيد

لا ينالون شعرةً منك حتى ... تنثر الخيل جثتي في الصعيد

واستحرّ الشبل الفتيّ عليّ ... بين جفنَيْه شعلة الموقود

همّ فارفضّ جمعهم كبغاثٍ ... عبَس الليثُ، يا أرانب حيدي

***

نزلت آية تقـــول : ألا اصـــدع[1] واتلُ إنذار خـــالق لعـــبـــيـــد

أنذر الأقـربين، واخـفض جناحـاً للملبّين عـصـبـتي وجنودي

وذرِ المشـــركين فـــالنار غـــرثى يتنزّى لسـانهـا للحـصـيـد»

ودعـــا الســـمحُ أهله لطعـــامٍ جـاد فـيـه الكريم بالمجـهـود

ودعـــاهم لله، للنور، للجنات خـضـراً على الزمـان الأبيـد

قـال : قـد جئـتكم بإيمان إبراهيم، بالوحي، بالضـيـاء الرشـيـد

أيكـم يتَّـــبع هداي ويمشي في لوائي يكن أخي وعـمـودي

لم تحـــرك يدٌ ولا اهتـــز طرفٌ أو لسـان يهم بالتـأييـد

كلهم غـيـر واحـد تتـشظى بين جنبيـه جمـرة الصـيـهـود[2]

قـال، والرأس في ارتفـاع وعـزّ وعلى القـول نبـرة الصنديد

قـال : إني لهـا، وإن كنت غضّ العـمـر، فـالسـيف للعـتـاة بريدي

وأعـاد النبي حـرَّ دعـاء لم يحـرك سـوى جنان الودود

نجـدة الدين والمروءات والأخـلاق وقف على الهـمـام النجـيـد

وإذا بـالـنـبـيِّ يرسـل قـولاً رنَّ في مـسـمع الزمـان البـعـيـد

«أنـت مـنـي ووارثـي ووزيـري وعلى الحـوض أنت بكر شـهـودي»

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ وإلى الآية. ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ فجمع (ﷺ) بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون وصنع لهم طعاماً وقال : كلوا باسم الله. فأكلوا حتى شبعوا. فلما أراد أن يتكلم بدره عمه أبو لهب بالكلام وقال : لقد سحركم صاحبكم سحراً عظيماً. فلما كان الغد دعاهم إلى مثل ما دعاهم إليه بالأمس ثم قال لهم : يا بني عبد المطلب إن الله قد بعثني إلى الخلق كافة. وبعثني إليكم خاصة، فقال : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني؟ فقال علي : أنا يا رسول الله وأنا أحدثهم سناً. وسكت القوم وزاد بعضهم في الرواية : يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي. فلم يجبه أحد منهم. فقال علي وقال : أنا يا رسول الله قال : اجلس. ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فصمتوا. فقام علي فقال : أنا يا رسول الله. فقال : اجلس. فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي. (السيرة)

وقد علّق صاحب السيرة على هذا القول بما ينافيه ولكن كبار المحدثين الثقات يؤيدون هذا الحديث. (المؤلف)

(٢) الصيهود : الشديدة الحرارة.

يا علي العصور نسر قريش رافع السيف والقنا والبنود
إنك البكر في الشهادة والأ خلاق والعلم والفعال الحميد

***

حزَّ قول النبي في قلب شيخ أزهر الوجه جاهل عربيد
هو عمّ النبي، تبَّت يداه طلعة البدر، في طباع الكنود
هو زوج الرقطاء (أم جميل[1]) رأيها أمر سيدٍ لمسود
بنت حرب وهل أمية إلا وجه نكس منافق أو حسود
حسبها العقد سبة الدهر حبلُ المسد الرذل حليةً للجيد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) هي زوج أبي لهب بنت حرب عمة معاوية بن أبي سفيان وكانت تأمر زوجها أبا لهب عم النبي فيطيع ويصدع لأمرها. وكانت أشد الناس عداوة للنبي (ﷺ) تضع الشوك في طريقه حين يمر وتشمت به عند نزول النازلة. وقد أبطأ نزول الوحي على النبي (ﷺ) مرة فقالت لقد ودعه شيطانه وقلاه. فنزلت: سورة الضحى تكذيباً لها وتعزية للنبي.
وقد حقر القرآن الكريم هذه الأموية اللئيمة وزوجها أبا لهب في سورة المسد حيث يقول:
﴿تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد﴾.

هجرة الرسُول

واستبدت بالمسلمين الدوائرْ ... فاستطار الردى وعزّ الناصرْ

قبلة الجور والمثالب عادوا ... كلّما همَّ بالشتيمة كافر

يعملون السياط فيهم عراة ... فتئنّ العظام غبَّ الخواصر

فيخرّون في الهجيرة صرعى ... ويذوبون طعمة للمجامر

وإذا حاول النبيُّ سجوداً ... ينبري لاحتقاره ألف ساخر

ويقولون جِنَّةٌ أو جنون ... ويقولون شاعر أو ساحر

***

مات عم النبي ليث البوادي ... شيخ أُمّ القرى وشيخ الحواضر

فمضى الشرُّ ينحر الخير نحراً ... وتبارت إلى الحمام الكواسر

بيَّتوا للنبيِّ ميتة غدر ... تحت سدل من عتمة الليل ساتر

واستنابوا لصرعة الليث ختلاً ... عصبة مثلت شتيت العشائر[1]

فاذا هبَّ هاشميٌّ لثأرٍ ... فالحجاز العريض خصم الثائر

فيطلُّ الدم الزكي ويضحي ... في مهبِّ الأهواء حفنة ناثر

أعلم الله عبده فتبدَّت ... للنبيِّ الطريد جمهم السرائر

وأحاطوا ببيته فاستحالت ... دارة البيت هالةً من بواتر

---

(١) أجمع حسَّاد النبي (ﷺ) على قتله. فاختاروا من كل قبيلة فتى صنديداً، ووجَّهوهم إلى بيته ليفتكوا به ليلاً فيتفرق دمه في القبائل وتعجز بنو هاشم عن الأخذ بثأره ومعاداة القبائل جميعاً. وفي تلك الليلة قام علي بالتضحية الكبرى ليمكن ابن عمه (ﷺ) من النجاة. فلبس برد النبي ونام على فراشه معرضاً نفسه للموت الزؤام وذلك منتهى الحب والشجاعة.

جاز كالوهم بينهم فاستعدّي ... يا أكاليل يثرب للمسافر
فتح الله مرتين سجلاً ... وصل الغيبَ بالزمان الحاضر
صفحة تمتمت : لقد جاء عيسى ... أختها قالت : النبي يهاجر

***

واطمأن القنّاص فالصيد باق ... ولقد بات في الحبالة طائر
يا ذئاباً حول العرين تعاوت ... إن مِلءَ العرين ليثاً خادر
لفّ بردُ النبي صدرَ عليّ ... فالإطار السنيُّ ضمّ المفاخر
هو ملء الثوب العظيم، وطه ... ملء جفنيه والنُّهى والمشاعر
هو يفديه بالحياة ويرضى ... ألف موت به لو الله ناشر
كلما عاش مرة مات أخرى ... باسم الثغر باسم الوجه شاكر
رقد الليل ناعماً بفراش ... حشوه الموت فالوساد مخاطر
بات فوق الخناجر الزرق ليث ... دون أظفاره رهيف الخناجر
إن ينم في مضاجع الموت حبّاً ... بالنبي العظيم فالله ساهر

***

لوّح الصبح وانجلى عن هصور ... ثابت البأس مطمئن الناظر
درعه الحق واليقين وقلب ... بالمروءات كالخضم الزاخر
درعه البرْد أخضر النسج غضّ ... فهو رمز إلى الجنان النواضر
ذاك برد العظيم لاقى عظيماً ... فتلقّاه كابر عن كابر
واجه القوم لا حسام شطيب ... لا قناة، لا بيضة، لا مغافر
أعزلاً كالحقيقة البكر طلقاً ... بارز الصدر كالصباح السافر
يستطيب الردى فداء ابن عمّ ... فهو يسعى إلى المنية حاسر
حبّهُ الموت هالهم فتواروا ... كالخفافيش في ضياء باهر

هجرة علي[3](1)

هزَّه الشـــوق للنبي فـــشـــدَّ ... العـــزم يهـــفـــو إلى جُـــمـــاع المآثر

في رمـال الصـحـراء يسـري وحـيـداً ... مـــقـــفـــر الكف أعـــوزته الأباعـــر

في الجـراب العـتـيق صـاع سـويق ... أو قـــديـد أو بعض تمران تـامـــر

صـــابر العـــذاب والجـــوع حـــتى ... عـــجب القـفـر من تقـشف صـابر

مـــفـــردٌ في الفـــلاة ليس يؤاسي ... قلبـه في انبـساطها الجـهم سـامـر

يفـــرح التـــائه الشـــريد بصـــوتٍ ... بعـــــواء الذئاب أو نعب طائر

قـد يهبّ الإعـصـار فـيـهـا فـتـغـدو ... هضـبـات الرمـال قـعـر حـفـائر

وتغـيض الكثـبـان فـالدوّ بحـرٌ ... مـبـهم الشطّ والمسـافـر حـائر

وتعـــفّى الآثار فـــالعين ظمـــأى ... تبـــتـــغي إثر منسم أو حـــافـــر

رُبّ سـارٍ يعلو كـثـيـبـاً فـيـهـوي ... واهن العـزم، مـغـمـد السـاق، غـائر

يا شـويّ الرمـضـاء أيّ جـحـيم ... ذقت في غـمـرة السـعـيـر الفـائر(2)

والهـجـيـر اللهـاب يكوي السـحـايا ... والرياح الهـوجـاء تعـمي المحـاجـر

يا لَهَـــاةَ الظمـــآن تحلم بالآبار، ... بالنبع، بالســـحـــاب الهـــادر

---

(١) لم يبقَ لعلي بمكة مقام بعد أن أنفذ ما أوصاه به محمد ورد للناس ودائع كانوا قد ائتمنوا عليها النبي. فقام يسعى على درب يثرب يسبقه إليها وشوقه ويعاني لفح الهجير والزمهرير، ولم يكن له مركب ولا ظهر إبل وإنما سخر قدميه وأمعن بهما في الرمال مستخفيًا عن الأعين، ولم يكن له في رحلته صاحب، فظل أربع عشرة ليلة وحيداً يسبح في بحر لجي من الرمال تحته ومن الأنجم والكواكب فوقه، ولعل هذه الآونة كانت أكثر الآونات في حياته أثراً وأبعدها غوراً حتى طبعت نفسه بطابعها مدى ما عاشه بعدها من سنين. وإن الإمام الذي صاره هذا الفتى في ما أقبل من الأيام، لهو حقاً وليد تلك الليالي التي اكتنفتها الوحدة بدءاً ونهاية. فعزف عن اللهو إلى التأمل، وصدف عنه إلى التصوف والتقشف. (عن كتاب عبد المقصود).

(٢) الشوي : ما شوي من اللحم.

عيدها أن ترى السراب فتهفو ... ولو أنّ السراب خدع النواظر
فهجير الصحراء للظامئ الغرثان ... موت فيا نزاع الحناجر

***

لا يذوق الرقاد إلّا غراراً ... فالأفاعي فحيحها نفخ صافر
في جحور الضّباب تخبو نهاراً ... ساعياتٍ في الليل زحف عساكر
لا فِراشٌ سوى الثرى، لا غطاء ... لا ضياء سوى النجوم الزواهر
فيناجي السهى يصعّد في الأجواء ... طرفاً، يشق ستر الدياجر
إن هذا الصمت الرهيب لقدسٌ ... يغسل المرء بالعذاب الصاهر
فالخطوب الجسام والألم الممدود ... وحي ومطهر للضمائر
فإذا كان طاهراً كعلي ... شدّ لله قلبه بأواصر
يذكر الله بكرة وعشيّاً ... ويصلّي في كل ومضة خاطر
فالمناجاة والصلاة عطورٌ ... تتعالى إلى السماء مباخر

***

يا رمال الصحراء هذا عليٌّ ... فاملئي الدرب والضفاف أزاهر
هو بعد النبيِّ أشرف ظلّ ... لاح في السَّبْسَبِ الحليّ مهاجر
حمّلي أجنُح الأثير نسيماً ... من جفون الأسحار ريّان عاطر
وليفض صدرك المعبَّس واحاً ... باسماً بالرطيب في وجه عابر
تسرح الرئم حوله والحبارى ... والنعامات والمها والجآذر
وابسطي حوله الزنابق فرشاً ... وانشري فوقه الغمام مقاصر
كل ما تبلغ الرؤى من جمال ... فتّحتْ أفقه أمانيُّ شاعر

عَليّ في يَثرب

تعب القفر من أناة الساري ... إذ أتى النسر ساحة الأنصارِ
وأبى أن يكون ضيفاً فراح الليث يرتاد مهنة الاكّار
يغرس النخل عاملاً ويخلّي ... للعشاء الهزيل أجر النهار
ويعود المساء والصدر يشكو ... عَرَق الكدّ لاصقاً بالغبار
حسبه الدرهم الرخيص فلم ... يحلم عليٌّ بصفرة الدينار
تحمل الرفش كفه وهي كفٌّ ... صاغها الله للشؤون الكبار
لليراع النضير للخيل تجري ... للقناة السمراء للبتّار
فهْي محقٌ للغادرين وحوبٌ ... وبلاءٌ يُحيق بالأشرار
تسكب الموت والصواعق وبلاً ... فتميد الغبراء بالفجّار
أيّ كفٍّ من جبهة الصخر قدّت ... هي أسطى من صولة الأقدار
تبعث الرعب في الجماد فتهوي ... شاهقات الحصون والأسوار
حسبها أن تسلّه مشرفيّاً ... فتطلُّ المنون من ذي الفقار
قل : هو الله أكبر إن سيف ... الله يزهو بفارسٍ من نزار
مدّ في رفرف الخلود جناحاً ... يُلبس المسلمين هالة غار
تلك كفّ لم يعلق اللؤم فيها ... فتسامت عن الهوى والصغار
إنها الشمس في الضحى لم تدنّس ... يعصم الله أن تهمّ بعار
تسكب الخير للفقير وتهمي ... تزفّ السلام للأخيار
يبذل المال لليتامى فقير ... ويلفُّ العطاء بالأستار

كسخاء الحمامة الأم تهدي ... فرخها الرخص حبَّة المنقار
من يجُد من خصاصةٍ مستجناً[1] ... فالعطايا هديَّةٌ للباري

***

تلكم الكف تسطر الوحي ... فالقرطاس كون يشع بالأنوار
بينها (النجم) (والضحى) (وبروج) ... (وانشقاق) يجيء بعد. (انفطار)[2]
هذه الكفُّ للمعارف بابٌ ... مُشْرَعٌ من مدينة[3] الأسرار
تنثر الدر في كتابٍ مبينٍ ... سفر (نهج البلاغة)[4] المختار
هو روضٌ من كل زهر جنيّ ... أطلعته السماء في نوّار
فيه من نضرة الورود العذارى ... والخزامى والفلّ والجلّنار
في صفاء الينبوع يجري زلالاً ... كوثراً رائقاً بعيد القرار
تلمح الشط والضفاف ولكن ... يا لعجز العيون في الأغوار

***

وتمادى بمكة الشرك حتى ... أصبح المسلمون رهن البوار
يهجرون الديار كرهاً وتبقى ... فِلَذٌ من قلوبهم في الديار
فيؤمُّون يثرباً دار عزّ ... وسخاء، وموئل الأحرار
أصبحت منزل الطريد المعنَّى ... ومحطّ الرؤى، وضوء السناري
تنزل الأنجم الشريدة فيها ... هالة للكواكب الأقمار
في جوار الأنصار ألوية الهيجاء ... والعزم والعلى والفخار
ما يشاء الخيال بسطة كفّ ... ما وراء الخيال عزّ جوار

---

(١) مستجناً : متخفياً.

(٢) كان الإمام علي أعظم كتبة الوحي عند النبي، وإنما النجم والضحى والبروج والانشقاق والانفطار عناوين لسور معروفة في القرآن الكريم.

(٣) إشارة إلى قوله (ﷺ) : أنا مدينة العلم وعلي بابها.

(٤) نهج البلاغة هو أشهر الكتب التي عُرف بها الإمام ولا يفوق هذا الكتاب بلاغة وقيمة إلا التنزيل.

قبلةَ الهاجر الضعيف هناءٌ ... شاءكِ اللهُ قِبلة الأعصار

ويؤاخي النبي بين مضيف ... وضيوف تصدّروا في الدار

فيصيرون كالتوائم وداً ... وائتلاف الأطيار بالأطيار

وتآخت نسورهم فجناحٌ ... وجناحٌ يرفُّ في الأوكار

لم يوآخِ النبيُّ غير علي[1] ... حفنة التبر أدمجت بالنضار

حسدٌ جال في الصدور وهمسٌ ... وعيونٌ في حيرةٍ وازورار

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) رأى النبي (ﷺ) توثيقاً لعرى المودة بين المهاجرين والأنصار أن يؤاخي بينهم. فكان يختار واحداً من هؤلاء، وواحداً من أولئك، ويربطهم برباط الأخوة المعنوية ولما فرغ من الجميع آخى بين نفسه وبين فتاه الربيب عليّ، فآثره على كل حبيب بعيد وقريب.

حلم عاتكة[1]

ورأت عمّة النبي مناماً ... فتلظّى جنانها بأوارِ

عاتك رُوّعت فجاءت أخاها ... والصباح الكسول قيد إسار[2]

فيقول (العباس) ماذا أخطبٌ ... أم أقاصيص مرأة مهذار؟

طار قلبي، حلمت أن نذيراً ... يا لهول النداء والإنذار!

«شمته راكباً بعيراً رهيباً ... صاخباً فوق فحله الهدّار

«صاح يا غادرين للموت هبُّوا ... لقبور تثاءبت في انتظار

«وإذا الناس حوله تتهاوى ... كتهاوي الذباب في الأقذار

«ثم أهوى بصخرة كالجبال الشـ ... ـمّ همّت سفوحها بانهيار

«ورأيت الصخر العظيم يدوّي ... كلّما زاد وثبةً في انحدار

«زلّ في البدء كالبعير وئيداً ... ثم طفراً كالظبية المحضار

«وتبدّى كالسّيل ينقضُّ في ... الأحناء من غيث ديمة مدرار

كالصقور الخفاف في أثر العصـ ... ـفور زلّت عن راحة الصقّار

«ثم أضحى يسابق الطرف والآذان ... صُمّت من صعقة التهدار

«بل تمادى في الجري حتى حسبت ... الأرض مادت بالنيزك السيّار

---

(١) حلمت عاتكة عمة النبي أخت العباس حلماً راعها ففزعت إلى أخيها العباس تقول : يا أخي إني رأيت الليلة رؤيا روعتني وإني أتخوف أن يدخل منها على قومك شر، فاكتم عني أحدثك، فقال ماذا؟ قالت رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. وسمع أخوها فتجهم ولكنه لم يكتم واتصل خبر الرؤيا بأبي جهل فانطلق إلى العباس ساخراً يقول : يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ (السيرة وعبد المقصود).

(٢) الإسار : القيد والمراد أنها استعجلت طلوع الفجر إذ وجدته بطيئاً لكثرة اضطرابها.

«حطَّ في ساح مكة واستطارت ... فلذات لهّابةٌ بالشرار

«كشظايا البركان لم ينجُ بيت ... من لظاها فراح طعمة نار

«حزَّ في مسمعي عويل اليتامى ... والأيامى تشقّ ذيل الخمار

«قفّ شعري، وزاغ طرفي، وخارتْ ... قوتي وارتميت بعد الدوار

«وأراني استفقت والرعب ملئي ... وكأني من هوله في إطار»

ذاع أمر الرؤيا بمكة ... والأخبار تفشو كريحة المعطار

فأبو (الجهل) هازئ يتهادى ... ملء عطفيه قهوة الخمّار

«يا بني هاشم» يقول «كفانا ... أنبياء منكم فكمّوا الجواري»

***

صدقت عاتكٌ فغبّ ثلاث ... بكر القوم منذر لا يماري

«أدركوا العير فاللطيمة باتت ... كالغرانيق بين سِرب نسار

«جَيّشوا جيشكم فإنّ أبا ... سفيان يدعوكم بَدار بَدار

«إن يفزْ أحمدٌ تموتوا جياعاً ... ذلة الفقر بعد عزّ اليسار

«فاشحذوا كل مخذمٍ عبشميّ ... وهلمُّوا إلى القنا الخطّار[1]»

***

جلجل الجيش فوق كل ذلول ... وكُميت وأدهمٍ طيَّار

بينهم كل فارس قرشيٌّ ... لا يبالي بالضّيغم الزّأار

ضجت الأرض بالمناسم وطأً ... فقطارٌ يعجُّ خلف قطار

والكنانات والدروع الضوافي ... والسيوف الحدباء بيض الشفار

ورماح لهاذم وقسيّ ... تتدلى من جانب الأكوار

(وأبو الجهل) يقطع السهل مختـ ... ـالاً ينادي بالعسكر الجرار

---

(١) عبشمي : في النسبة إلى عبد شمس.

«جـولة من كـمـاتنا وابن عـبـ ـد الله يغـدو فـريسـة الأثمار»

سـادرٌ جـاء بالقـيـان تغني ناقـرات الدفـوف والقـيـثـار

فكأن الخليع جـاء لعـرسٍ فـيـهـز البـيـداء بالأوتار

ينهل الخـمـر من أكفّ البـغـايا ويواري مـجـونه بالقـتـار

ذلك الليل لن يطول فـودّع يا أبا الجـهل عـصـبـة السُّـمَّـار

مـتّع النفس بالخـلاعـة والسـمـ ـع يصـخب الطبـول والمزمـار

وتَنعَّمْ بالفـوح من طيب نجـدٍ آذن الليل بانطفـاء العـرار

يغـرق المرء بالرفـاه فـيـعـمى ويكون العـمـاء بدء احـتـضـار

وعـد الله عـبـده الفـوز والأنـ ـصـار حـفَّـت بالكوكب النوّار

يستجيبونه كـمايستجيب السـ ـيف زند الغـشـمـشم المغـوار

«أينمـا شـئت سـر بنا فنلبي وحـفـاة ندوس وهج الحـرار

ونخـوض الأمـواج عـبـر جنون الهـول فـيـهـا والخضـرم الفـوّار

سـارت العـصـبـة الضئيلة عـدّاً وعـتـاداً وضـمّـراً ومـهـاري

راجـلاً يقطع الفـلاة عليٌّ ولهـيب الرمـضـاء لذع جـمـار

فـيـراه مـحـمـد ويرق القلب والعين للفـتـى الكرار

فـينيخ البـعـيـر يدعـو عليّـاً تـوأم الحب تـوأم الأسـرار

ومـتى آزر الحـبـيب حـبـيـبـاً شام عـرض الصحـراء كـالأشـبـار

***

بلغ العـسكران (بدراً)[1] فَـحَـلاًّ من مـسـيل البطحـاء في الأشـفـار

(١) كانت معركة بدر هذه فجر انتصار للإسلام، وقد أبلى فيها علي ـ على حداثة سنه ـ بلاء عظيماً. فبطش بأشد أبطال مكة ومنهم حنظلة والوليد وابن سعيد. وعندما نزل المسلمون بدراً، وقبل نشوب المعركة ظمئوا ظمأ شديداً، وألقى الشيطان في قلوبهم القنوط، وكان الوادي دهساء أي ليناً كثير التراب، تسيخ فيه الأقدام، فبعث الله المطر فانطفأ الغبار ولبدت الأرض، وملئت الأسقية وطابت النفوس، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على

كلُّهم ينشد القليب[٢] فإن الـ ـفوز في القفر حوزة الآبار

أشفق المسلمون من دَهَس البطحاء من سهل تربها الموّار

ومن الظمء فالخلوق تلظَّى في جسوم تشققت من سعار

ويزيد الضرام وشك التحام القوم فالحقد في الحشا والمرار

قام بين الجمعين جسر من البغضاء صَكّ الأنظار بالأنظار

سأل العبدُ ربَّه في خشوع فأجاب الرحمن بالأمطار

فكأن النجوم سالت غيوثاً وكأن السحاب من أنهار

وغدا الوعْثُ كالسواعد صلباً إنْ تبارت للحصد والإثآر

مطرٌ كان رحمةً ونعيماً فأعاد الحياة للأبرار

فاستطابوا رقادهم في أمانٍ رقدة الطفل ناعماً في دثار

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

= قلوبكم ويثبت به الأقدام» وعن علي (رضي الله عنه) : ما كان فينا ليلة بدر قائم إلا رسول الله يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده. وقبل نشوب المعركة أشار النبي إلى مصارع أعدائه فقال : هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً، ووضع يده على الأرض «وهذا مصرع فلان. فكان كما قال ورفع يديه إلى السماء بعد ما رأى قوة عسكر أعدائه، وقد أقبلت قريش بالدروع الساترة والجموع الوافرة والأسلحة الشاكية، فقال «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها تجادلك وتكذب رسولك، فأنجز نصرك الذي وعدتني إنك لا تخلف الميعاد، اللهم أهلكهم الغداة. وفي رواية : اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة الخ» (السيرة).

(٢) القليب : البئر.

بَدْر

حَـمل الليل من صـمـيم الدعـاء ... مـا أهاج الحـزون في البـيـداءِ
سـال طلّاً على جـبين الروابي ... وضـيـاءً في مـعطف الظلـماء
أحـمـد السَّـاهر الوحـيـد يصلّي ... يغـرق الخـوف في صـبـاح الرجـاء
«يا إلهي اكـفني قـريشـاً وألبس ... أرض بـدر مطارف الخـيـلاء
«يتـحـداك جُـهَّلٌ أبطرتهم ... نعـمـة منك يا وليَّ السـخـاء
«يبـتـغـون انطفـاء نورك إذ ... يبـغـون قـتل الزهاد والأبرياء»
وإذا بالنبيِّ في شـبـه رؤيا ... تكشف الغـيث واضـحـاً للرّائي
مـدّ سـبَّـابة يشـيـر إلى الغـبـراء، ... يحـصي مـصـارع الأشـقـيـاء
لا تسلُّوا السـيـوف إلّا دفـاعـاً ... ودعـوا للعـدو بدء العـداء
«وانضـحـوهم بالنبل وادّخروا الأنصـ ... ـال حـتى تقـاربوا في اللّقـاء
ودعـا (بالعـقـاب) رايتـه السـ ... ـوداء منسـوجـة بكفِّ الضِّـيـاء
واصطفى حـيـدر العـصـور عليّـاً ... فلواء يعـتـزُّ فـوق لواء
سوف يغـدو لون (العقـاب) عـقـيقـاً ... مـسـتطيـراً في الراية الحـمـراء
وتـنادوا إلى الـبـراز دراكـاً ... وهو بطش الأكـفـاء بالأكـفـاء
كنسـور يخفّ من كل سـربٍ ... واحـد يسـتـهين بالأرزاء
تتـلاقى الأحـداق وَمْضَ شـهـاب ... يرتمي في المناسـر الربداء[1]
فـإذا خـرّ للحـضـيض قـتـيلٌ ... بقي الحيُّ سـيِّـد الأجـواء

* * *

(١) الربداء : الغبراء.

جـــال في حـــومـــة البـــراز عليٌّ ... جـــولة الليث في قطيع الشـــاء

لا يدانيـــه في الصـــيـــال كَـــميٌّ ... غـــيـــرُ عَـمّ مـــوكَّلٍ بالـفناء

هو كـــالنخل قـــامـــةً وانطلاقـــاً ... والنضـــار الإبريز حـــسن رواء

مـــفـــعم الســـاق والذراعين والـ ... ـكفين، عـــبل العـــروق والأحناء

حـــبكة الدوحـــة المريدة جـــذعـــاً ... فـــهـــو طود منسَّق الأعـــضـــاء

خطوهُ وثبـــة النمـــور خـــفـــافـــاً ... مـــبـــرزات أنيـــابهـــا للرعـــاء

ودم في عـــــروقـــــه يتنزّى ... كـاحـتـدام الهـجـيـر في الرمـضـاء

أســـد الله (حـــمـــزة)[1] لا يبـــالي ... بالمنايا فـــالتـــرس حلي نســـاء

شـــيـــمـــة النار غلغلت في هشـــيمٍ ... لـــيـس تـعـنـى بـنـظـرة لـلـوراء

***

وعليٌّ عند اللقـــاء عـــيـــونٌ ... واتّـزان ودربـة الحـكـمـــــاء

يخـــسف الســـهل والجـبـــال ويبـــقى ... وعـــيـــه الفـــذّ في السنى والصـــفـــاء

كـيـفـمـا جـئـتـه لقـيت مـجـنّاً ... يصـــرف الموت نفـــخـــة في الهـــواء

يسـحب السـيف ذا الفـقـار[2] رهيـفـاً ... ويدوي بالضَّـــربة العـــصـــمـــاء

لمعـــة البـــرق في الســـحـــاب ورعـــد ... وقـــتـــام ينجـــاب عن أشـــلاء

صـــامتٌ في الطعـــان صـــمت رياحٍ ... منذرات بالعـــصـــفـــة الهـبـوجـاء

فـــإذا ولـولـت فـظـلـمـــــة نقـع ... قـد تريك الفـضـاء غـيـر الفـضـاء

---

(١) كانت لحمزة بن عبد المطلب، الملقب بأسد الله وأسد رسوله، غضبة الليث في المعركة لا يخاف ولا يبالي، فيندفع كلسان النار بين الأعداء لا يرى إلا فريسته فيجري إليها بطاشاً غير حذر، ولقد علم أعداؤه فيه هذا التهور في الشجاعة فكادوا له في معركة أحد كما سيأتي. وأما علي فقد تهيب الناس فيه صدق حمله وحد نصله، وكانت يقظته لا تغادره لحظة مهما تأجج لهب الحرب بل يظل أبداً متمالك الأعصاب. (عبد المقصود).

(٢) ذو الفقار هو لقب سيف النبي الذي أهداه إلى علي، فكان بين يدي أبي الحسن، آية الخلود في عالم البطولة. وهو الذي قال فيه القائل :

لا سـيـف الا ذو الفـقـار ... ولا فـتـى إلا عـلـي

صرصرٌ تلطم الجذوع وتلقي ... كل تيَّاه غابة شجراء

يعرف الكرّ حيدر ليس يدري ... الفر إلا سجية الأعداء

لا تفرّ الحصون مهما تعالى ... السيل وانصَبَّ من فم الدأماء

تصمد القلعة المنيفة جذلى ... وتصد الأمواج باستهزاء

ظلها يغمر السيول فتجري ... صاخباتٍ من زهوة الكبرياء

فاتها النصر فهي تختال فخراً ... إنّها لامست ذيول البناء

وهي تروي للبحر أيَّ رسوخٍ ... وعلوّ في القلعة الشمّاء

***

أعمل الفتكَ في أميَّة حتى ... تخم السيف من سموم الرياء

حنظل والوليد وابن سعيد ... وحماة الوطيس في اللأواء

نالهم ذو الفقار نيل ضرام ... شبّ طيّ السنابل الحصداء

وتبارى الجمعان ضرباً وطعناً ... وانثنت كل صعدة سمراء

والسهام الحداد طشّ جراد ... ترتمي في الصدور والأعضاء

فتردّ الأفراس، خيلَ قريش ... سابحات في بحرة من دماء

عابرات على جسبين (أبي جهل) ... فبعداً للحيَّة الرقطاء

كان فرعونَ أمة مستبداً ... ينهل الخمر من دم الضعفاء

إنما الله حرب كل عتيّ ... ونصير الصيَّابة الودعاء

***

بدر يا فجر أمّة أغرقتها ... ظلمة الجاهلية العمياء

بدر يا مستهلّ خير جهاد ... وابتسام التاريخ للأنباء

يا نواة الجهاد تنبت خصباً ... ممرعاً في جوانب الصحراء

أنبتت دوحة الكرامة فالأغصان ... خضر في أفق كل سماء

نضـــرة في عـــروقـــهـــا وشـــبـــاب سـ ـــرمـــديّ في الدولة الخـــضـــراء

فـــالنجـــيع الزكيّ روّى ثـراها كلّمـــا اشـــتـــاق لبّـــهـــا لارتواء

ذاك أن الخلـود يهـــوى شـــرابـاً طيّب الفـــوح من دم الشـــهـــداء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

زواج عليّ

عـــاد إثر الوقـــيـــعـــة البكر ليث ... رمـــقـــتـــه القلوب بـالإيماءِ
ســـار خلف النبي غـــيـــر حـــفـيّ ... بـالـريـاحين في أكـفّ الإمـــــاء
قـــادمـــاتٍ من يثـــرب بالمثـــاني ... بالـزغـــاريد طلقـــة بـالغِناء
نـاقـــرات الدفـــوف بالراح حـــمـــراً ... فـــالعـــذارى في مـــوسم الحنَّاء
ســـار والوجـــه حـــائر كـــشـــريدٍ ... ضلَّ في اللَّيل مـــوطن الأنواء
عـــابســـاً تـارةً وطوراً تـنمُّ ... العين عن بهـــجـــةٍ وطيف هناء
يلمس الدرع فـــيـــئـــهُ وهي كنزٌ ... لفـــقـــيـــر لم يلتـــفت للثَّـــراء
أتـراها تـفي بمهـــر عـــروسٍ ... أتـراه يُـردّ ردّ جـــفـــاء؟
وأبوهـا ! لو رام عـــدل صـــداق ... مـــال قـــارون ظلَّ دون الوفـــاء
دون مـــا تســـتـحق إيوان كـــسـرى ... والـلآلـي وحـلـيـــة الـزبّـاء[1]
ولـو أن الـدَّهـنـاء تِبـــرٌ لـكـانـت ... بـعـض شيء بـجـــانـب الـزهـراء
بضـــعـــة من أبٍ عظيمٍ يراها ... نور عـــينيـــه مـــشـــرقـــاً في رداء
فـــهي أحلى في جـــفنه من لـذيذ ... الحلم غبّ الهـــجـــود والإعـــيـــاء
وهي قـطب الحنان في صـــدر طه ... واخـــتـــصـــار البنات والأبناء
غـيَّب الموت من خـديجـة وجـهـاً ... فـــإذا فـــاطمٌ مـــعين العـــزاء
تحـسب الكون بســـمـة من أبيـهـا ... فـــهي أمّ تـذوب في الإرضـــاء
هـالـهـــا مـــا يناله من عـــذابٍ ... وامـــتـــداد الكفـــار في الأســـواء

---

(١) الزباء هي زنوبيا ملكة تدمر والعرب تسميها الزباء.

وتراهم يرمونه بحجارٍ أو يكبُّونه على الدقعاء[1]

فجراحٌ كأنهن شفاه شاكيات لله فرط البلاء

فاطم تمسح الجراح بعينٍ حين تنهلّ أختها بالبكاء

***

جاء بيت النبي والقلب خفق فهو في مثل رجفة البرداء

قال : «إني ذكرت فاطمة[2]» وانبثّ صوت مكبَّل بالحياء

فأجاب النبي : أبشر عليّاً خير صهرٍ مشى على الغبراء

بيعت الدرع في الصداق وزفّت لعلي سليلة الأنبياء

هو خير الأزواج عفّة ذيل وهي خير الزوجات من حوّاء

في نقاء السحاب خلقاً وطهراً في صفاء الزنابق العذراء

ويضم النبي تحت جناحيه المديدين منية الأحشاء

فعليٌّ وزوجه منه بعض شيمة الكل شيمة الأجزاء

رفرف السعد فوق كوخٍ حقيرٍ لم يدنَّس بقسوة الأغنياء

إن تكن قسمة الغني متاعاً فالإله الرحمٰن للأتقياء

ذلك البيت بعد (غمدان)[3] باقٍ ذكره يملأ الزمان الثنائي

---

(١) الدقعاء : الأرض، ومن هذا القبيل قولهم : فقير مدقع أي ألصقه الفقر بالتراب.

(٢) جاء علي يخطب فاطمة من أبيها (ﷺ) ولكنه ما بلغ الباب حتى أخذته الرهبة، فقد ذكر أن أبا بكر جاء رسول الله يطلب منه فاطمة فلم يفز منه بغير أن أجاب : أنتظر بها القضاء. وكذلك كان جواب النبي (ﷺ) لعمر، وبعد تردد كثير دخل على مربيه وابن عمه (ﷺ) فقال له النبي باسمًا، ما حاجة ابن أبي طالب؟ فغالب الفتى حياءه هنيهة ثم أجاب : ذكرت فاطمة يا رسول الله. «مرحباً وأهلاً» بهذا اليسر تمت خطبة علي، وبمثله وأيسر منه تم زواجه الذي كان أغلى أمنيات الحياة عنده. وحمل الشاب درعه التي أفاءتها عليه (بدر) فباعها بسوق المدينة بدراهم دفعها إلى رسول الله مهر ابنته. واجتمع في دار النبي ليلة الزفاف، أهله والكثرة من صحبه المهاجرين والأنصار. فخطبهم الرسول بما اقتضاه المقام. وقال في ختام حديثه : إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي وإنني زوجتها منه على اربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة. (عبد المقصود).

(٣) هو القصر المعروف بهذا الاسم في اليمن وقد بلغ من الزخرف والأناقة منتهى ما بلغته حضارة الأقدمين في فن البناء.

ويحـــول القـــصـــر المنيف رمـــاداً فـــيـــذوب الهـــبـــاء إثر الهـــبـــاء

ويصـــــون الخلـود دار شـــــريف زيّنتـــهـــا بســـاطة الفـــقـــراء

***

مـــرَّ عـــامٌ فـــاســـتـــقـــبل الكوخ طفـــلاً بثّ فـــيـــه البـــهـــاء كل البـــهـــاء

فـــدعـــاه الأب الغـــضنفـــر (حـــربا) يحـــسب الحـــرب أنبل الأســـمـــاء

(حـــسن) قـــال جـــده فـــالتـــمـــاع الحـــــسن فـــيـــه تـــدفق اللألاء

حـــال حـــولٌ فـــلاح فـــجـــرٌ جـــديدٌ وصـــــبيٌّ مـــــغـــلَّفٌ بـــالـــسنـــاء

وعـلـي يكـاد يـدعـــــوه (حـــــربا) ألف الليث لـذة الهـــيـــجـــاء

فـــيـــجـــيب النبي : هذا حـــسين هو ســـبطي وخـــامس في الكســـاء[1]

وعلت جـــبـــهـــة النبي طيـــوف كـــوشـــاح الغـــمـــامـــة الدكناء

لمح الغـــيب ! يا لهـــول الليـــالي مـــرعـــداتٍ بالنكبـــة الدهيـــاء

وكـــأن الجـــفـــون تنطق همـــســـتاً «يا إلٰـــه الســـمـــاء صن أبنائي»

(١) جاء النبي (ﷺ) بيت علي في يوم بارد وكان علي وفاطمة وولداهما قد لجؤوا إلى فراش واحد، ووضعوا فوقهم ملحفة يستدفئون بها لشدة الفقر والبرد، فدخل (ﷺ) معهم تحت الملحفة، وجاء جبريل وهم على تلك الحالة فتمنى أن يكون سادسهم. (السيرة الحلبية).

أحُد[1]

ترك النصر في النفوس ذحولا ... وبكاء مضرَّجاً وعويلا
كلما قارب الضرام انطفاء ... راح (صخر) يمدّ فيه الفتيلا
زوج هند، ألدّ أعداء طه ... وأخسّ الأنام خلقاً وقيلا
قزمّا كان في الرجال دميماً ... وزنيماً وقُعدُداً مهزولا
سوّدوه لماله، والمرابي ... يفتح الشر للنضار سبيلا
يجمع المال من فجور البغايا ... ومن العهر يشرب السلسبيلا
فالدنانير ريحة العار فيها ... لوّثت أنفساً وخاضت وحولا
ورث الحقد عن أميَّة طفلاً ... ومذ اشتدَّ حارب التنزيلا

***

قاد للحرب أهل مكة إلا ... دارجاً قاصراً وشيخاً هزيلا
فجبالٌ تمور خلف جبالٍ ... وتغطّي مفاوزاً وسهولا
وقيان يثرنَ ملء الفضاء الرحب ... سحراً مغرّداً وهديلا
في الجلابيب زاهيات كلون الشمس ... في اليمّ لا يطيق الأفولا
ضمها في وداعه فهي خجلى ... حمَّر البحر خدها تقبيلا
متلعات أجيادهنَّ ملاحاً ... كاشفات أساوراً وحجولا
ملقيات من الهوادج للفرسان ... غمزاً ومحجراً مكحولا

---

(١) في غزوة أحد خرج أبو سفيان وزوجه هند بجيش خليط من القرشيين والحلفاء والأحابيش، وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا. وقبل المسير إلى أحد قال الرسول: رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح وكأن ظبة سيفي انكسرت، وهما مصيبتان فسئل عن تأويلهما فقال: أما البقر فأناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيته في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل. (السيرة).

منشـــدات من الحـــمـــاســـة أبيـــاتاً ... تهـــزُّ الجـــبـــال عـــرضـــاً وطولا

فـيـثـرن الأبطال لـلفـتـك، والنسـوان ... تغـــوي فـــتـــســـتـــخف الطلولا

هـاجـــيـــات مـــحـــمـــداً بكلام ... يتـــرك الصـــخـــر دامـــيـــاً مـــفلولا

تـلـك هـنـد تـقـــــودهـن، وهـنـد ... شـــــر من أيقظ الهـــوى والميـــولا

تشـــرب الإثـم طلقـــة لا تبـــالي ... ذئبـــــة لا تـود إلا الـوصـــــولا

مَنْ أمـــات الوجـــدان والقـلـب خنقـــاً ... لا يرى في ضـــلاله مـــســـتـحـيـلا

***

أحـــــدٌ غصَّ بالجنائب والأرعـــــال ... تضـــفي على الرغـــاء صـــهـــيـــلا

والأحـابيش من رعـاع أبي سـفـيـان ... حلَّت في الطود حـــمـــلاً ثقـــيـــلا

راية المشـركين في كفّ (عـبـد الدار) ... تدعـــو إلى البـــراز الفـــحـــولا

أرجف الأرض (طلحـة)[1] يتـحـدى ... باسطاً للنضـــال باعـــاً طويلا

وهـــو فـي زهـوة الـطـواويـس دلاً ... وزئيـــر الأســـود تمنع غـــيـــلا

وإذا بالذي يســـابق درَّ الغـــيـث ... خلقـــاً وصـــارمـــاً ومـــقـــولا

بعلي، يجـــري إليـــه سكوتًا ... شـيـمـة الصـقـر يأنف التـهـويلا

أوجـز السـيف خطبـة الموت حـتى ... لم يشـــأ من جـــلاله أن يقـــولا

ضـــربةٌ أدمت الأثيـــر فـــأردت ... وتوالى دويّهـــا مـــوصـــولا

خفّ (عـثـمـان) ثائراً لشـقـيق ... ولواء لا يرتضـــيـــه ذليـــلا

---

(١) برز طلحة ـ وهو زعيم بني عبد الدار، حاملي اللواء يوم أحد ـ مدلاً بالبطولة والفروسية، يدعو نظائره من رجال المسلمين إلى المبارزة، فأسرع إليه ابن أبي طالب مستجيبًا لدعوته في غير ما صلف ولا كبرياء، وما هي إلا لمعة سيف في ضوء الشمس حتى لقي ذلك المدل المغتر رجفة الموت على يد الشاب الحيي المتواضع. ثم برز أخوه عثمان يلقف الراية التي تفلتت من بين أصابع أخيه المجندل الصريع، فما هم حتى بطشت به كف القسورة (حمزة) ولما آن لثالث الإخوة من بني عبد الدار وقت حينه، رماه قدره هو الآخر فريسة سهلة المنال في يد علي فأصماه ولما يكد، لأن حرص ابن الدار على بقية أنفاس الحياة التي كانت تتردد في صدره جعله يفر بجرحه المميت من وجه البطل : متخذاً من عورته درعًا يكف عليًّا عنه ويقف له دون الإجهاز عليه. (عبد المقصود).

فـــإذا حـــمـــزة يهـــزُّ قناة ... خـــضـــبت رافع اللواء جـــديلا

ومـــضى ثالث الصـــريعين يهـــوي ... بالرديني للطعـــان عـــســـولا

فـــرمـــاه على الرغـــام علي ... فـــاتقـــاه بعـــورة مـــخـــذولا

عـــورة يكشـــفـــونهـــا، فـــيـــغضّ ... الطرف، ليث جـــاز الحـــيـــاة نبـــيـــلا

طرفـــه الثبت يصـــدع الشـــمس ثقـــباً ... ويولي عن القـــبـــيح مـــهـــولا

***

واستـمـات الجـمـعـان في النقع، والأسـ ... ـمـاع صُكَّت فـــلا تسـيغ الصليـــلا

والمجلى النقع عن عـــتـــاد قـــريش ... ســـائبـــاً والفلول تقـــفـــو الفلولا

فـتـعـادى الرمـاة للغُنم والأسـلاب ... والمال يبـــهـــر الضـلّيـــلا

وتناســـوا أمـــر النبي[1] يقـــول : ... «النبل لا غـــيـــره يصُـــدّ الخـــيـــولا

فـاسـتـجـدوا القـسيَّ وارمـوا سـديداً ... وازرعـــوا منحـــر الجـــيـــاد نصـــولا

والبـــثـــوا في مكانكم ولو أن ... الأرض مـــادت وأوشكت أن تزولا»

***

(١) خالف الرماة أمر النبي يوم أحد إذ أمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : انضح الخيل عنا بالنبل واثبت مكانك إن كانت لنا
أو علينا. وفي رواية : إن رأيتمونا ظهرنا على القوم فلا تبرحوا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، أو قتلنا فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم.
وانهزم المشركون في بدء الوقيعة أي انهزام، وولوا لا يلوون على شيء رغم تحريض هند زوج أبي سفيان ومن أحاط بها من النساء والقيان، يضربن الدفوف قائلات :

نـحـن بـنـات طـارق ... نمشي على النمـــارق ... مـــشـي القطا النوازق
والمسك في المفـــارق ... والدر في المخـــانق ... إن تقـــبلوا نعـــانق
ونفـــرش النمـــارق ... أو تدبروا نفـــارق ... فـــراق غـــير وامق

ولما رأى الرماة انهزام المشركين فارقوا محلهم الذي أمرهم النبي (ﷺ) ألا يفارقوه، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فلم ينتهوا وأقبلوا يستلبون الغنائم وينتهبون. فنظر خالد بن الوليد وكان قائد فرسان المشركين في ذلك اليوم، إلى خلو الجبل من الرماة، فكر بالخيل كرة السيل وقتل من بقي من الرماة مع أميرهم عبد الله.
ودخلت خيول المشركين جيش المسلمين وهم آمنون فحدثت البلبلة الكبرى وانتقضت صفوف المسلمين وصار يضرب بعضهم بعضًا وكانت كارثة أحد وهي الوقيعة الوحيدة التي دارت فيها الدوائر على أصحاب النبي فكانت الهزيمة الأولى والأخيرة. (ملخص عن السيرة).

أفـــرجـــوا ثغـــرة لخـــيل قـــريش ... فطوى الســـعـــد بنده مـــشلولا

ومـــــتى آذن الزمـــــان بغـــــدر ... فـشـعـاف الجـبـال تهـوي سـفـولا

واستـحـرّ الضـرابُ، وانهـزم الأبطال، ... نـاسـين أن فـــيـــهـم رســـولا

وأصـــيب الرأس الشـــريف بجـــرحٍ ... لـفّـــــه الله بـالـسـنـا مـنـديـلا

وتولّى أصـــحـــابه غـــيـــر ســـورٍ ... من قلوب تبـتّلت تبـتـيـلا

فـاتحـات صـدورها لـلسـهـام الزرق ... تـهـوي على الجـســوم ســيــولا

يتـــقـــيـــه (أبو دجـــانة) حـــتى ... طـوّق النـبل رأســـه إكـلـيـلا

ويرشّ النبـال (سـعـد)[1] غـمـامـاً ... في صـدور الأعـداء شـقّ المسـيـلا

وعـلـيّ حـــاط الـنـبي بســـورٍ ... من رؤوسٍ أقـــام منـهـــا تـلولا

ثـابتٌ والجـــراح مـــدت رداء ... من عـــقـــيق غطاه إلا قـلـيـلا

---

(١) بقي حول النبي حفنة من الرجال لم يثنهم الهول عما نذروا أرواحهم له، فكانوا حوله كالسوار حول المعصم. في جانب وقف علي وهو لا يستطيع أن يلهم سيفه السكون لو أنه أراد، يتنقل بين الرقاب والقلوب ويروي نصله بالدم إن كان يرتوي حديد، وفي جانب كان سعد بن أبي وقاص يذب بقوسه ويرميهم بنباله حتى نفدت، وفي جانب آخر بطل الأنصار أبو دجانة الذي اشتهر عنه أنه عندما كان يخوض الوغى كان يعصب رأسه بعصابة يسميها عصابة الموت، كتب على أحد طرفيها : نصر من الله وفتح قريب. وعلى طرفها الآخر : الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار. . . وجرح النبي بضربة حجر فظنه أعداؤه قد مات فسر لهذا الخبر أبو سفيان وزوجه هند وفرحت بالنصر، ولكن عينيها وقعتا في جانب الميدان على منظر حز في قلبها ثانية، لقد رأت حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله يمزق المئات من رجالها، وهو في قامته المديدة يتميز عن سائر من حوله ولو من بعيد، وهو المعروف بحسن سمته، وأناقة ثوبه، وهو المعلم دائماً بريش النعام في صدره أو على قلنسوته، ونظرت في من حولها، فرأت عبداً حبشيًا يدعى وحشي يحمل حربة مسمومة يطعن بها من بعيد على عادة الحبشة فدعته إليها وصاحت به وبها (أبا دسمة) إنك تقذف برمحك قذف الحبشة ولا تخطئ، فاعتدل في وقفته وهز الحربة حتى إذا لاحت له فرصة انكشاف بطن حمزة الذي تعثر بجثث القتلى دفعها فوقعت في أحشاء البطل فسقط مجندلاً على الحضيض، فهجمت هند على الجثة واستلت خنجراً أغمدته في الجسد الطريح تمثل به أشنع تمثيل. فصلمت أذنيه، وجدعت أنفه، وغورت عينيه ثم تركت النصل يعبث ما شاء له جنون الغل في قسمات الوجه، ثم بقرت بطن حمزة وأخذت كبده النابضة بالحياة بعد ووضعتها في فمها فلم تسغها فلفظتها. ثم مر بالجثة زوجها أبو سفيان فشمت بحمزة وهز رمحه في يده هنيهة مدلاً مستعزاً وتقدم فضرب به في شدق الجثة قائلاً : «ذق عقق ! ذق عقق !» ومر به في تلك اللحظة حليفه (الحليس) سيد الأحابيش فاستنكر نذالة أبي سفيان وقال : «سيد قريش يصنع بابن عمه ما أرى لحماً؟» فكاد يسقط الرمح من يد صخر لما اعتراه من خجل فقال متخابثاً متوسلاً لسيد الأحابيش اكتمها عني فقد كانت زلة». (عبد الفتاح عبد المقصود).

يا حبيب الرسول صبراً فماء الحوض يهفو لمقلتيك غسولا

***

قيل مات النبيّ فانبثّ صوتٌ خيلَ من فرط بشره ترتيلا

تلك هند وزوجها فأبو سفيان وغد أبوَّة وسليلا

تستحث الأبطال هند لحو الهاشميين دوحة وأصولا

هالها أن يصادم الجيش فردٌ وحده كان للألوف عديلا

قومها حوله قطيع نعاج مزّق الليث شملها تنكيلا

سلهب أشقر صبيح الثنايا لبس الحسن جسمه تفصيلا

معلمٌ صدره بريش نعام فبياض الصباح يعلو الأصيلا

ولحاظ كالنار ترمي جماراً مسعرات وما عرفن ذبولا

فهو زين الشباب قدّاً وزيّاً منذ ضم الحطيم إسماعيلا

أسد الله حمزة، عم طه وعليّ نعم الحسام صقيلا

ويح هند أكلما هزّ عضباً ألقم الموت للجحيم قتيلا؟

وإذا نصب عينها حبشي مثل ليل المريض بات طويلا

بين كفَّيْه حربة تخطف الأبصار وهجاً وتكسف القنديلا

لو رأى الفيل دارعاً ورماه نظم الدرع سنَّها والفيلا

دافها بالسموم من كل صلٍّ فحَّ ينساب أرقطاً زهلولا

شرّ تلك السموم تحريض هند تبذل الوعد طيِّباً معسولا

لاح للعبد (حمزة) يطرح الأبطال عصفاً يشبُّه تشعيلا

لمح البطن حاسراً فتبدَّت غرة المهر واثباً محجولا

هزَّها شعلة وزج فطارت صعدة شكت الصفاق الفتيلا

رمية الغدر أطلقت من بعيد وكذاك الوضيع يرخي الأثيلا

مـــال صـــرح البطحـــاء حـــمـــزة لما أُحـــدٌ كـــاد رأســـه أن يميـــلا

***

ســـرّ هنداً أن تشـــهـــد الدوح يذوي وإلى ربه يعـــود قـــفـــيـــلا

شـــحـــذت خنجـــراً وقـــامت إليـــه فـــرأى نصلُه قـــراباً جـــمـــيـــلا

غـاص في الهـيكل الشـهـيـد وحـالَ الحـقـد في جسم حـمـزةٍ تمثـيـلا

أعـــملت ذئبـــة النســـاء بكبـــد اللَّيث ناباً لعل تشـــفي الغليـــلا

فـرَّت الكبـد من فم العـهـر، فَرَّ البكرِ، من غـــاصبٍ لتـــبـــقى بتـــولا

فـــدعـــيـــهـــا للدود أطهـــر نفـــساً منك يـا هـند واتـركي المأكـــولا

زوجك الـذئب ليس أرفع خلـقـــاً والخـــسـيس المرذول يهـــوى الرذيلا

شـــامـــتـــاً مـــرَّ بالشـــهـــيـــد طروباً كـالعـريس السكّيـر عبَّ الشـمـولا

طاعناً بالقناة شـــدق قـــتـــيل صـار شـيـئـاً مـهـشـمـاً مـجـهـولا

يرهب الهـــر لبـــدة الليث حـــيّـــاً ويبـــاهي بنهـــشـــه مـــقـــتـــولا

أو ليس الســـرحـــان جـــد يزيد أورث الولدَ طبـعـه في الهـيـولى؟

***

ذاب قلب النبي[1] حـــزناً وغـــامت عـــينه تشـــهـــد المصـــاب الجليـــلا

دارت الأرض بالنبي فـــخـــال الأرض تبـــغي لهـــمّـــه أن تزولا

ورأى رقـــعـــة الحـــجـــاز وعـــرض السـهل والبـيـد لا تعـادل مـيـلا

---

(١) نظر الرسول (ﷺ) جثة عمه فلم ينظر إلى شيء كان أوجع لقلبه من ذلك فقال : لن أصاب بمثلك، ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا، رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات وصولاً للرحم، أما والله لئن أظفرني الله بقريش لأمثلن بسبعين منهم مكانك. وعن ابن عباس : أن الله أنزل في ذلك ﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ (الآية).
فعفا رسول الله وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه. وعن ابن مسعود : ما رأينا رسول الله باكياً أشد من بكائه على حمزة، فقد وقف على جنازة عمه وانتحب وشهق حتى بلغ به الغشي يقول «يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا مانع عن وجه رسول الله». (عن السيرة).

كلَّما مدَّ للبسيطة طرفاً ... تغرق العين بالنجيع طليلا

فقد أولاد أحمد لم يرعه ... مثلما راعه الغضنفر غيلا

أسد الله والرسول جهاداً ... أنبل الناس محتداً وقبيلا

ورثاه محمد بدموع ... ظل جفن الزمان منها بليلا

«كاشف الكرب في الطعان تصد ... الخيل يستتبع الرعيل الرعيلا

«يا رجاء الضيوف والعام جدب ... يوم يغدو الشهم الجواد بخيلا

«كنت فرد الزمان لولا علي ... وهو مني، وعنك بات بديلا

«لا تذرني يا خالق الخلق فرداً ... صُن عليّاً حساميَ المسلولا

«والعن الظالمين هنداً وصخراً ... لعنة تستمرُّ جيلاً فجيلا»

ثم ألوى على الشهيد يصلي ... ويطيل التكبير والتهليلا

يهدر المجد في العروق فتغلي ... وتصير الرؤى دماً مطلولا

شهداء لم يُغسلوا من دماء ... يا لطهر الكساء لف القتيلا

ورق الغار ديف بالمسك ... والأطياب والخلد زفّه مجبولا

شهدت يثرب رجوع النسور الشهب ... حمراً والخطب مرآ وبيلا

عبَّس النصر مرة لا تخافي ... فختام الويلات تلك الأولى

خجل البدر من ضلال قريش ... فتوارى والليل أرخى السدولا

الخَنْدَق[1]

جمع المشركين رحب فنائه ... حاقد ظل سادراً في عدائهْ

---

(١) تسمى غزوة الخندق غزوة الأحزاب أيضاً لأن أبا سفيان جمع الأحزاب على النبي (ﷺ) فحالف اليهود واستجابت لندائه بنو فزارة وسليم وبنو النضير وأشجع وغطفان، وبنو أسد وخزاعة، وأخلاط الناس، وكان عدد الجيش يربي على العشرة آلاف. ولما درى النبي (ﷺ) بما بيته أعداؤه دعا أصحابه وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في الأمر فأشار عليه سلمان الفارسي قال : إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا. فاستحسن الرسول (ﷺ) وصحبه هذا الرأي وعمد إلى حفر الخندق وكان يضرب بالمعول بيده الشريفة وقد أصابه وأصاب أصحابه كثير من التعب والجوع. وكان النبي يحمل التراب على ظهره الشريف. قال متمثلاً بقول ابن رواحة :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة ... فبارك الأنصار والمهاجره

وقال أيضاً :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إذا لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

وفي هذه الغزوة قال النبي (ﷺ) : «الجنة تحت ظلال السيوف». وبث المنافقون الأراجيف ليثبطوا العزائم وعلى الأخص عبد الله بن أبيّ ابن سلول وخاف الناس خوفاً شديداً فأنزلت الآية ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾

وفي غزوة الأحزاب هذه أو غزوة الخندق انبرى عمرو بن ود العامري للبراز وتحدى المسلمين، فقام علي فقال : أنا له يا نبي الله. فقال له : اجلس إنه عمرو بن ود ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ وأنشد أبياتاً منها :

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارزْ

إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام علي فقال : أنا له يا رسول الله. فقال : إنه عمرو بن ود. فقال : وإذا كان عمراً. فأذن له النبي وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال : «اللهم أعنه عليه. هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين» وفي رواية أنه رفع عمامته إلى السماء وقال : «إلهي أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي» ومشى علي إلى خصمه فقال عمرو : يا ابن أخي ما أحب أن اقتلك. فقال علي : ولكني والله أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك. وفي رواية أن عمراً قال له : غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فإني أكره أن أهرق دمك. فقال علي : والله ما أكره أن أهريق دمك. فغضب فاقتحم عن فرسه وسل سيفاً كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأقبل على علي فاتقاه بدرقته. فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف فشجه. فضربه علي على حبل عاتقه فسقط وكبّر المسلمون فعرف الرسول (ﷺ) أن علياً قتل عمراً. فقال : «إن قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين». (السيرة).

خالفته اليهود من كل فج ... يبعثون الدفين من بغضائه

علماً كان في عداوة طه ... فأظل الأحلاف رذل لوائه

وإذا ما العملّسُ الذئب أعوى ... يستخف الذُّؤبان شطر عوائه

واستجابت (فزارة) (وسليم) ... (ونضير) (وأشجعٌ) لندائه

واستحرَّت غطفان تدعو (الخزاعيين) ... و (الأسد) والشريد التائه

تجمع الجيفة الذباب فيهوي ... والدنايا تمده في عمائه

ورئيس الأحزاب أخبث خلق الله ... بث الأطياب في إغرائه

سار بالجيش زاخراً كاندفاع اليَمِّ ... هدَّ السدود في كبريائه

سد رحب الفضاء بالهَبوات السود ... تجري غمائماً في سمائه

خشي المسلمون هذا العباب المجر ... صمَّ الآذان من ضوضائه

يثبت الطود للرياح ولكن ... لا يصد الزلزال عن إحنائه

***

ويقول النبيُّ : لا تبدؤوهم ... كم نهار مغيبه في ابتدائه

فإذا أكره الحسام لحرب ... فاستجيبوه ساطعاً في مضائه

إنما الجنة العريضة فيض الله ... فسيض من نوره وبهائه

في ظلال السيوف إما يسلّ ... السيف كالحق حليه في عرائه

واستشار الأصحاب كل نبيه ... يستبين السداد في آرائه

إنها الحرب خدعةٌ، وسداد العقل ... نور، والنصر في أضوائه

***

كان في الصحب فارسي أريب ... يقطر الفهم سلسلاً من ذكائه

حمل الصفو من حضارة كسرى ... فهو الحبر وادعاً في كسائه

كان عبداً فصار حراً كريماً ... يصطفيه النبي في أصفيائه

هو (سلمان) زينة الفُرْس خلقاً ... وعرار الحجاز طيب وفائه

(خندقوا حول يثرب بحفير) ... تفقد الخيل زهوها بإزائه

محجمات تلوي الرؤوس فإن ... يقدم غوي فالموت في خيلائه

فتنادوا من كلّ ثبت أمين ... يستحر الإيمان في أحشائه

يبقر الأرض جاهداً ويواري ... عن لحاظ النبي بعض عيائه

لا يرى الأرض صلبة من سقاها ... عرق الكد سحّ من أعضائه

والنبي الهمام يفلق وجه الصم ... ضرباً والترب ملء ردائه

طاوياً ينقل الحجار ويدعو ... الله شكراً يزيد قدر ابتلائه

ومتى أصبح العظيم وديعاً ... تستميت القلوب في إرضائه

ويبث المنافقون سموماً ... فالسلوليّ شط في استهزائه

قال : هل يصدق الوعود نبي ... كسرة الخبز طرفة في عشائه؟

فيمنّيكُمُ بأموال كسرى ... وهو دون العديم من فقرائه

***

أقحم المشركون خيلاً عراباً ... تسبق الباز في عنيف ارتمائه

حلّقت فوق ثغرة يرتئيها ... الفارس النجد وثبة لعلائه

قادهم فارس يقود المنايا ... ويثير الوطيس بعد انطفائه

عامريٌّ عبل السواعد ليث ... ضجّ منه الحجاز في دهنائه

هو صقر الأحزاب عمرو بن ودّ ... أغرق الحرّتين في كبريائه

يتحدى الأبطال في الغمرة الحمراء ... صلباً والزهو ملء افترائه

روّع المسلمين شيباً ومرداً ... فادلهمّ النهار طي ضيائه

راح يدعو إلى البراز فخوراً ... كاختيال الطاووس في لألائه

«بارزوني يقول هل من شهيد ... قربته المنون من حورائه

«بحَّ صوتي هل من مجيب ندائي ... من رجال النبي من نصرائه؟»

نكَّسوا الهام رعدةً وحياءً ... وتداعت قلوبهم لدعائه

واستعاد النبي مَنْ لابن ودّ ... وجنان النعيم بعض جزائه

لم يجب طوع صوته غير صهر ... يبذل الروح باسماً لافتدائه

فيقول النبي لا ! ذاك عمرو ... هو نار الجحيم عند التظائه

خاف طه على أخيه فعمرو ... ليس في المشرقين من أكفائه

شبَّت النار في جفون عليّ ... طفح الكيل دافقاً في امتلائه

قال : إني له وإن كان عمراً ... وغلى كالهجير عند اصطلائه

وانتضى ذا الفقار سيف خلود ... لم تزل زرقة السماء بمائه

«يا إلهي هذا أخي وابن عمي ... فليكن نصره جزاء وفائه

«لا تذرني فرداً فغب (عبيد) ... (حمزة) الليث غاب قبل مسائه»

ومشى حيدر يروم هصوراً ... يلتوي الأخشبان قبل التوائه[1]

أيها النسر دونه كل نسر ... ليس غير النجوم في أجوائه

جلجلت فيك روح عبد مناف ... (وقصيّ) و (غالب) من ورائه

فتزينت أمرداً للمنايا ... تطرف العين رقَّة من حيائه

وازدراك الجبار، خاب عنيداً ... وتجاهى وشط في غلوائه

ما درى أنه يلاقي حديداً ... تستجير الرمضاء من رمضائه

ما درى أنه ينازل شبلاً ... غضبات الدهور في أصدائه

وانتضيت السيف المرنّ رقيقاً ... فيصل الحق عارياً من طلائه

فإذا بطشه رماد وذلّ ... وعسيون تبكي على أشلائه

كبَّر المسلمون لما رأوه ... جبلاً ماد في خضيب دمائه

ضربة ذكرها يظل فتيّاً ... بعد موت الزمان بعد فنائه

هالها الضيغمان كسرى وروما ... وتغنى الحادى بها في حدائه

---

(١) الأخشبان : الجبلان.

خَيْبَر[1]

قلعة السهل يا مطلّ الغمائم ... ومقر الخنى وكهف المآثم

ترمقين الحجاز نظرة كبر ... خطرة الزهو في أسارير غاشم

وتمدين في الظلام شراكاً ... للنبيل الكريم والد قاسم

هاكه جاء فاتحاً فاتقيه ... واتركي الدس واعمدي للصوارم

إذ يقول النبي للصحب هيُّوا ... لجهاد فالدين فوق الغنائم

إن تعيشوا فالقادر الحيّ راضٍ ... أو تموتوا فالقادر الحي دائم

***

(١) كانت خيبر معقل اليهود في الحجاز، وهي ذات حصون وقلاع أشهرها حصن (ناعم)، وكانت تياهة فخورة بحصونها، وفيها تحالك المؤامرات على النبي وأصحابه. ولما تهيأ علي للقتال في يوم خيبر قال له رسول الله (ﷺ) : يا علي والذي نفسي بيده إن معك من لا يخذلك، هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة يا علي إنك سيد العرب وإني سيد ولد آدم. وفي رواية أنه كان يعطي الراية كل يوم واحداً من أصحابه فيبعثه ويرجع ولم يكن فتح. فقال عليه السلام : «لأعطين اللواء غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، يفتح الله علي يديه، كراراً غير فرار» وفي الغداة دعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه فشفي للحال ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها. حتى يفتح الله عليك» وقد ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار في وسطه فخرج علي يهرول حتى ركز الراية تحت الحصن. وأول من خرج إليه من الحصن (الحارث) أخو (مرحب) وكان شجاعاً فانكشف المسلمون وثبت علي. فتضاربا فقتل الحارث. ثم خرج إليه مرحب وحمل على علي فضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه وراء ظهره ثمانين شبراً. وجاء أن مرحباً لما رأى أخاه قتيلاً لبس درعين، وتقلد بسيفين، واعتمّ بعمامتين ولبس فوقها مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

فخرج إليه علي وهو يقول :

انا الذي سمتني أمي حيدره ... ضرغام آجام وليث قسوره

وضربه علي فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف في الأضراس. (السيرة)

واستعاذ اليهود بالحصن شمخاً ... جاور الغيم والنسور الحوائم

تستحم النجوم فيه سكارى ... كالغواني تبرَّجت للمواسم

والمغيرون لا حصون تقيهم ... غير بيض الظُّبا وسمر اللهاذم

ويهودٌ ترميهم بصخورٍ ... صاعقات تنقضُّ من كفِّ راجم

أعجز المسلمين خصم عنيد ... إنه في السحاب في حصن (ناعم)

كل يوم يُعطى اللواء عقيد ... فيعود المساء والوجه ساهم

قائد تلو قائد يتولَّى ... واللواء الحزين كالقبر جاهم

كان ملء العيون في يوم (بدرٍ) ... وهو في (خيبر) ذليل راغم

***

يا لوجه النبي يربدّ وهو الطلق ... كالصُّبح في الربيع الباسم

حوله الصحب واجمين وجوم ... القفر في لجة الظلام الفاحم

وإذا بالرسول يرفع طرفاً ... ويشق السكوت لمعة صارم

قال إني غداً سأعطي لوائي ... رجلاً راح مفرداً في الأوادم

قد أحب الإله حتى كأن الله ... في قلبه خفوق ملازم

«وأحب الرسول حتى تحدَّى ... كلَّ ما ضمَّت الدُّنى من عوالم»

أعجز المخلصين قبلاً وبعداً ... والمحبين في العصور القوادم

وهو حبّ الرحمٰن وهو حبيبي ... قاسم مات فهو عندي قاسم

بطلٌ لا يفرّ لو فرّ (رضوى) ... ويصيد الرئبال والليث آجم

فاشرأبت آمالهم وتمنى ... كلهم أن يكون ذاك الضبارم[1]

يسلم المرء قلبه للأماني ... طالما غرَّتِ الأمانيُّ واهم

فاذا أصبح الصباح تلاشت ... وأباد الضياء أضغاث حالم

ودعا أحمد عليّاً وقال اليوم ... يوم اللواء، يوم العظائم

وعلي لا يهتدي لطريق ... أرمد العين، أحمر الجفن، وارم

---

(١) الضبارم: الأسد.

لامست أصبع النبي جفون ... النسر فالطرف كالمهند حاسم
يرمق الشمس لا يرفُّ ويبدي ... لذكاء جفونه والقوادم
وحباه سلاحه ذا الفقار العضب ... يهوي على الجلاميد فاصم
ويقول النبي : بشراك فاهناً ... سيد العرب لا يضيرك هاجم
وأنا سيد الأنام، وفوق الإنس ... والجن، والنبي الخاتم
«قاتلِ الكافرين حتى تقرَّ ... الدين والله بعد ذلك عاصم»

***

ومشى كاشف الكروب وثوبَ ... الليث يجري وراء خيط النعائم
ركز الراية المجيدة دون الحصن ... يختال نسجها في المكارم
فاستشاط اليهود غيظاً وكروا ... كرّة السيل والأسود الضياغم
أجفل المسلمون لم يبق منهم ... غير فرد عبل الكراديس دارم[٢]
فإذا (حارث) يصدّ عليّاً ... بحسام كالموت أحمر جاحم
لم تكن غير ضربة وتردى ... (حارث) كالبناء وهن الدعائم
فأتى (مرحب) أخوه يثير الأرض ... رعباً والجو رجع زمازم
ضجَّ كالليث زائراً من جراح ... فاغراتٍ، بات العشية صائم
غاطساً في حديد درعين كانا ... نسج داود يوم طالوت[١] حاكم
وعلى الرأس بيضة دس فيها ... صخرة ترجع الحسام شراذم
وحسامان صنعة الهند فالجب ... ار يستصحب المنايا قوائم
ويجر الرمح الرديني فيه ... شعبة تلتوي كلسن الأراقم
هزَّ في كفه المهنَّد هزاً ... يبعث الشيب في الغراب الداجم
ثم أهوى بضربةٍ لعليٍّ ... فأطار المجنَّ من كف خاطم[٢]
وإذا بالأمير يخلع باب ... الحصن ترساً ويتَّقي ضرب قاصم

---

(٢) السمين الصلب.

(١) هو شاوول.

(٢) خاطم : القائد.

هو باب الحديد كالطود ثقلاً ... محكم السبك كالصخور الصلادم

صرَّ عند انتزاعه كحنين البكر ... شامت فصيلها وهي فاطم

فحديدٌ غدا يفلُّ حديداً ... يا لصلب الفولاذ شد المعاصم

وكوى ذو الفقار كفّ علي ... يهتف : اضرب فليس حدي براحم

(مرحب) قد أطار ترسك فاغمد ... شفرتي إنني أليف الجماجم

واسقنيها حمراء صرفاً فخير الراح ... ما انبثَّ من عروق الغلاصم[3]

سمع الحصن مثل ولولة الزعزاع[4] ... صوتاً والرعد يرفضُّ هازم

فلق العضب هامة سيَّجتها ... خوذة فوق صخرة وعمائم

وعدا (ياسر) أخوه إلى ... الرئبال يسعى إلى المنية قاحم

أفلتته الحياة مثل انفلات الحب، ... في العقد، من بنان الناظم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٣) جمع غلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق.

(٤) الزعزاع : الريح الشديدة.

وادي الرمل والطائف وزبير[1]

أمن المسلمون شر الجوار ... فاستنامـوا لهدأة الأقدار

طيب القلب يسلم العين للأحلام ... تزهو كلمعة الدينار

غره النهر ساكناً وهدوء القعر ... أدهى من صاخب التيار

إن شرَّ الأمراض داء عميق ... يكتم الجلد قُبحَه ويواري

وألدُّ الأعداء خصم يحوك ... الغدر في غيهبٍ من الأسرار

---

(١) ملخص غزوة السلسلة أو غزوة الرمل هذه : أن أعرابياً جاء النبي فجثا بين يديه وقال له : جئتك ناصحًا. قال : وما نصيحتك؟ فقال : إن بني سليم قد اجتمعوا بوادي الرمل وعمدوا على أن يبيتوك بالمدينة. ووصفهم له. فأمر النبي (ﷺ) أن ينادي بالصلاة جامعة، وصعد المنبر وأخبرهم بالأمر. فتطوعت كتائب على رأسها أحد كبار الصحابة. ومضى القوم حتى قاربوا الوادي، وكان كثير الحجارة والشجر، وبنو سليم ببطن الوادي، والمنحدر إليه صعب، فلما حاول المسلمون الانحدار إليهم. خرج عدّاؤوهم الكامنون، وانهزم المسلمون شر هزيمة وقتل منهم جمع كثير، ثم أعاد المسلمون الكرة بقيادة صحابي آخر. فكان نصيبه ونصيب جنوده كنصيب سلفه. فساء رسول الله هذا الانهزام المتكرر فجاءه عمرو بن العاص يقول : ابعثني إليهم يا رسول الله فإن الحرب خدعة ولعلي أخدعهم. فأنفذه مع جماعة ووصاه فلما صار إلى الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة. فمكث الرسول أياماً يدعو عليهم. ثم دعا علياً وعقد له اللواء وقال : اذهب كراراً غير فرار، ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إن كنت تعلم أني رسولك فاحفظني فيه، وافعل به وافعل. وخرج علي ورافقه الرسول (ﷺ) لتشييعه وبلغ معه إلى مسجد الأحزاب وعلي على فرس أشقر مهلوب، عليه بُردان يمانيان وفي يده قناة خطية. فشيعه الرسول وأنفذ معه في من أنفذ أبا بكر وعمرو بن العاص. فسار بهم نحو العراق متنكبًا الطريق، حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه ثم أخذ بهم على محجة غامضة حتى استقبل الوادي من فمه. وكان يسير الليل ويكمن النهار. فلما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يعلموا الخيل ووقفهم مكاناً وقال : لا تبرحوا، وانتبذ أمامهم فأقام ناحية منهم. فلما رأى عمرو بن العاص ـ ما صنع لم يشك أن الفتح يكون له فقال لأبي بكر : أنا أعلم بهذه البلاد من علي وفيها ما هو أشد علينا من بني سليم وهي الضباع والذئاب فإن خرجت علينا خفت أن تقطعنا فكلمه يخل عنا. فانطلق أبو بكر فكلمه فلم يجبه بشيء وكذلك فعل بعمر. فقال عمرو بن العاص : انطلقوا بنا نعلو الوادي. فقال له المسلمون : لا والله ما نفعل ! أمرنا الرسول أن نسمع لعلي ونطيع أفنترك أمره ونطيع لك ونسمع، فلم يزالوا كذلك حتى أحس علي بالفجر فكبس القوم وهم غارون فأمكنه الله منهم. نزلت على النبي (ﷺ) سورة العاديات وهي ﴿والعاديات ضبحًا (ومعناها الخيل التي تعدو فتضبح والضبح

يستطيب الخفّاش دهم الليالي ... وتحب النسور صحو النهار

***

جاء مَنْ أنبأ النبي بأن ... النار مدت لسانها لاستعار

(فسليم) تروم يثرب تلاً ... من رماد يروي نشيد الدمار

وسليم في بطن وادٍ كعمق ... الخبث في صدر حاسد غدّار

لا تراه ذكاء إلّا أصيلاً ... فهو وجه السوداء خلف ستار

حجبته الأنظار عن مسقلة ... الروّاد فانسدّ مسرح الأنظار

تلك غاب تلتف فيها الغصون ... الخضر لف الجياع حول قتار[1]

قلعة بثت الطبيعة فيها ... كل فخ تعده للحصار

مرهفات صخورها كالسهام الهيف ... إن شاكلت نيوب الضواري

= هو صوت أجوافها عند الركض) فالموريات قدحاً. (لأن حوافرها تقدح في الأرض ذات الحجارة) فالمغيرات صبحاً، فأثرن به نقعًا فوسطن به جمعًا﴾ فبشر النبي أصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا عليًا. فقاموا له صفين فلما بصر بالنبي ترجّل عن فرسه ـ فقال له النبي اركبه فإن الله ورسوله عنك راضيان. فبكى علي فرحًا فقال له النبي : لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمر بعده بمكان إلا أخذوا التراب من تحت قدميك. ومما يدل على أهمية هذه الغزاة وخطرها أنه كانت لعلي عصابة لا يتعصب بها حتى يبعثه الرسول (ﷺ) في وجه شديد فمضى إلى منزله والتمس العصابة من فاطمة فقالت : أين تريد وأين بعثك أبي. قال : إلى وادي الرمل. فبكت إشفاقاً عليه فدخل النبي وهي على تلك الحال فقال لها : ما لك تبكين أتخافين أن يقتل بعلك. كلا إن شاء الله تعالى. فقال له علي : لا تنفس علي بالجنة يا رسول الله وخرج. وعقب هذا الانتصار فتح (الطائف) على يد علي بعد حصار طويل. وقد بطش أبو الحسن إذ ذاك بفارسين شديدين هما (نافع) (وشهاب) وكلاهما من أبطال العرب ثم لقي علي بعد بعد ذلك ـ أبطال بني زبيد وعلى رأسهم عمرو بن معديكرب صاحب الصمصامة المشهورة وهو الفارس المعروف بأبي ثور وقد اشتهر ببطشه وشراهته على الطعام وبكثرة تلفيقه للأكاذيب. وكان اللقاء في واد يدعى (كسر) ولما رأى بنو زبيد عليّاً قالوا لعمرو : كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإثاوة؟ قال سيعلم إن لقيني. وخرج عمرو فقال : من يبارز. فنهض اليه خالد بن سعيد وقال : بأبي أنت وأمي يا أبا الحسن دعني أبارزه فقال له علي : إن كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف في مكانك. ثم برز اليه أبو الحسن واكتفى بأن صاح به صيحة هائلة فانهزم عمرو. وقتل أخوه وابن أخيه وأخذت امرأته ركامة بنت سلامة وانصرف علي عنهم وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم ويؤازر من عاد إليه منهم مسلماً. فتاب عمرو وقومه ورجعوا إلى الإسلام. (ملخص عن كتاب الإرشاد).

(١) القتار : رائحة اللحم المشوي.

خلفها يكمنون أصلال غاب ... يكتمون الفحيح في الأحجار
زمرة من أبالس الشرّ حلّت ... في بهيم الشعاب والأغوار
من رآها ظنّ الجحيم ولكن ... لا حبيس لمالك والنار

* * *

ودعا للصلاة أحمد يبغي ... قبل رأي العبيد نور الباري
فسرت عبقة الخشوع أريجاً ... يتسامى على جناح البخار
مثلما تسلم البراعم عقد الطلّ ... للشمس تحفة الأشجار
علم الجمع بالذي كان فاشتاقت ... نفوس لرنّة البتّار
يتوالى قوّادهم في السرايا ... ويعودون خضّع الأنظار
أين مَنْ يكشف الخطوب إذا ما ... لبس المسلمين ذلٌّ انكسار
فدعاه النبي فافترّ بشراً ... وأتى الزوج يبتغي ذا الفقار
«ناوليني عصابة الموت إني ... سألاقيه كالمهند عاري»
فرنت نحو طفلها وتهامى اللؤلؤ ... الرطب عابراً في النضار
يا لدمع الزهراء تحضن طفليها ... فتسقي براعم الجلنار
«لا تخافي عصابة الموت فالرحمن ... أولى الأمير إكليل غار»
«صنه يا رب إنه زوج بنتي ... وابن عمي ووالد لصغاري»
هكذا قال أحمدٌ : وعلي ... قد اعدَّ الخطّاف للأعمار
ركَّبَ النصل في الرديني عَسَّالا ... كعسل الشراع فوق الصاري
واعتلى الأشقر الذي ترك ... الأفراس خلف الهباء في المضمار
سائراً بالوعور في الجيش ليلاً ... كامناً في النهار عبر القفار
جهل الجيش ما أراد وهموا ... بمروق عن رأي ليث نزار
ذلك الحاسد البغيض هو ابن ... العاص، أو نسل عصبة فجار

دار حـــــول الـوادي عـليّ وجـنـح ... الليل غـــمـــر مـــبطن الأســـتـــار

بلغ الثـــغـــر قـــبل أن يخـــضب ... الإصـــيـــاح رأس التـــلال بالأنوار

«أعلمـوا الخـيل» قـال للصـحب ثم ... انقضّ كـالصـّقـر والشـهـاب السـاري

أوطؤوهـا صـــــدور قـــــوم سليم ... وانجلى النقع عن مـحـاق الـسـرار

وادياً كـان بالـعـشي مـخـيـفـاً ... فـغـدا الصـبح مـصـرع الأشـرار

يا لكرّ الخـــيـــول حين أغـــارت ... مـــرسـلات سنابكاً في الحـجـار

مـــوريات في النقع زنداً ســـخيّ ... النار، ينبثّ هالة من شـــرار

***

أعلم الله عـبـده فـتـهـامت ... سـورة (العـاديات) بشـرى انتـصـار

دوّن المصـحف المجـيـد عليّـاً ... قـبـلمـا فضّ خـاتم الأدهار

فـهـو في رفـرف البطولة رأس ... وعـظـيم فـي رفـــرف الأبـرار

هبّ طه وصـحـبـه للقـاء ... النسـر يأتي مـجـلّلاً بالفـخـار

فـتـهـاوى الأمـيـر فـرط حـيـاء ... أيـن منه خـــفـــارة الأزهار

ويقـــول النبي : «اركب فـــإن ... الله راض عن حـــيـــدر كـــرّار

«وأنا من علمت حُـبّـاً وقـربى» ... فـبكى الليث، دمـعـة اسـتـعـبار

كلمـا ازددت للكبـيـر احـتـرامـاً ... عـصّـبـتـه غـمـامـة من وقـار

نكس الرأس أرفع الناس رأســاً ... فـبـدا كـالصـبـيّـة المخـفـار

ويقـــول النبي : آه لو أنّي ... اسـتطيع الإفـصـاح عن أسـراري

«إن مـــا قلت في مـــديح عليّ ... ليس الإ صـــبـــابة من بحـــار

«فـإذا قلت مـا اسـتـحق فـإني ... بتُّ أخـشى ضـلالة الكفـار

«فـيـصـير الوصي مـعـبـود قـوم ... لا يبـالون بعـدها بعـثـار

«يلثـمـون التـراب حـيث يدوس ... الرمل فـالرمل مـسكة العطار»

واجباً للفتوح كان علي ... كوجوب الغيوم للأمطار

هو من صدَّ (خثعماً) (وثقيفاً) ... واستوى رمحه على الأسوار

غبّ طول الحصار واليأس رد ... الأوجه الغرّ في عبوس القار

زفّ للموت (نافعاً) (وشهاباً) ... طائفيَّين في جلود النمار

هو من رد للرشاد (زبيداً) ... وهي في مثل سكرة الأغرار

ساقها للغرور عمرو بن معدي ... كرب ليث الفلا وعزّ الجار

أقطع الغابرين ضرساً وسيفاً ... في طباع الملفق المهذار

ملء سمع الزمان صمصامة الفحل ... المدوّي في خاطر الأعصار

قال : يا قوم إنني لعلي ... سوف يدري مخالب الزءآر

ودعا للبراز وهو كحرف ... الطود ثاوٍ على جواد مثار

جاش في صدر خالد بن سعيد ... نخوة ترتمي على الأخطار

بأبي أنت يا علي فدعني ... ألتقيه فلست بالخوّار

فأجاب الأمير كلا فهذا ... الليث ضار محدّد الأظفار

وأتاه كالطود يهدر ... بالنيران مدَّت لسانها لانفجار

صيحة تصدع الجبال فولّى ... عمرو منها كالزئبق الفرار

يا (أبا الثور) أين بطشك بالفرسان ... والفيصل الرهيف الغرار

يسطع النجم في الظّلام مضيئاً ... ويواري ضياءه في النهار

حُنَيْن[1]

أكـــــبـــــرتـه (هـوازنٌ) صـنـديـدا ... فـتـلاقت على (ابن عـوف) عـمـيـدا

(مـالكٌ) صـار نجـمـهـا (فَـدُرَيْدٌ) ... بات شـيـخـاً هِمّـاً ومـعـنّى تليـدا

أنزل الشـيب رتبـة الشـيخ حـتى ... لا يرون السـديد فـيـه سـديدا

شيـمة الناس، يرذلون العتيق الفـخم، ... جـهـلاً، ويعـبـدون الجـديدا

---

(١) تدعى غزوة حنين هذه غزوة هوازن وملخصها أن قبائل العرب أطاعت للنبي بعد فتح مكة إلا هوازن وثقيفاً فإن أهلهما كانوا طغاة عتاة وحشدوا جموعهم يقولون : ما لاقى محمد قوماً يحسنون القتال وسيرى منا غير الذي يراه من سوانا. وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصيري، فاجتمع إليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان النبي مسترضعاً فيهم. وحضر معهم دريد بن الصمة وكان من فرسان العرب المشاهير، لكنه كبر فجاوز المائة وأصيب بالعمى وصار لا ينتفع إلا برأيه ومعرفته بالحرب. ولكن الناس أطاعوا ـ مالك بن عوف وله من العمر ثلاثون سنة فإنه أمر الناس أن يصطحبوا أموالهم ونساءهم وأبناءهم إلى الحرب. ونزلت جموعهم في أوطاس فقال دريد للناس : بأي واد أنتم؟ قالوا : بأوطاس. قال : نعم مجال الخيل، ثم قال : ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير. وبكاء الصغير، ويعار الشاء، وخوار البقر. قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. فلامه دريد في ذلك فقال مالك : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. فزجره دريد وأمره برد الذرية والأموال وقال له : رويعي ضأن ما لك والله بالحرب علم، إن المنهزم لا يرده شيء فإن كانت لك لم ينفعك إلا رجل برمحه وسيفه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ورأى بعض المسلمين كثرة جيشهم فأعجبتهم كثرتهم وقالوا : سوف لا نغلب اليوم من قلة. ولكن جيش المسلمين كان خليطاً وبينهم الكثيرون ممن جاؤوا للغنيمة. وقد كمن لهم أعداؤهم في شعاب الوادي، وفاجأ الكمين المسلمين من خلفهم وانصبت عليهم النبال كالجراد المنتشر، فانهزموا أشد انهزام. وكان في طليعة المنهزمين أبو سفيان وأمثاله من الطلقاء الذين اعتنقوا الإسلام كرهاً أو رغبة في منفعة. وشمت أبو سفيان بالمسلمين المنهزمين، وقال : والله غلبت هوازن وسوف لا تنتهي هزيمة المسلمين دون البحر. وقال سواه من الأمويين : تعود العرب إلى دين آبائها. ولم يثبت حول النبي في ذلك اليوم إلا تسعة من بني هاشم. ولما رأى النبي (ﷺ) هزيمة القوم قال لعمه العباس ـ وكان العباس جهير الصوت ـ : ناد بالقوم وذكّرهم العهد فنادى العباس بأعلى صوته : يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة إلى أين تفرون؟ فأسمع أولهم وآخرهم ولم يسمعها رجل إلا رمى بنفسه إلى الأرض. وانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي حتى لحقوا بالعدو وابتلي المسلمون ببطل من هوازن كان يبطش بهم بطشاً شديداً واسمه أبو جرول فصمد له علي وضربه ضربة أتت عليه واتبعه بأربعين قتيلاً من القوم وقد أبلى الأنصار في تلك المعركة بلاء حسناً. وغنم المسلمون غنائم كثيرة وزعها النبي (ﷺ) على أبي سفيان وأمثاله ليتألف قلوبهم. (عن السيرة وكتاب الإرشاد).

في احتقار الشيوخ، للغيد عذر ... أي عذر أن يتبع الشوس غيدا

وتنادت (هوازن) و (ثقيف) ... وبنو (السَّعد) يرفعون البنودا

ويح (سعد) يخاصمون نبيّاً ... كان حيّهم رضيعاً مجيدا

«لا نبيّ في قومه» قال عيسى ... آية العز أن تكون بعيدا

«ذاك نسل النجَّار» قال ذووه ... وهو ملء الزمان نوراً وعيدا

«ذاك راعي الشياه» قال ذووه ... حان للطود ساخطاً أن يميدا

آفة المرء أهله وعيون ... رافقت خطوه ضعيفاً وئيداً

وهو لو جاوز النسور ارتفاعاً ... ظلَّ في أهله صغيراً وليدا

***

جمعوا جيشهم يعدّون ... للإسلام قبراً يضمه موءودا

«لم يشاهد في الحرب أحمد إلا ... جبناءً أذلة وعبيدا

«سوف يدري إذا المنايا اشرأبت ... واستحالت حنين غاباً حديداً»

هكذا قال مالك وهو ... كالطاووس يختال معجباً مريدا

صفّ جيش الفرسان خلف عتاق ... وطؤها يفتح الثرى أخدودا

خلفها السمر والظُّبى وقسيّ ... ونصال تمزّق الجلمودا

خلفها صُفّت الهوادج والنسوان ... والولد والإماء قعودا

ونياق من خلفهم ونعاج ... وعجول خارت خواراً شديدا

سمع اللغط والشغاء (دريد) ... وهو أعمى إلى النزال اقتيدا

قال : ماذا؟ قال ابن (عوف) إني ... رمت سوراً من القلوب وطيدا

ندفع الضيم عن عيالٍ ومالٍ ... وتصير الولد اللدان أسودا

«قبح الرأي يا هوازن صاح ... الشيخ وارفض صخرة صيهودا

«قال لا يمسك المروّع مال ... أو عيال بل يستمر شريدا

«كل شيءٍ فـــدى الحـــيـــاة إذا مـــا المرء أشـــــفى عـلى المنـون وروداً

«فـاكـمنوا للعـداة أن تبـتـغـوهم يصـــبح النجـــد ذاهلاً رعـــديدا

***

وأتى جـــــيش مكة غـبّ فـــــتح البلد القـدس كـالرمـال عـديدا

بعـضـــهم قـــال : ليس يغلب هذا الجـيش من قلة فنصـراً أكـيـداً»

يعلم الغـــيب خـــالق الغـــيب، والإنسان عبد، مهما تخطى حدودا

ذلك الجـيش كـان مـزجـاً خليطاً من جنود تبـــاعـــدت تأييـــدا

***

غلغل الجـيش في الشـعـاب وسـمع الصـبح سـاج لم يسـمع التـغـريدا

فـــإذا بـالكـمين ينـقـضّ خلف الجـيش كـالريح تهـصـر الأملودا

يرسل الموت مـشـرعـاً في سـهـام كـشـرار الجحـيم حـمـراً وسـودا

مـثل رَجلِ الجـراد يهـوي على زرع سـويّ يمده مـحـصـودا

كـان جيش الإسـلام عـقـداً نظيـماً مـزقـتـه النكبـاء حَـبّـاً بديدا

والـنـبـي الـعـظـيـم لـولا عـلـيّ وبـنو هـاشم لـظلّ وحـيـدا

شـمت الداخلون في الدين كـرهاً وابن حـرب يكاد يتلو النشـيـدا

يدخل الذئب في الحظيـر نفـاقـاً وهو مـا انفك في السـريرة سـيـدا[1]

زوج هند بل أخـبث الناس جـداً ووليـداً وزوجـة وحـفـيـدا

يـا إلـهي لـقـد لـعنت يـزيداً قـبـل أن تحـمل النسـاء يزيدا

***

تسـعـة حـول أحـمـد حـضنوه مـثلمـا تحـضن الضلوع الكبـودا

وينادي العباس وهو الجهـير الصوت ينبثّ في الشـعـاب رعـودا

---

(١) السِّيد : الذئب.

صوته يسقط الحبالى إذا ما ... صاح، والكهف يسأم الترديدا

قال : «يا صحب أحمد هل نسيتم ... في (الحديبيَّة) الوثاق العهودا

«أين أنتم أنصار طه وشوس ... الخزرجيين يقنصون الفهودا

«يا أبا الفضل قد أتيناك» وانقضُّوا ... ليوثًا تهوي على القوم صيدا

عطفة النوق للفصال وفي الأخلاف ... ألبانها تفور وقودا

بل رجوع الهواء للمفرغ الخالي ... يدوّي ويستبيح السدودا

غير سدّ يجول فيهم ويفري ... فيقطُّ الوريد يتلو الوريدا

فأبو جرول عديل (دريد) ... كان كالحصن بالحديد مشيدا

فأتاه (أبو تراب)[1] فمال الطود ... في دمّه يخضّب جيدا

ومشى ذو الفقار يلتهم الأتراس ... بريًا والجوشن المسرودا

فإذا يشتكي الفلول فسن ... الرمح نظماً يشكهم سفُّودا

يا لبطش الأنصار فالأوس ... والخزرج نار لا تستطيع خمودا

ودعا أحمد لهم بدعاء ... صار في صفحة الخلود خلودا

أرحب الناس في الضيافة داراً ... وأعز المحاربين جنودا

---

(١) أبو تراب من ألقاب أسد الله الغالب علي بن أبي طالب.

أهلُ البَيْت

عـتـرة الطهـر يا ورود الخـمـائلْ ... عطّري الجـو بالشـذا والفـضـائلْ

يا شـروق الأنوار في غـيـهب الأزمـان ... ظلّي على العـصـور مـشـاعل

أيهـا المركب القـويّ شـراعـاً[1] ... سر على البحر لو تعالى جحافل

في حـفـاظ الرحـمن تجـري ونَور ... الروض يلقـاك في نعـيم الساحل

يغـرق الشـانئـون عـتـرة طه ... ويجـوز الميناء شـهم داخل

***

«قـال طه : تركت فـيكم كـتـاب ... الله بعـدي وأهل بيـتي وسـائل

«فـاحـفظوني في عـترتي أهل بيـتي» ... يحـفظ الكف من أحب الأنامل

«ليس يقـليـهم أثيم ويلقى الله ... إلا منكّس الرأي سـافل

«سـبّني من يسـبُّـهم ورمـاني ... من رمـاهم فـالقلب أوحـد كـامل

«فـبـهم أبهل[2] الخـصـوم ومـا في ... الأرض من يقـرب العـرين مـباهل

«جـمع الله خـمـسـة في كـسـاء ... ليس فـيـهم إلا الجـسـوم فـواصل

«وعـليّ منـي كـهـارون[3] من ... مـوسى ولكن من النبـوة عـاطل

«إنه البـاب[4] في مـدينة علمي» ... وهـو أتقى مَنْ شـرّف الأرض ناعل

«وُلده[5] هدي أمـتي كـالنجـوم الزهر ... تهـدي إلى المحـجـة غـافل

---

(١) إشارة إلى قوله (ﷺ) إن عترته الطاهرة تشبه السفينة من دخلها نجا من الغرق.

(٢) إشارة إلى آية المباهلة.

(٣) قوله (ﷺ) : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي».

(٤) في حديث مسند أنه (ص) قال : «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

(٥) إشارة إلى قوله (ﷺ) : «علماء أهل بيتي النجوم فويل للمكذبين بفضلهم» وإلى قوله : «أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون».

«سوف تجني عليه عصبة بغي ... ليس فيها إلا الكذوب المخاتل
«إيه عمّار[1] سوف يرديك سيف ... الظلم فاصبر على القضاء النازل
«أينما كنت كن نصيراً لحزب الله ... فالكون غير ربك زائل
«لو مشى الناس وادياً وعليّ ... وادياً فاتّبع صراط العاقل»
رأيه حكمة السماء ونبع الحق ... فانزل على صفيٍّ المناهل

***

حسن والحسين نسل رسول ... الله فالرأس مصدر للأياطل
يا لصوت الطفلين في المسمع النشـ ... ـوان أشهى من عندلات العنادل
كان غبّ الوحي السماويّ وحياً ... لفؤاد جمّ المرارة ثاكل
فهو يستقبل الحبيبين كالصحـ ... ـراء تستقبل السحاب الوابل
تارة باسماً وطوراً ضحوكاً ... وهو بين القلبين جذلان هازل
فإذا يطلبان ذروة عزّ ... يعتلي كل واحد غرب كاهل[2]
وإذا حاول النبي سجوداً ... يعتليه الحسين نعم الراحل
وإذا يبكيان أو يشكوان ... الأم والوالد الشديد الحلاحل
ينظر الجد نظرة لعليّ ... دب منها شرارة في المفاصل
«لا تغيظوهما» يقول رسول ... الله «إني للفرع أصل كافل

---

(١) إشارة إلى قوله لعمار بن ياسر: «إذا سلك الناس واديًا وعلي واديًا فاتبع عليّاً ودع الناس إنه لن يدلك على ردي».

(٢) أحبَّ النبي العظيم (ﷺ) حفيدَيْه الحسن والحسين حبّاً عظيماً فقال: «حسين مني وأنا من حسين» وكان يلاعب الطفلين ويناغيهما ويسميهما ولديه ويعدهما ريحانتيه. ويروى أنه لما ولد الحسين أخذه النبي إلى حجره فغمره وأذن في أذنه كما يؤذن للصلاة فكأنه أراد أن يفرغ فيه نفسه ورسالته معاً. ولقد قيل إن الحسين كان صورة احتبكت ظلالها من اشكال جده العظيم. (تاريخ الحسين للشيخ عبد الله العلايلي).
وقيل: إن النبي (ﷺ) خرج في إحدى صلاتَي العشاء وهو حامل الحسين فوضعه في مكان ثم سجد للصلاة فأطال السجدة فرفع الناس رؤوسهم فإذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد. فرجعوا إلى سجودهم. فلما انتهت الصلاة قالوا له يا رسول الله: إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك؟ فقال: «كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله». (تيسير الوصول إلى جامع الأصول).

«فهما من دمي ومن نور وجهي ... ومن العين والجبين مخايل»

جوهر الشمس واحد في طلوع ... الشمس والظهر والشعاع الأفل

«سيدا كل سيد شباب الخلد ... يوم النعيم بالخير حافل

كان في منبر[1] الخشوع يصلي ... خاطباً والجميع سمع ماثل

فأتاه السبطان بالوشي معتزّين ... كلٌّ بأحمر الورد رافل

شام سبطيه زهرتين بلون الور ... د يفترّ باسماً في الغلائل

فأتى يحضن الصبيَّين كالأجف ... ان تنضم فوق هيف المكاحل

«صدق الله» قال أحمد «إن الوُ ... لد والمال فتنة» عزّ قائل

ذات يوم جاء الحسين إلى الزهـ ... ـراء يشكو النبي والطرف هامل

قال : جدي قد باس ثغر شقيقي ... وحباني في النحر قبلة ذاهل

ورأيت العبوس في وجهه المسماح ! ... ماذا أتلك قسمة عادل؟

ساءلت فاطم أباها فشاع الحز ... ن فيه كالزهر صديان ذابل

واجماً يرمق الحبيبة والأحـ ... ـداث في عالم الغيوب مواثل

قال : يا خير مَنْ أطلَّت على الأكـ ... ـوان بنتاً تناقلتها القوابل

نعمة الله أن تكوني بظل القبـ ... ـر يوم السبطان رهن الغوائل

يؤلم الموت أن يراك خلال الدمـ ... ـع تمشين في صفوف الثواكل

سوف تردي الكبير جرعة سمّ ... يجتنيها من كف أرقمَ داغل

ويموت الحسين نحراً بنصلٍ ... لعن الله حَدّه في المناصل

لعنة الله والملائك والإنـ ... ـسِ والجن تستبيح القاتل

وعذاب الجحيم أيسر ما يلقـ ... ـقى أثيم في دمّ سبطي واغل

---

(١) كان النبي (ﷺ) يخطب في المسلمين مرة فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعتزان فنزل (ﷺ) من المنبر وحملهما بين يديه ثم قال : صدق الله، إنما أولادكم وأموالكم فتنة. (ملخص عن كتاب الشهيد الخالد (الحسين بن علي) لأحمد لطفي).

يجعل الله كل عضو جحيماً ودماء العروق تغلي مراجل

ليس أشقى من جَده في البرايا ليس أشقى مَنْ أمه في الحوامل

***

أهلَ بيت الرسول ما زال منـ ـكم نحو عرش الرحمن حبل واصل

حلقات موصولةٌ برسول الله شُدّت إلى السماء سلاسل

إن علاكم من دونكم فجـ ـلال المعدن التبر تحت صُمّ الجنادل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يَوم الغَدير[1]

عـــاد من حـــجـــة الوداع الخطيـــر ... ولفـــيف الحـــجـــيج مـــوج بحـــور
لجـــة خلف لجـــة كـــانتـــشـــار الغـــيـ ... ـــم صُـــبـــحـــاً في الفـــدفـــد المغـــمـــور
وتبـــــارى للحج كل رشـــيـــد ... يســـتطيع القـــيـــام للتكبـــيـــر
والملبّـــون في الحطيم كـــرجع النحـ ... ـل ينبثّ هادراً في القـــفـــيـــر
واســـتـــفـــاض النبي نصـــحـــاً وأحكـ ... ـامـــاً وهدياً الى الصـــراط القـــريـر

---

(١) في تلك السنة وهي العاشرة للهجرة أذاع النبي (ﷺ) في الناس أنه حاج في ذلك العام حجة الوداع فوافاه الناس من كل فج عميق وخرج من المدينة بنحو مائة ألف أو يزيدون فلما كان الموقف بعرفات نادى في الناس : علي مني وأنا من علي. ولما قفل بمن معه من تلك الألوف وبلغوا وادي خم ـ وهو واد شديد الحر كثير الوخامة ـ هبط عليه الروح الأمين بآية التبليغ يقول ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [سورة المائدة].

وقد أخرج الطبراني وغيره بسند مجمع على صحته عن زيد بن أرقم قال : خطب رسول الله بغدير خم تحت شجرات فقال : «يا أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد أنك قد بلّغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً. فقال : أليس تشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا : بلى نشهد بذلك. قال : اللهم اشهد. ثم قال «يا أيها الناس : إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه (يعني علياً) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ثم قال يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض وهو حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما. الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد أنبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وعن الحاكم في المستدرك أن النبي أخذ بيد علي وقال : من كنت مولاه. . . الخ وعب حديث الغدير أتى كبار الصحابة وفيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب يهنئون الإمام قائلين : هنيئاً لك يا ابن ابي طالب لقد أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. وأمر النبي (ﷺ) أمهات المؤمنين أن يهنئنه أيضاً ففعلن.

وحديث الغدير أيدته الحجج المكينة رغم المشادة التي قامت حوله. وقد ألّفت المؤلفات المستفيضة تأييداً لصحته مما لا يسعنا نقله في هذا الهامش. وعندي أن أفضل المؤلفين في الغدير وأقدرهم على جمع الوثائق الصحيحة وأوسعهم نظراً هو العالم الفاضل الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي وهو آية في الصبر وطول

تسكب الشمس في الأصيل شعاعاً ... يبعث الدفء في صميم البذور

هي تدري ما يكتم الليل من ... وجه صقيع ومن ظلام ضرير

فتُسيل الحياة دفئاً لأغـ ... ـراس لدان تقيَّة الزمهرير

يجمل الكاتب الكتاب ختاماً ... موجزاً صفو رأيه في سطور

والذي يرقب الممات وشيكاً ... ينشر القلب في الكلام الأخير

بلغ العائدون بطحاء (خمّ) ... فكأن الركبان في التنُّور

عرّفوه غدير خمّ وليس ... الغور إلّا ثمالة من غدير

أيّ مستنقع وخيم كأنَّ ... الماء فيه غضارة من قير[1]

بلغوه لا يحمدون مقيلاً ... بل يحثُّون نوقهم للمسير

وإذا بالنبي يرقب شيئاً ... وهو في مثل جمدة المسحور

جاء جبريل قائلاً : يا نبي الله بلّغ كلام ربّ مجير

«أنت في عصمة من الناس فانشر ... بيّنات السماء للجمهور

= الأناة ولا ريب في تواتره من طريق أهل السنة وصاحب الفتاوى الحامدية يصرح بتواتر الحديث في رسالته المختصرة الموسومة (بالصلوات الفاخرة في الأحاديث المتواترة) والسيوطي وأمثاله من الحفاظ ينصون على ذلك. ودونك محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين، وأحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ومحمد بن أحمد عثمان الذهبي فإنهم تصدوا لطرقه فأفرد له كل منهم كتاباً على حدة وقد أخرجه ابن جرير في كتابه من خمسة وسبعين طريقًا وأخرجه ابن عقدة في كتابه من مائة وخمسة طرق. والذهبي ـ على تشدده ـ صحح كثيراً من طرقه وفي الباب السادس عشر من (غاية المرام) تسعة وثمانون حديثًا عن طريق أهل السنة في نص الغدير وغب هذا الحديث نزلت الآية : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينًا﴾. وبهذا كان يوم ١٨ من ذي الحجة في كل عام عيداً عند الشيعة في جميع الأعصار والأمصار يفزعون فيه إلى مساجدهم للصلاة فريضة ونافلة، وتلاوة القرآن العظيم والدعاء بالمأثور شكراً لله تعالى على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين. ثم يتزاورون ويتواصلون فرحين مبتهجين متقربين إلى الله بالبر والإحسان وإدخال السرور على الأرحام والجيران. ولهم في ذلك اليوم من كل سنة زيارة لمشهد أمير المؤمنين لا يقل المجتمعون فيها عند ضراحه عن مائة ألف يأتون من كل فج عميق ليعبدوا الله بما كان يعبده في مثل ذلك اليوم أئمتهم الميامين من الصوم والصلاة والإنابة إلى الله والتقرب إليه بالميراث والصدقات. ولا ينفضون حتى يحدقوا بالضريح فيلقوا في زيارته خطاباً عن أئمتهم يشتمل على الشهادة لأمير المؤمنين بمواقفه الكريمة.

(١) القير هو الزفت.

«وأذعها رسالة الله وحياً ... سرمدياً وحجة للعصور»

***

ودعاهم إلى السماع مناد ... فاستجابوا رجع النداء الجهير

حسب طه إيماءة وتكرّ النـ ... ـاس كالهيم أحدقت بالنمير

بين غمر يلوي لجام حصان ... وحكيم يثني خطام بعير

هيبة لم تكن لقيصر روما ... ونفتها الأيام عن أزدشير

واستداروا كهالة حول بدر ... يغمر الأرض بالشعاع المنير

يحبسون الأصوات فالسمع يحصي ... خفقة خفقة وجيب الصدور

ليس يخفى على المسامع إلّا ... خلجة الفكر أو رفيف الشعور

واشرأبّت أعناقهم متلعات ... كالغرانيق أُشعِرت بالنذير

كلهم يرقب البيان وما في الأمـ ... ـر شكّ فالقول جدّ خطير

كلهم مجهد يصعّد أنفاساً ... قصاراً في لهفة المبهور

ما دعاهم طه لأمرٍ يسيرٍ ... وصعيد البطحاء وهج حرور

وارتقى منبر الحدائج طه ... يشهر السمع للكلام الكبير

***

«أيها الناس قال أوشِكُ أن ... أُدعى وإني وإنكم لنشور

«وكلانا يجيب : هل تشهدون الحـ ... ـق إني بلّغت أمر القدير؟

أدركوا لهجة النعيّ خلال القـ ... ـول فالصوت في جلال القبور

عبرات ملء العيون وكبتٌ ... في حلوق تأجّجت بالزفير

إننا شاهدون قالوا جزاك الله ... خيراً من ناصحٍ ومشير

«أوَلا تشهدون أن لا إله ... غير ربٌّ فرد رحيم غفور

«وبأني عبدٌ له ورسولٌ ... لم يقصّر في النصح والتبشير

«وبأن الممـــــات حق وأن البـ ـعث حق لجنَّةٍ أو سـعـيـر
للبغاة الأشرار سوط عذاب للمياميـن كسوة من حرير
فأجابوا : «بلى» فقال «إلهي أنت فاشهد لعبدك المأمور
«أيها الناس إنما الله مولاكم ومولاي ناصري ومجيري
ثم إني وليُّكم منذ كان الدهـ ـر طفلاً حتى زوال الدهور
«يا إلهي من كنت مولاه حقّاً فعليٌّ مولاه غير نكير
يا إلهي والِ الذي يوالون ابن عمي وانصر حليف نصيري
«كن عدواً لمن يعاديه واخذل كل نكسٍ وخاذلٍ شريرِ»
قالها آخذاً بضبع علي رافعاً ساعد الهمام الهصور[1]
لاح شعر الإبطين عند اعتناق الزند للزند في المقام الشهير
فكأن النبي يرفع بند العزّ عيداً للقائد المنصور
راوياً للزمان فضل عليّ باسطاً للعيون حق الوزير
حيدر زوج فاطم وأبو السبطَين، والرمح يوم طعن النحور
وربيب الرسول وابن مربّيه المُعاني في البذل جهد الفقير
والفقيه العظيم أصوب خلق الله رأياً لطالبٍ مستنير
وأمير الزهّاد قبلاً وبعداً حسبه في الطعام قرص الشعير

***

«سوف ألقاكم على الحوض إذ يأتي عليٌّ بكير كل بكير
«اسأل المؤمنين كيف حفظتم عفوَ آي القرآن أمر سفيري
لا تضلُّوا واستمسكوا بكتـ ـاب الله بعدي بعترتي بالأمير»

***

(١)الضبع : العضد.

«إنكم وردٌ على الحوض يوماً» وهو مدّ الخيال مدّ الضمير

ماؤه فضّةٌ تسيل وقطرٌ من عيون السماء غبّ الطهور

يستحمّ الضياء فيه ويهفو من جوار النجوم قلب الأثير

بهجة الشمس رونقاً وصفاءً وانتشار الطيوب فوحَ عبير

فشراب من سلسلٍ ونميرٍ وامتزاج التسنيم بالكافور

لا تمرّ الظلال فيه لئلا يترك الظل كدرة في المرور

حوله صفّت الكؤوس كعدّ الرمـ ـل يمتد في ضفاف النهور

وأباريق فضة ونضار راح منها الشعاع في تكسير

لذّة الشاربين طعماً وطيباً فالأباريق منهل للسرور

ويلفّ الحوضَ الفسيح جدار من عقيق ممرّد مصهور

كيفما تسرح العيون تلاقي موجة النور عبر موجة نور

يعكس الغور ضوءه فعلى الأحداق بحر اللآلئ المنثور

ذاك رمز الجنان أيّ يراع يستطيع الأداء في التصوير

جودة الله فوق ما تعقل الأقلام وصفاً لرائع منظور

يسبح المرء في الخيال ويبقى في شؤون السماء جدّ غرير

***

بثّ طه مقاله في عليٍّ واضحاً كالنهار دون ستور

لا مجاز ولا غموض ولبسٌ يستحث الأفهام للتفسير

فأتاه المهنئون عيون القـ ـوم يبدون آية التوقير

جاءه الصاحبان يبتدران القـ ـول طلّاً على حقاق العبير

«بتّ مولًى للمؤمنين هنيئاً للميامين بالإمام الجدير

هنأته أزواج أحمد يتلوهن رتلٌ من الجميع الغفير

عـيـدك العـيـد يا عليّ فـإن يصـمـ ـت حـسـود أو طامس للبـدور
تنطق البـيـد ناثرات على الصـحـ ـراء وشـيـاً من كل زهرٍ نضـيـر
وتحـول النجـوم في الليلة الزهـ ـراء لُسْنًا فـضـيَّـة التـعـبـير
ينشـر الورد طيب ذكـرك فـوحـاً فـعـلي مـرجّع في العطور
في النسيم الريان، في بسـمة الاصـبـ ـباح، خـفَّت على الجـمـان النثـير
في هتـاف الطيـور هبَّت نشـاطاً مـرهفـات اللَّهـا، عـصـاة الوكـور
كلمـا غـرّد الهـزار قـراراً هاج لحن الجـواب في الشـحـرور

***

عـفـوك السـمح يا عليٌّ عن الحـسـ ـاد فـالعُـمي حُسَّـدٌ للبـصـير
ينثـرون السـهـام للنسـر طعناً وحـبـوب الطعـام للعـصـفـور
يُرهب الليث آجـمـاً والضـعـيف الهـرُّ يغـدو منعَّـمـاً في الدور
كلمـا حـاول الكريم عـبـوراً وقف الشـؤم دونه في العـبـور
لا تكـاد العـيـون تلمح ظلّ الخـيـر حـتى تجـوز بحـر شـرور
إنما الخـيـر فلذة من ضـيـاءٍ كـفـنتـهـا الأهواء بالديجـور
أنـزل الله آيـة عـقـب ذاك اليـوم خـتـمـاً لدينه المبـرور
كـأن وهج الشـروق حـراء وجـلال المغـيب يوم الغـدير

وفَاة الرسُول (ﷺ)

يطلع الكرم في التلال ظليلا ... عاقداً في جبينها إكليلا

مُتعة الطرف نشر دولته ... الخضراء مدّت على الهجير سدولا

فظلال يأوي إليها صريع ... الحرّ ظهراً ويصطفيها مقيلا

ناضرَ الحلم في ظلال الدوالي ... مترفَ السمع رفّة وهديلا

إنما الكرم واحة الخير يعطي ... لا يلاقي في جوده مستحيلا

يتحف الناس بالعناقيد صيفاً ... ليس يرجو عن السخاء بديلا

فإذا أقبل الشتاء فحبّ ... اللؤلؤ الرطب ينجلي سلسبيلا

كلما طال في الدنان مقاماً ... زاد طيباً ورونقاً وشمولا

***

ورأت حكمة السماء ثواباً ... وخلوداً لكرمها أن يزولا

غلغل البرد في أصول الدوالي ... وتمشّى على الجفون ذبولا

دب وهن الفناء في جسم طه ... فالنبي العظيم بات عليلا

ورآه العبّاس كالشمعة الصفراء ... يذوي ويستدق نحولا

فدعا سيّد العرين عليّاً ... وأسرّ الكلام همساً ضئيلاً

«يا حبيب النبي شمتُ خيال ... الموت في جبهة النبي نزيلا

«أحمد جاوز الأصيل وأشفى ... وتحسستُ حوله عزريلا».

***

وأسـرّ[1] المريض في أذُن الزهراء ... قولاً فضّ الجفون سيولا

ودعاها فقال همساً فشاع ... الشر فيها كالمال سرّ البهيلا

قال لما بكَتْ : «سأترك دنياكم ... الى الله يلتقيني خليلا

شاءني الله للأنام رسولاً ... يوشك الله أن يريح الرسولا

قال لما تبسَّمتْ : «لا تخافي ... لن يكون الفراق هجراً طويلا

أعرق الأهل في المشاعر حبّاً ... أوّل الأقربين بعدي رحيلا»

أقبل الوامق الحزين عليّ[2] ... مشية العبد راسفاً مغلولا

فحباه النبي خاتمه العلْويّ ... قدراً والمستحيل عديلا

وحباه حمائل السيف، فوق الختم، ... رمزاً لا يقبل التأويلا

أيُّ ذخر إزاءه كنز قارون ... وكسرى يظل نزراً قليلا

ينفس الشيء بالنفيس مقاماً ... فوق هام السماك جرّ الذيولا

أتُرى المعدن العقيم ولو درّاً ... ينيل الوضيع شأناً نبيلا

ما أضلَّ الإنسان يعبد ... أحجاراً ويزهو بحملها تدليلا

فجمادٌ يختال فوق جمادٍ ... وذليل يرجو أخاه الذليلا

بالضمير الطهور بالنفس تسمو ... فوق ما ترقب العُيون وصولا

بالجبين الرفيع بالحب بالأخلاق ... غرّاً صار الجميل جميلا

***

قال : «أتوا بمرقم ودواة ... إنني منشئٌ كتاباً جليلا

---

(١) لما أشرف النبي (ﷺ) على الموت ورأته فاطمة . رضي الله عنها ـ على تلك الحالة هالها الموقف الخطير فأسرَّ إليها أبوها أنه مفارق الدنيا فبكت، ثم أسرَّ إليها أنها أول من يلحق به من أهله فتبسمت ولم تعش بعد أبيها سوى بضعة أشهر.

(٢) ودعا النبي علياً فحباه خاتمه وحمائل سيفه ثم طلب دواة وصحيفة وقال أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله قد غلبه الوجع. وقال سواه : بل قربوا يكتب فلم يُستجب طلبه. (عبد الفتاح عبد المقصود).

«لا تضلون بعده فهو سفر ... يمنع الله نصّه أن يحولا»

لم يجيبوه للذي رام بل راحوا ... مفيضين في الشقاق طويلا

يرهب النور من يرى النور كشفاً ... لبيانٍ يوده مشكولا

***

وأحسّت جزيرة العرب أن البـ ... ـدر يمشي في جوّها مشلولا

شاحب اللون كالعليل يـ ... ـراه الداء بريًا فردّه مهزولا

رجّة هزت الحجاز ومساد القـ ... ـطر منها شوامخاً وسهولا

كل حيٍّ سوى المهيمن فانٍ ... سنّة الله لن ترى تبديلا

يا دموعاً من الدماء تلظّت ... وتهامت على الخدود شعيلا

مات ما بين فاطم وعليّ ... يا لقطبين يشهدان الأفولا

فبدت وجنة الخزام جراحاً ... وبدا عارض الحسام فلولا

***

يا بكاء البنت الحبيبة أبكى ... كل عين دماً ودمعاً طليلا

بل عصي الجماد والريح أنّت ... تهصر الطلع قائماً والنخيلا

وأعدّ الصهر الكئيب جهاز ... الخالد الذكر، ساهماً متبولا

فأمير الأحياء يغسل خير النـ ... ـاس حيّاً وخير ميت غسيلا

غُيِّب المجد في الحفيرة، وهو النجـ ... ـم ملء الفضاء عرضاً وطولا

وعليّ وقد تمرّس بالآفات حتـ ... ـى يرى الأشمّ هزيلا

ويرى الواسع الخضم مجال الكـ ... ـف حدّاً، والنيّرات فتيلا

يمزق الليث آجماً وينام الليـ ... ـلَ في الخدر لا يخاف الغيلا

ويدوس الأهوال غير حفيّ ... فيجوب الموت الزؤام قبيلا

لم يرعه إلّا الرسول يوارى ... لم يرعه إلّا التراب مهيلا

وحـــثت فـــاطم[1] التـــراب وداعـــاً وأكـــبَّت على الثـــرى تقـــبـــيـــلا
كـــان يبـــســـاً فـــأمطرته من الأجـــفـــ ـــان غـــيـــثـــاً فـــعـــاد رطبـــاً بليـــلا

***

وتوالت تحت الســقـــيـــفـــة أحـــداثٌ أثارت كـــــوامناً ومـــــيـــــولا
تارة تطلع الـزعـــــازع غـــــرباً وتهبّ النكبـــاء حـــيناً قـــبـــولا
نزعـــات تفـــرّقت كـــغـــصـــون العـــوسج الغض شـــائكاً مـــدخـــولا
وانجلت عـن ضـــيـــــاع حق وليّ كـــان إلّا عن حـــزنه مـــشـــغـــولا
وتوالت مـــبـــــايعـــــات ثلاث طمـــست نور حـــقـــه المأمـــولا
أول الـنـــاس رتبـــــــــة وولاءً كـــان أحـــرى بالطيـــبـــات الأولى
هو يدري أين الســـبـــيل ولكن حالت الأرض فاستـراب السبيلا
أيسل السـيف الحـسـام فـتـغـدو هضـبـات الحـجـاز حـمـراً وحـولا
وتعـــيـــد الأصنام دولة عـــزّ ويعـــود الشـــرك المزمـــجـــر غـــولا
ويموت الإســـلام في المهـــد طفـــلاً شـــارفـــاً في نجـــيـــعـــه مطلولا
غـارس الروض، من رواه بدمع العين، لا يرتضـــيـــه إلا خـــضـــيـــلا
ويقـــيـــه الرياح حـــتى يكاد القلب يســـتـــشـــعـــر النســـيم ثقـــيـــلا
أيهد السياج من حول جنته الخضراء يُجـــري على النبـــات الخـــيـــولا
أم يُشب النيـــران تلهم أغـــراســـاً لداناً أحنى عليـــهـــا كـــفـــيـــلا
لـن تـدكّ الأبـراج راحـــــــةُ بـانٍ ويصـــيـــر الحـــصن الجـديد طلولا
يصـــبـــر الزاهد الحكيم ويطوي زاده من دمـــائه مـــجـــبـــولا
فـإذا جـاشت النصـول جـيـاعـاً راح يغـــذو من الفـــؤاد النصـــولا
طال ليل الأســـيـــر والهمّ وقـــرٌ شـــيـــمـــة الرزء أن يكون طويلا

---

(١) ولعل أقسى محنة اجتازتها نفس بشرية كانت تلك التي ألمت بعلي إذ وقف في جوف ذلك الليل هو وفاطمة على حافة قبر الرسول بعد أن وسد الجثمان الكريم مرقده. (عبد الفتاح عبد المقصود).

يتلوّى على القيود تقيّاً ... لم يشأ أن يفض تلك الكبولا

ينحني عند كوخه كل رأس ... يطلب العلم والخلاق الأثيلا

يُبخس التبر حقه بعض حين ... ويرى رغم فضله مفضولا

وإذا بالخصوم تعرف قدر ... التبر حتى معفَّراً مرذولا

يُكرم العاقل اللبيب عدواً ... ويُحط الأخ الشقيق جهولا[1]

دولة الجسم من رماد غرور ... فاقدر الناس أنفساً وعقولا

ذو الفقار الشطيب يكرم ... مغموداً مهيباً ويتّقى مسلولا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) ظل علي المرجع الأعلى للفقه والأحكام في عهد الخليفتَيْن أبي بكر وعمر يستشيرانه وينزلان على رأيه العالي ولا يكلمانه إلا بلهجة الاحترام والتقدير.

عثمانُ بن عَفّان[1]

أين كسرى يعتزُّ في إيوانه ... من أمير الإسلام من عثمانِهْ

ألف عبدٍ من حوله وألوف ... يرقبون الفتات حول خوانه

مسرف ينثر النضار على الأصحاب ... والأصفياء من إخوانه

---

(١) اتبع عثمان بن عفان الملقب بذي النورَيْن سياسة البذخ والإسراف وإرضاء الأقارب والأنصار وهو في بذله لهم لم يكن مسوقاً بسجيته السخية ـ لأن الرجل كان كريماً جواداً ـ بقدر ما دفعته ظروف الأحوال فإنه كان يعلم علم اليقين من هم أنسباؤه الأمويون أصحاب الماضي الأسود وكان أحط هؤلاء عمه الحكم بن أبي العاص الذي أفحش في هجاء الرسول واشتط في عدوانه حتى أن الرسول لم يغفرها له بعد إسلامه ونفاه إلى الطائف وظل في منفاه بعيداً في عهد أبي بكر وإن شفع به عثمان لديه. فلما استخلف عمر مشى إليه عثمان ثانية بالرجاء فانتهره ابن الخطاب وقال: يخرجه رسول الله وتأمرني أن أرده. إياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم. هذا هو الحكم أبو مروان الذي قدَّمه عثمان حين ولي الخلافة فقد أعاد طريد الرسول إلى المدينة معززاً ومنحه مائة ألف. ولم يسر عثمان في طريق الخليفتين السابقين فينتصح بنصائح علي ويمسك عن التبذير بل غدا ألعوبة في يد مروان بن الحكم وزوج ابنته ام أبان. وأخذ مجد مروان يعلو في الدولة وكان مغروراً صلفاً مستبداً فكان شؤماً على عثمان وقد منح الخليفة صهره يوم العرس المشؤوم مائتي ألف من بيت المال سوى ما كان قد أقطعه إياه من قطائع ومنها فدك خيبر وقد حرمت منها فاطمة بنت النبي وهي أولى الناس بخيبر. وفي اليوم التالي للعرس جاء زيد بن أرقم خازن المال إلى عثمان دامعاً باكياً فسأله عثمان عما به فأجابه إني أبكي لإسرافك. فقال عثمان: أتبكي لأني وصلت رحمي؟ فأجابه زيد: لا يا أمير المؤمنين ولكني أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة الرسول. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً. فأغضبته هذه البادرة أيما غضب وصاح بالناصح الأمين:

«ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك». وقد تنكر عثمان لكرام الصحابة وعلى الأخص لعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري. فقد جاءه عمار ناصحاً ولما دخل عليه وقف له مروان بالمرصاد وقال: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد قد ألب عليك الناس وإنك إن قتلته فقد أمنت من وراءه، فأخذ عثمان عصاه وضرب بها الشاكي وعاونه على الضرب أهل بيته ومن حضر مجلسه من بني أمية حتى فتقوا بطن الرجل وألقوه على جانب الطريق في اليوم البارد المطير وهو بين الموت والحياة. وكذلك فعل بعبد الله بن مسعود إذ أمر بعض عبيده أن يضربوه فأمعنوا في ضربه حتى كسروا أضلاعه. ولم تقر عين الخليفة حتى أتبع هذا التعذيب بقطع العطاء عنه وكأنه رق له فيما بعد فأتى يعوده وهو على سرير الاحتضار. فقال: يا أبا عبد الرحمن ما تشتكي. فأجابه ابن مسعود هادئاً وعينه على السماء: ذنوبي، «فما تشتهي»، «رحمة ربي»، «ألا أدعو لك طبيباً؟» فابتسم المريض ساخراً وأجاب: الطبيب أمرضني. فغص عثمان بريقه وذكر في هذه الآونة

فهو كالنهر مدّه النبع حتى ... ليصمّ الآذان في جريانه
يغمر الضفّتين ماء وطمياً ... والملاكي تغور في غدرانه
يترك الروضة البعيدة ظمأى ... ليس تحظى بحبّه من جُمانه
يمنح الخصب للقريب جزافاً ... فيموج الربيع في شطآنه
أخرجته بنو أمية وهو العاجز ... والهمّ ضلّ درب اتّزانه
يهرم الجذع من عياء ويهوي ... أرهقته الثقال من أغصانه

= ظلمه للرجل فقال أفلا آمر لك بعطائك؟ فأجاب ابن مسعود : منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه؟ «يكون لولدك» «رزقهم على الله». فلما أعيى الخليفة نهض عثمان مستغفراً فأباها عليه المريض وقال : أسأل الله أن يأخذ لي منك حقي. وكذلك فعل عثمان بأبي ذر الغفاري، فنفاه إلى الفلاة حيث مات طريداً. وقد اعترض مروان سبيل علي بن أبي طالب وقد خرج في جماعة من مريديه يشيعون أبا ذر حين ترك المدينة في طريقه إلى منفاه فقال : يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره أو يشيعوه. فلم يطق علي منه هذا التهديد وبادره بالسوط يضرب به وجه راحلة مروان التي سدت عليه الطريق وهتف يقول : تنح نحاك الله إلى النار. ومن أخطاء عثمان خلعه سعد بن أبي وقاص الصحابي الكريم والي الكوفة وتوليته الوليد أخاه لأمه. والوليد هو الخليع الفاجر الذي قال فيه أهل الكوفة : أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد وقد ظل أبداً موسوماً بفسقه لا يتحرر منه وتبقى السبة عالقة به ما بقي القرآن الأبدي. وكان يصلي بالناس مرة وهو سكران. فافتضح فضيحة عظمى، تندّرت بها المحافل وتناقلتها السمار. فقال الحطيئة هاجياً :

شهد الحطيئة . . . أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم «أأزيدكم» ثملاً وما يدري

ليزيدهم أخرى ولو قعلوا ... منه لقادهم إلى عشرِ
فأبوا، أبا وهب ولو فعلوا ... لقرنت بين الشفع والوترِ
حبسوا عنانك في الصلاة ولو ... خلوا عنانك لم تزل تجري

ومع ما كان قد سبق إلى علم عثمان من سيرة أخيه ومن خوض الناس فيه فإنه عزّ عليه أن يذكره أحد بشرّ وأتاه الشهود العدول يشهدون على أخيه بالفجور والسكر. فأغضى وعجب الناس لموقفه ولغطت الألسن حتى سمع بالأمر علي فأقبل يعاتب الخليفة ويستنهضه أن يعود إلى الصواب فقال علي : دفعت الشهود وأبطلت. قال عثمان : فما ترى. قال : أن تبعث إلى صاحبك فإن قامت عليه البينة أخذ حق الله منه. فاستحضر الوليد ولزمته شهادة الشهود ولم يبق إلا أن يجد في هذه الأونة غلبت هيبة الخليفة شجاعة الحضور. وأمر علي ابنه الحسين أن يجلده فتلكأ. وقال : يكفيه بعض ما ترى. ولكن علياً لم يكن بالذي يعرف الهوادة في حق الله. فأخذ السوط وأهوى به على الوليد في ذلك المجلس المهيب وأخذت الشفقة عثمان بأخيه. فقال بلهجة الغاضب ليس لك أن تفعل به هذا قال علي وهو مستمر بالضرب : بلى وشر من هذا إذا فسق ومنع حق الله أن يؤخذ منه. (عبد الفتاح عبد المقصود).

أين عهد الخليفتين تولى ... ذاك عهد الزهاد في إيَّانه

يستشيران في الصعاب عليّاً ... فيؤدي من قلبه ولسانه

بذل النصح لابن عفان محضاً ... وأنار المطويّ من وجدانه

عجباً يرفض الهداية ذو النورين، ... يمشي على هدى عميانه

شيمة العرش شيمة الحصن يبقى ... ببقاء العمدان في أركانه

فإذا انهار حاكم فارقب الأعـ ... ـوان تَلْقَ الفساد في أعوانه

إيه عثمان كيف جئت بوغدٍ ... تستجير الأنوف من أدرانه

(حكَمٌ) كان خصم أحمد حتى ... ضجّ منه العداء في عدوانه

لم يسعه حلم الرسول وطه ... منبع الحلم دافق من جنانه

جاء عثمان بابن صلّ طريد ... وحباه الدفيء من أحضانه

هيَّج الدفءُ ناقع السم مدفـ ... ـوناً فوخز المنون في أسنانه

وابن عفان سادر لا يبالي ... أن يفلّ النيوب من أفعوانه

فحباه السلطان : أي ظلوم؟ ... يستعيذ الآباء من سلطانه

أمويّ في ألف لونٍ مريبٍ ... ودهاء الحرباء في ألوانه

حال ما بين أمة وعميد ... ذرّ سحر الضلال في أجفانه

***

واصطفاه الوليّ صهراً حبيباً ... فأظل الهناء (أمَّ أبانه)

وأخوه لأختها صار زوجاً ... يا لعرس الإسراف في طغيانه

وقلوب الشعب المهين تشب النـ ... ـار فيها كالقدر في غليانه

إن قلب الفقير يرصد أهل البـ ... ـذخ قلب يذوب في خفقانه

ليس يجري دماً ولكن سعيراً ... فلهيب الجحيم في شريانه

يبطر المترف الغني فيطغو ... ويراه الفقير في أرجوانه

ساحباً مطرف الطغاة عتيّاً تطلع الكبرياء من أردانه

***

منية البائس الفقير كساء يدفع الزمهرير عن صبيانه

لا سميع بل زجر فظ غليظ مات ظلّ الإنسان في إنسانه

وتشب الثورات كفُّ غشوم يرهق الشعب ممعناً في امتهانه

بيت مال الإسلام صار مشاعاً بين وُلد الأمير أو خلانه

أمويون بينهم نسل (حرب) أيّ فضل أتى أبو سفيانه

ليس خصم النبي غير طليق ألف شك يغض من إيمانه

إن تلك السيوف نامت ولكن لم تجف الشفار من أضغانه

هزل الدهر، إنَّ مروان صهر وكنوز الإسلام رهن بنانه

وغدت خيبر هدية عرس وتسامى النخيل في بستانه

زارع الروض يحرم الروض واللـ ـص المرائي يعيث ملء جنانه

أي مهر لفاطم؟ أيّ نخلٍ؟ إن عيد العظيم في أحزانه

يسطع النجم في العراء نقيّاً وهو صنو الخلود في دورانه

***

مد مروان في النفاق وغالى فوق حدّ الخيال في زيغانه

زاد قربى فازداد ختلاً ومیناً ومحك اللئيم رفعة شانه

لا يكون الأصيل إلّا عزيزاً تلمح النبل من خلال هوانه

فإذا سُود الوضيع فبطن الأر ض خير للناس من عنفوانه

يبدع الشر والإساءة عمداً ويراها دعامة لكيانه

من يحسّ الخنافس السود لولا ما يصير الهواء من جعلانه

صار صهراً وللنساء بنان قد يكب الجواد في ميدانه

رُبَّ عصر بالدمع صار غريقاً ... ويكون البلاء من نسوانه

***

راع (زيد بن أرقم) ما ينـ ... ـال مال الإسلام من فتيانه

فتولّى عن الخزينة مغلـ ... ـوباً يفرّ النضار من خزّانه

ونهاه ابن ياسر فجزاه الـ ... ـسوط خدّ الشقوق في لحمانه

وجزى بالجراح نصح ابن مسعـ ... ـود فمات النصوح قبل أوانه

وهما موضع الذؤابات فضلاً ... إن بعض النبي في أخدانه

إيهِ عثمان هل ذكرت الغفـ ... ـاري المجلي وكان قدْسَ زمانه

يا لتعس المنفيّ من دون ذنب ... غير صدق في قوله وجنانه

رام مروان أن يَصُدَّ عليّاً ... عن وداع المطرود من أوطانه

قال : «دعه إن الخليفة يأبى ... أن تجلّ الطريد في خذلانه»

هاله أن يرى عليّاً بلون الجسـ ... ـر هاج الكمين من بركانه

زمجر الليث قائلاً : لا تمانع ... مَدَّكَ الله في لظى نيرانه

وَعَلا مركب العتيّ بسوط ... فثنى النكس فضلة من عنانه

راح يشكو إلى الوليّ مريداً ... فاستشاط الوليّ من عصيانه

شاء ثأراً لزوج (أمّ أبانٍ) ... وتلظَّى هنيهة بدخانه

ثم عاد الطرف الحسير كليلاً ... هاله الطود شامخاً برعانه

بئس جيش الحكام من كل وغدٍ ... يستشير الرعاع من ندمانه

أيّ رأيٍ لعاملٍ مستبدٍّ ... ضاع ما بين خمره وقيانه

يُعزل المدره المجرّب (سعد) ... ويحل الوليد في إيوانه

ذكره سبة الدهور فإن ... الله ذم الوليد في قرآنه

كيف يسمو من قلبه في التحظي ... يتلاشى وعقله في دنانه

فإذا فاضت الدنان رحيقاً ... جاءها يستحمّ في أجرانه

قام في المسجد الوقور يصلي ... ضائع اللب شط في بحرانه

قال : «هلّا أزيدكم عشرات» ... وتمادى السّكّير في هذيانه

جيء بالفاسق الخليع أخي ... عثمان من أمه فيا لحنانه

رام أن يرذل الشهود دفاعاً ... عن أمير المجّان عن سكرانه

أين عدل الإسلام فالعدل يأبى ... أن تحول الأوزان في ميزانه

وسواء في الحق سائق ظعنٍ ... أو مليك يختال في صولجانه

قيس بالسوقة العديم ربيب العرش ... وهو الأمير في غسّانه

لم تصنه الأجداد صفّ ملوك ... فهوى عاهل على تيجانه

***

وأتى حافظ الشريعة، سيف الله، ... نور المصباح في فرقانه

مغضباً عاتباً رآه ابن عفّان ... فشام الكتاب من عنوانه

«هل أقمت الحدود فالذنب أجلى ... من وضوح النهار في ريعانه»

غصّت الدار بالوفود شهوداً ... من ثقات العراق من أعيانه

وضح الفسق من يقوم لجلدٍ ... والخليع استوى بدار أمانه

حوله من مهابة الحكم سور ... عبد شمس يشد من بنيانه

هيبة المالك الخليفة والأقطاب ... من آله ومن أختانه

حسبه نظرةٌ وعيدٌ ووعدٌ ... وتصير العصاة في عبدانه

عزّه عزّهم وحسب الأماني ... أن تنال اليسير من رضوانه

فإذا افترّ ثغره فالربيع الطلق ... بثَّ الورود في نيسانه

عيده عيد أمّة فالثكالى ... يخلعون الحداد في مهرجانه

يستحبّون زيَّه فهمُ الأصداء ... تروي السخيف من ألحانه

فـــإذا مـــال نجـــمـــه فـــذئاب يعـــملون الأنيـــاب في طيلســـانه

***

كـــان في المجلس المهـــيب شـــجـــاع داس هام العـــتـــاة نعل حـــصـــانه

كم أظلّ الحق اللهـــيف بســـيف وأظلّ العـــلى بحـــــــدّ ســـنانه

لا يداري في العـــدل حـــتى حـــسـيناً فـــيـــريه اللهـــاب من خـــيـــزرانه

صـــاح : «قم يا حـــسين فـــاجلده جلداً خـــذ حـــقـــوق الرحـــمٰن من شـيطانه»

هاب شـــبل الهـــصـــور أن يجلد السكّيـــر فـــالروع ضـــارب بجـــرانه

قـــام للفـــاسق الخليع هصـــور ينـطوي ســـرّه على إعـــلانه

غـــاض لون الوليـــد خـــوفـــاً وبان الحـــقـــد سم الصـــلال في زعـــفـــرانه

وعـــلاه الســـوط الأليم وعـــثـــمـــان ينـمّ الجـــهـــوم عن فـــورانه

هـمَّ أن يـردع الـولـيَّ عـلـيّـــــاً من يصـــدّ الشـــاهين عن غـــربانه

***

وتوالـت على الخـليـــفـــة أرزاء جـــســـام فـــالشـــعب في ثورانه

يُغـضب الناس إن أســاء عـمـيـد وتغضّ الأبصـــار عن إحـــســـانه

فـيـصـيـر المقـربون خـصـومـاً إن داء الـنـبـــــات من أفـنـانـه

وأقلّ الأســمـاك خـوفـاً من الدلفين ضـــرب يعـــيش في خلجـــانه

وطغت ثورة النفـــوس كـــأنَّ اليـ ـمّ هاج النيـــام من حـــيـــتـــانه

وإذا عـــمَّت الظلامـــة شـــعـــبـــاً يتـــســـاوى غِطريفـــه بجـــبـــانه

***

(طلحـــة) يوغـــر الصـــدور وعـــمـ ـرو العـــاص بث الغليل من شنآنه

وغـدا الأمـر الخليـفـة مـحـصـوراً وراء الكـثـــيف من جـــدرانه

يطـلـب المـاء صـــــادياً لا يـلاقي مـــا يبلّ الأوام في كـــيـــزانه

وتخلى بنو أمية عن شيخ ... ضعيف يذوب في أشجانه
أفسدوا رأيه فكانوا خيوطاً ... نسَّقتها الأهواء في أكفانه

* * *

لا نصيرٌ ولا صديقٌ حميم ... في البلاء الجسيم في معمعانه
لا سعين سوى خصيم شريف ... أقفر المشرقان من أقرانه
يتعالى عن الشماتة والأحـ ... ـقاد فالخير قطرة من بنانه
للضعيف الجريح بلسم طهر ... للقوي العتي حدّ سنانه
لو وعى الشيخ نصحه لاستمرَّ ... العرش في عزّه وفي لمعانه
أين ذنب الطبيب عند مريض ... عاف شرب الدواء من فنجانه
مَنْ لغوث الظمآن غير علي ... شق جيش الثوّار ذكر طعانه
يحمل الماء مغدقاً كسخاء ... الفجر طلّ الظميء من ريحانه[1]
ظلّ عثمان، رغم نبل عليٍّ ... ظلّ رجع الأصداء من مروانه
وتمادى العقوق في جحد فضل ... وتمادى المسماح في غفرانه
كلما أنكر الجحود قرابيناً ... يزيد السخيُّ في قربانه
لا تسيغ الحجلان أنّ مجال النسر ... فسوق الغيوم في طيرانه
ودعا ابنيه يدفعان عن المحصور ... ضيماً، بالروح يفتديانه
واستمر السبطان في الباب دفعاً ... لخضمّ يزداد في هيجانه
هدّم الثائرون حصناً رفيعاً ... مدّ للجائعين رحبَ جفانه
وأمدَّ الإسلام بالمال سمحاً ... من يماري في فضله ومكانه؟
رحم الله مغرماً بذوي قرباه ... ضلَّ الطريق في تحنانه
فكمال الأخلاق في المرء حزم ... وكمال الجواد في إرسانه

---

(١) عندما حوصر عثمان وقطع الثوار عنه الماء لم يجد مغيثاً له سوى علي الذي حمل إليه الماء وشق صفوف الثوار، وعهد بالدفاع عنه إلى ولديه الحسن والحسين، ولكن ما عساهما يفعلان حيال الجماهير الزاخرة الثائرة، وقد أصيبا بالجراح ورغم ذلك فقد ظنهما علي مقصرَيْن وصفعهما. (عبد المقصود وابن قتيبة).

أبو ذَر الغفَّاري[1]

لان قلب الصحراء من تسياره ... فعلى البيد مسحة من وقاره
أسمر بارز العروق نحيل ... أعمل البؤس نابَه في دِثاره
حل (أمَّ القرى) غريباً وزاد الفقـ ... ـر في جهل أمره واستتاره

---

(١) نأخذ النبذة التاريخية المتعلقة بأبي ذر الغفاري عن كتاب (أبو ذر الغفاري أول ثائر في الإسلام للأستاذ قدري قلعجي. وعن مقدمة للصديق العليم الشيخ عبدالله العلايلي) :

كان جندب بن جنادة المكنى بأبي ذر سيد غفار وإن فقيراً. فلما سمع بالدين الجديد هبط مكة وهو معتمر بعمامة سوداء وعليه عباءة ممزقة فجعل يطوف في أسواق مكة، واضطجع غير بعيد عن الكعبة فبصر به علي فرقَّ لهذا الفقير الغريب، ودعاه إلى منزله وتعارفا وأرشده علي إلى النبي (ﷺ). وكان المسلمون مستضعفين إذ ذاك يعبدون ربهم في الخفاء فجاء جندب خامس المسلمين. وقد بلغ من جرأته أنه خرج فوقف في المسجد وقريش محتشدة فيه ودعا الناس إلى المذهب الجديد فانقضَّ عليه القوم يضربونه حتى أثخنوه. وعندما هاجر النبي إلى يثرب لحق به أبو ذر وأقام مدة في المسجد في الصفة مع الذين لا مأوى لهم. وكان الرسول (ﷺ) يدعو أهل الصفة إليه ليلاً فيفرقهم على أصحابه. وتتعشى طائفة منهم معه. فكان أبو ذر من هذه الطائفة المقربة إليه، الأثيرة عنده، يشاركه نهاراً في أعماله وغزواته ويجتمع به ليلاً في مجلسه. فأصبح بذلك من أعظم المحدِّثين وأكبر المجاهدين. وقال فيه علي : إنه رجل وعى علماً عجز عنه الناس وكان النبي يبتدئه إذا حضر ويتفقده إن غاب. ولما خرج لغزو بني المصطلق استخلفه على المدينة فكان ذلك دليلاً على ثقته العظمى به وقد هال أبا ذر أن تصير الخلافة إلى عثمان بن عفان بدلاً من علي وأغضبه إسراف عثمان الذي أعطى لمروان فضلاً عما ذكرناه ألفاً خمس خراج إفريقيا وترك لمعاوية خراج الشام. فاحتجنه ولم يوزعه على المسلمين. . . وفي أيامه بلغ مال الزبير بن العوام خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وعشرات الدور بالبصرة والكوفة والقاهرة والاسكندرية. فلم يطق الرجل الحر انقسام المجتمع إلى فريقين متباينين : أغنياء مترفين، وفقراء مدقعين. وقد رأى بعينه استئثار معاوية وأصحابه بالفيء والغنائم، وحرمان المقاتلة منها. فرأت فيه الطبقات الشعبية المحرومة زعيماً معبراً عن سخطها ومطالباً بإنصافها. وقد أتى الشام لئلا يرى بعينه إسراف عثمان فرأى أكثر من ذلك، رأى إسراف معاوية. . . ولما بنى معاوية قصر الخضراء أرسل إليه أبو ذر من يقول له : «يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف». وقد أخرجه معاوية من مجلسه ونهى الناس عن مجالسته وقال له : يا عدو الله تؤلب الناس علينا وتصنع ما تصنع فلو كنت قاتلاً رجلاً من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين لقتلتك. فأجابه أبو ذر : ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر. . وشاور معاوية عثمان فأجابه الخليفة : احمل أبا ذر على أغلظ مركب وأوعره، ثم ابعث به مع من ينخس به نخساً عنيفاً حتى يقدم به علي. فأركب أبو ذر على قتب بدون وطاء، وتسلخت فخذاه

إن دار الغنيّ في كل مصر ... وغريبٌ هو الفقير بداره

هبط الليل فالأتيُّ ضجيع ... في جوار الحطيم، ضيف جداره

ورآه الفتى عليٌّ فَرقَّ البؤسُ ... للبؤس فاستوى في جواره

أنِسَ الضيف بالمضيف فحلَّ ... القلب من أسره ومن أسراره

جاء يرجو الإيمان شهم (غفارٍ) ... طالب النور بات ضيف مناره

فهداه إلى النبي فَعبَّ الكـ ... ـوثر الروق في بكور انفجاره

خامس المؤمنين والدين غضٌّ ... لم يفضَّ الحجاب عن أبكاره

فالغفاريُّ خاض بحراً من الأهـ ... ـوال غصَّت شطآنه بالمكاره

= من طول قعوده على القتب اليابس فوق البعير الهزيل الذي كان يحمله من دمشق إلى المدينة طاوياً منعطفات الصحراء المقفرة ورمالها المتسعرة والحراس الشداد الغلاظ الذين يرافقونه لا يسمحون له براحة ولا يعرجون به إلى ظل، بل يحثونه على أن يغذ السير في الليل والنهار. وتواردت على ذهن أبي ذر، خواطر وذكريات شتى أثارت شجنه، ولكنها قوّت عزيمته في الجهاد. وإذا بمدينة الرسول تبدو في آخر الأفق، وبصوت يرتفع بعد قليل فيه رنة الثقة والحزم قائلاً : الله أكبر. ومضى حتى دخل على عثمان في مجلسه. فابتدره هذا بقوله : لا قرب الله لعمر عيناً. . . فقال أبو ذر : والله ما سماني أبواي عمراً ولكن لا قرب الله من عصاه وخالف أمره وركب هواه فصرخ عثمان : أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب. فقال علي : يا عثمان سمعت رسول الله يقول : «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» وحاول عثمان ان يستميله بعد ذلك فأرسل إليه مولِيين قالا له : إن عثمان يقرئك السلام ويقول لك : هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك. فقال أبو ذر : هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا : لا ! قال : فإنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم. قالا : إنه يقول لك هذا من صلب مالي ! ووالله الذي لا إلـه إلا هو ما خالطها حرام ولا بعث بها إليك إلا من حلال. فقال : لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له : عافاك الله وأصلحك. ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً مما تستمتع به. فقال : بلى تحت هذا الأكاف الذي ترون رغيفي شعير قد أتى عليهما ايام فما أصنع بهذه الدنانير. وردها إلى عثمان. ونفاه الخليفة إلى القفر حيث مات جوعاً هو وزوجته وأولاده. . . ومما يروى عن كيفية موته أنه بقي ورفيقته بعد موت أولاده أياماً لا يأكلان شيئاً ثم قال لها : قومي بنا إلى الكثيب نطلب العبب (وهو نبات ذو حب ينبت في القفار) فصارا إلى الكثيب، والريح تئن وتصفر فلم يجدا شيئاً. فأصاب أبا ذر الذهول وطفق يمسح العرق الذي ينضح رغم البرد الشديد ونظرت إليه زوجه وإذا بعينيه قد انقلبتا فبكت. فقال : ما يبكيك؟ فقالت : ما لي لا أبكي وأنت تموت في فلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعنا كفناً لي ولا لك، ولا بد لي من القيام بجهازك. فأشفق الشيخ عليها وقال لها وقلبه يقطر أسى : فابصري الطريق لعل هنالك أحداً من المؤمنين، فقالت : أنى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطريق ! فقال وقد ذكر كلمة قالها له الرسول (ﷺ) : اذهبي فتبصري فإن رأيت أحداً فقد أراحك الله من القلق والعذاب، وإن لم تري أحداً فمدي الكساء على وجهي، وضعيني على قارعة الطريق، وقولي لأول ركب يمر بك : هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد قضى نحبه ولقي ربه فأعينوني عليه وأجنوه !» فأنشأت تهرع إلى الكثيب فتنظر ثم ترجع إليه فتمرضه. فبينا هي

مـــؤمن قلبـــه يصـــدُّ الرواسي ... لو هوى الطَّود صـاعـقـاً في انحـداره
إنما المعـــجـــزات صـــدق يقين ... تلهب البـحـــر جـذوةٌ من شـــراره
وأتى يثـــرباً يروم نبـــيّـــاً ... أبعـــدته حُـــسَّـــادهُ عن ديارهِ
كـــان أدنى إلى النبيّ من الأنصـ ... ـار بل كـــان فِلذة من شـــعـــاره

***

هاله أن يرى بعـــثـــمـــان إسـرا ... فـــأ يهمُّ الجـــمـــاد باســـتنكاره
فـــأتى الشـــام باعـــداً عن لهـيبٍ ... لا يطيق الصـــبـــور بعض أواره
فـإذا في دمـشق من مـوجـة الإسـ ... ـراف نهـــر يضجُّ في تـهـــداره
ينفح الأقـــوياءَ خـصـــبـاً وظلّاً ... ويغـيب الفـقـيـر في تيَّـاره
فـــابن هند يحلُّ مـــال اليـتـامى ... للرُّشى للطغـــاة من أنصـــاره

= ترسل نظرها الحزين في الأفق الغائم، إذا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تخب بهم رواحلهم، فألاحت ثوبها، فأقبلوا حتى دنوا منها فقالوا : يا أمة الله ما لك؟ قالت : امرؤ من المسلمين تكفنونه وتؤجرون فيه. قالوا : ومن هو؟ قالت : أبو ذر الغفاري. قالوا مسائلين وقد أنكروا لأول وهلة أن يموت ذلك الصحابي الجليل وحيداً في هذه الفلاة : «صاحب رسول الله؟» قالت : نعم ! فقالوا :
بآبائنا وأمهاتنا هو، لقد أكرمنا الله بذلك. ثم وضعوا سياطهم في نحورها، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم : أبشروا فإني سمعت رسول الله يقول لنفر أنا منهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين ! وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية وجماعة. . . وتفرس الشيخ المحتضر في وجه القوم وقال لهم : والله ما كذبت ولا كذبت، ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي ولامرأتي لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً». فنظر القوم بعضهم إلى بعض حائرين، إذ لم يكن فيهم أحد إلا وقد قارف من ذلك شيئاً، إلا فتى من الأنصار قال له : أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا الذي اشتريته بمال كسبته بعملي، وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي حاكتهما لي كي أحرم فيهما»، فقال : أنت الذي تكفنني، فثوبك هو الثوب الطاهر الحلال. وكأن أبا ذر قد اطمأن إلى هذا القول وسكن إليه، فأغمض عينيه ولفظ أنفاسه الطاهرة في هدوء وتسليم، بينما كانت السحب تتراكض في السماء كأشباح هائمة، والرياح تلعب بالرمالَ السوافي، كأن بلقع الربذة الخاوي قد تحول إلى بحر عاصف. فغسله القوم وكفنوه، ثم صلوا عليه ودفنوه، ووقف الفتى الأنصاري على قبره فقال : اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله، عبدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكراً فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي، وحرم واحتقر ثم مات وحيداً غريباً. . . اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسول الله !» فرفعوا أيديهم جميعاً وتمتموا بحرارة وخشوع «آمين».

شاد قصر الخضراء من مهجة الأيـ ـام سالت عيونهم لاخضراره
وكأن القلوب وهي جياع فلذات تنزّ تحت حجاره
جلجل الحق في فؤاد أبي ذرّ فهاج الكمين من فَوّاره
ينصر البائسين غير هيوبٍ ويرد الهجير عن أزهاره
لا يخاف الأتون يقذف هولاً ليس يخشى سوى الإله وناره
فيردُّ الصلات ردَّ أبيّ لا تفلُّ الهبات صلب غراره
هو وقف على الحقيقة، إن يهلـ ـك، فزرع الخلود في أفكاره
ما على السيف خاض حمر المنايا إن يُفلّل فعزُّه بانكساره

***

أعجز الثائرُ العظيم ابن هند رام إطفاء صوته بنضاره
فنفاه إلى الخليفة منبوذاً يذوق المنون في تسياره
قتب تحته بدون وطاء يخدش الساق مرهفاً من شفاره
كلّما تعتع البعيرَ قساةٌ ساخ فخذ الشهيد في مسماره
لا رقاد لا مأكل لا شراب لا ظلال تبلُّ وهج سعاره
دُفع الكبش للذئاب، فمدَّ الذئب من نابه، ومن أظفاره

***

دخل الشيخ يثرباً فإذا صوت أنيس يحطُّ من أوزاره
فيه من رقّة الورود إذا ما الـ ـروض بثَّ العبيرَ في إخباره
ومن العندليب في وثبة التبـ ـكير، نبضُ الحياة في أوتاره
رنَّح الظلَّ فارتمى الظلُّ نشـ ـوان يصبُّ الترياق في منقاره
أيّ صوت جرس الملائك فيه وهتاف السماء رجع قراره
يحمل الصبر والعزاء لشيخ يلمح الموت رابضاً في انتظاره

هو صـــوت المؤذن العـــذب لاقى ... في الفـــؤاد الجـــريح خـــصب بذاره
إذ ينادي : الله أكـــبـــر فـــالأف ... ـلاك تصـغي نجـومـهـا لادّكـاره
مـــا على المرهق الشـــريد فـــإن الله ... فـــوق الزمـــان، فـــوق كـــبـــاره
أُدخل الواهن الكليل على عـــثـــمـ ... ـان والحق درعـــــه في حـــــواره
لـم يطقـهـا عـثـمـان آيات نصح ... وعلى الشـيخ صبَّ جـام احـتـقـاره
وتمادى فـــهـــاج صـــدر عليّ ... جـاوز المفـتـري حـدود اصطبـاره
قـال : «أقـصـر عثـمـانُ كـان رسـول الله ... يخـتـار (جُندباً) في اخـتـيـاره
«لـم تقلّ الغـــبـــراء مـــثل أبي ذرّ ... صَـــدوقـــاً» فـــالحق نسج إزاره

***

وانزوى الصـــاحب الجليل بكوخٍ ... سـرح البـؤس عـارياً في عـقـاره
ينـذر الـظـالمين بـالـويل حـــتى ... لوعـــيـــدُ الـقـــرآن في إنذاره
حـــاولوا خنق صـــوته فـــأتوه ... بالدنانيـــر وهو ملء افـتـقـاره
بين زوجٍ ذليلةٍ وصـــغـــارٍ ... والرقـاع الأسـمـال كـسْـوُ صغـاره
قـــال : «إن الرحـــمن وفَّـر قـوتي ... إن خـبـز الفـقـيـر بعض يسـاره
«تحت هذا الأُكـاف قـرصـا شـعـيـر ... إنما المال عـيـبـه في ادخـاره»
خـلـقـك الخـلـق يـا أبـا الـذرّ أبـهـى ... من صـفـاء الربيع في أسـحـاره
أتُراك (ديوجين) يبـعـث حـيّـاً ... فـينير المصـبـاح ظهـرَ نهـاره
ضـاق صـدر الوليّ فـارفضَّ حـقـداً ... فـجـزاه بالنفي عن أمـصـاره
قـال فـاذهب إلى الفـلاة طريداً ... والزم الفـقـر لاهبـاً في حِـراره

***

لـو درى القـفـر من أتاه لحـال الرمـ ... ـل روضـاً يميس في أشـجـاره
يطفئ الجـوع في صـدور الحـزانى ... بالشـهيّ الخـلاب من أثمـاره

ويبث الورد السخي عبيراً ... نقلته الأنسام عن أزراره

***

يا لهول المأساة أدمعت الصحـ ... ـراء فالرمل ذائب في جماره

أعوزته الدموع فانشقّ حتى ... طفر الدمع من جفون عراره

شاهد الأبرياء يهوون جوعاً ... كرداء الخريف غبّ اصفراره

أدرك القفر أنَّ في الناس أكبـ ... ـاداً تبذ الصوّان من أحجاره

أنَّ مروان في الظُّلامات أضرى ... من قساة الوحوش، من أثماره

يا أبا (الذرّ) يا حبيب عليّ ... وسمير الرسول في أسماره

لم يمت نائيَ الديار وحيداً ... من تسير العقول في أنواره

أيها السابق العصور المجلّي ... لم ترعه السهام في مضماره

كلما ثارت العصور لِحَقٍّ ... ألقحتها هباءة من غباره

لم يمت مفرداً شهيدٌ يغضّ ... العدلُ حزناً لبؤسه واحتضاره

ويسير الأحرار تحت لواء ... زيّنوه بالرثّ من أطماره

في صعيد الفخار حسب الأماني ... أن تثير الدريس من آثاره

***

يعجز الدهرَ خنق روح كبير ... فحياة العظيم بعد اندثاره

يزدريه معاصروه فإن ولّى شهيـ ... ـداً فالفضل نهج غراره

يلصقون الأنوف بالأرض بحثاً ... عن بقاياه أو بقيَّة غاره

مات سقراط طعمة الظلم، وهو الفكـ ... ـر، شعَّ الضياء من أسفاره

لم ينل من هديّةٍ غير سمّ ... حسبوه لِمَحْوِهِ وبَواره

أطفأوا عمره وفي كل جيل ... حقبات تزيد في أعماره

كل عصر، في غمرة الشهوات ... الدهم، ليلٌ يحنو على فجّاره

يستر القبح بالرياء صفيقاً ... فيشلّ الضياء في أقماره

ويجيء التأريخ مصهر عَدلٍ ... ويروق الظلام غبّ اعتكاره

فإذا كلُّ ظالم دنيويّ ... ليس يبقى من ذكره غير عاره

جيف البحر في الشواطئ تبقى ... ليس للسُّجب غير صَفْو بخاره

ودم الصالح الشهيد خمير ... يسكب الله شمسه لاختماره

فيجوب الزمان دفق سناءٍ ... ويثير القلوب من أحراره

يا أبا (الذرّ) يوم موتك عيد ... إنَّ موت الشهيد فجر انتصاره

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خلافة عليّ[1]

مات عثمان والبلاء ازدادَ ... وادلهمّ النهار والهرجُ سادَا

وغدت يثرب كَبابِل، يوم البـ ... ـرج أهوى على الصعيد رمادا

في مهبّ الرياح بحرة أخـ ... ـلاط تعالت وزمجرت إزبادا

حولها الصائدون لكنَّ هول ... الموج يوهي فيبعد الصيادا

أصبح (الغافقيّ)، وهو رئيس ... الثائرين الألى أثاروا البلادا

ينشد النابهين، يبغي وليّاً ... بعد عثمان يصطفيه عمادا

ودعا الفيصل الوحيد عليّاً ... فتوارى عن العيون المنادى

لم يردها خلافةٌ عن يد الثوّار ... تعطى وهو النبيل نجادا

---

(١) ساد الإرهاب بلدة الرسول (ﷺ) ودانت الرقاب لرجال الثورة، وأصبح الحكم في يد الغافقي أمير المصريين يصرف الأمور ويؤم الناس للصلاة، لا طمعاً في الخلافة ولكن يأساً من تقليدها رجلاً يرضاها ويرضاه الناس فلقد أباها علي وهجر داره إلى فضاء المدينة هرباً من إلحاح الناس عليه، وفي طليعتهم كبار الصحابة والمهاجرين والأنصار. والتأم جمعهم لثالث مرة منذ وفاة محمد وبينهم طلحة والزبير وعمار بن ياسر وأبو الهيثم وأبو أيوب الأنصاري ووقف فيهم عمار خطيباً فقال : أيها الأنصار قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه. . . وإن علياً أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته، فامتلأ المسجد بصوتهم المدوي ينطلق كمن فم رجل واحد «رضينا به» وساروا إلى علي يهتفون له ويهيبون به أن يقبل بيعتهم، فأبى أن يستغل عاطفتهم الكريمة فقال : ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال : اعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم وأطوعكم. فما زالوا به حتى واعدهم إلى الغد في المسجد الجامع فأتوه في الغداة وخرج إليهم فتداكوا عليه كتداك الإبل الهيم على وردها وصعد المنبر وقال : أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا أجد على أحد. فزلزلت الأرض بالهتاف له وصاحوا كلهم «نبايعك على كتاب الله» واندفعوا يبايعونه وكانت أول يد امتدت للمبايعة يد طلحة، فتطيَّر بعضهم وقال : أحق بهذه اليد الشلاء ان تنكث.

زرع عثمان العوسج وها هو علي يدمي أصابعه في الحصاد، يريد أن يقوم المعوج ولكن هذا المعوج قد تصلب. وقام علي في اليوم التالي للبيعة يبسط سياسته العادلة المطلقة التي سيتهجها. ومما قاله : أيها الناس، إنما أنا رجل منكم لي ما لكم وعليَّ ما عليكم وإني حاملكم على نهج نبيكم : ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل ما أعطاه من مال فهو مردود إلى بيت المال فإن الحق لا يبطله شيء. . . ونشط في إنفاذ ما عزم عليه فأحنق صدور الذين ألفوا الترف منذ سنين وبدأت الفتنة تذر قرنها وعلى رأس الناقمين طلحة

لم يدنس برد الشباب طهوراً ... كيف يهفو والرأس شاب رشادا
وهو لو رامها طريدة قسر ... لم ترَ العين مثله صيادا

***

وتجاروا للمسجد النبويّ البـ ... ـكر يمشون زمرةً وفرادى
وأتوا يُشهدون منبر طه ... محكم العقد بيعة وانعقادا
(طلحة) (والزبير) والصِّيد من أصـ ... ـحاب طه، والأوّلون جهادا
والتقى ابن ياسر، وأبو أيّوبَ ... وجهُ الأنصارِ، خلقاً وزادا
أجمعوا هاتفين باسم عليٍّ ... وعليٌّ ما ازداد إلا عنادا
قال : «يا قوم إن دنياكُمُ عنـ ... ـدي لنزر أقلّ من أن يرادا
«فاتّقوا الله واتركوني تروني ... أسلس الناس للولي انقيادا»
واستداروا ببيته يقطعون اللـ ... ـيل لغطاً فنازعوه الرقادا
إتّقِ الله، يا حبيب رسول الله، ... قالوا، فالخطب عمّ وكادا
قال : «في مسجد الرسول أولىً ... فألاقي من جُدره أشهادا
حملوه للأمر حمل عروس ... في مطاوي حيائها تتهادى

= والزبير، المخدوع بطلحة ومن المؤسف أن يكون الزبير وهو الفارس المشهور وحواري رسول الله (ﷺ) وابن صفية عمة أمير المؤمنين في طليعة الناقمين عليه. وأرسلت قميص عثمان المخضوبة بدمه إلى دمشق لإثارة الجماهير والتأليب على علي الذي اتُّهم ظلماً بالمؤامرة على عثمان. (عن عبد الفتاح عبد المقصود).
ونزل طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين البصرة وعمدوا إلى قتل عثمان بن حنيف عامل علي عليها. فكان قتله الشرارة الأولى لنار الحرب. وعبأ أعداء علي الجيوش واصطفت الصفوف وأمر عليّ منادياً ينادي في أصحابه ؛ لا يرمين أحد سهماً ولا يطعن برمح حتى أعذر إلى القوم فأتخذ عليهم الحجة البالغة. قال : فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما : استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها أربع خصال ان تصدق فيها. هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله وإسلامي قبل كل مسلم، وكفايتي رسول الله نار العرب بسيفي ورمحي، وعلى براءتي من دم عثمان، وعلى أني لم أستكره أحداً على بيعتي، وعلى أني لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما؟ فأجابه طلحة جواباً غليظاً ورق له الزبير. وفي اليوم التالي، خرج علي على بغلة رسول الله (ﷺ) بين الصفين وهو حاسر. فقال : أين الزبير؟ فخرج إليه واعتنق كل صاحبه وبكى. وذكر علي ابن عمته بقول رسول الله (ﷺ) يوم قال للزبير : إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم؟ فتذكر الزبير وقال : اللهم نعم ولكني نسيتها. وترك الزبير الحرب، ولقيه الغادر بن جرموز وهو في طريقه إلى المدينة فاستوهبه فرسه ودرعه وغدر به. (محمد بن قتيبة) (الإمامة والسياسة).

وأحـــــاطوا بـه إحـــــاطة إبلٍ ... حـــول مـــاء تدافـــعت وُرّادا

يـا لشـــــؤم الأقـــــدار أول كـفٍّ ... مـــدها طلحـــة فنزت فســـادا

أجـمـد البـغض مـا بهـا من عـروق ... فـانتـهى حـسـهـا وصـارت جـمـادا

وإذا كـــان مطلع الضـــوء جـهـمـاً ... ســالت الشـمس في التـلال ســوادا

***

أزهد الناس منذ مـا عـرف التـأريـ ... ـخ زهـداً فـــــخلّـد الزّهـادا

رام تقـــويم كل جـــذعٍ مَـــريدٍ ... بـهـظـتـــــه أهـواؤه فـــــانآدا

يغـــمـــر الناس عـــدله بالعطايا ... لا يرى أعـــبـــداً ولا أسـيـــادا

هـاله أن يرى دمـــوع اليـــتـــامى ... والمســـاكين تمزق الأكـــبـــادا

ويرى المســـــرفين تنهب بيت المـ ... ـال فـي جنَّـة الـنـظـام اطـرادا

طـمـــــست سنَّة الرســـــول، فـأحـيـاها عليٌّ وجـدّد الأبرادا

لا تـطيـق النتـــــوءَ عينٌ، بجنب ... الكوخ، تلفي شـوامـخـاً أطوادا

إنما الخلق كلهم، من عـيـال الله، ... والشـــهـم من سـعى فـأفـادَا

أَلِف الناس لذَّة البـــذخ، فـالأكنـ ... ـاف خـضـرٌ، والأَرض لانت مِـهـادا

وعـسـيـرٌ كـبح الجـمـاح إذا مـا ... بطر المـهـــر ناعـــمـــاً وتمادى

هـاجـــــه منـظـر الـربـيـع، وزاد ... الخـصـب فـيـه شـراهة فـانقـادا

إن ردع التَّـيَّـار غب انهـمـار الغـيـ ... ـث يطغـو فـيـحطم الأسـدادا

دون ردع الهـــوى بصـــدر غـــويّ ... تيَّـمـتـــهُ حـلاوةٌ فـاعـتـادا

أيّ شـرّ يلقى أبو الحـسن الصنديـ ... ـد من خـــبـث رهطه إن حـــادا

زرع الشـــوك غـــيـــره فـــحـ ... ـرام أن يكون المعـذَّب الحـصّـادا

يدأب الليل والنهـــار فـيلقى ... عـوسـجـاً جـارحـاً وشـوكـاً قـتـادا

وأظلّت عـــبـــر الظلام عـيـــون ... خـــوَّل الحـــقـــد نورها أزنادا

طلحـة والزبيـر شـيـخـا قـريش ... يقـدمـان البـغـاة والحـسَّـادا

طلحـــة يخـــدع الزبيـــر فـــويل ... للحـــواريّ ســـادراً منقـــادا
عـــجـــبـــاً يا زبيـــر تتـــرك بكر النـ ... ـاس ديناً وحكمـــة وجـــهـــادا
فـــارسَ الخـــيل في الطراد حـــرام ... أن تخـــون الإخـــوان والأجـــدادا
ولماذا أغلقت ســـمـــعك عن صـ ... ـوت جليل، من ظلمـة القـبـر، نادى
قـــد أغظت الأم (الصـــفـــيَّـــة) ودَّت ... لو تلاشت حـــيـــاتك اســـتـــشـــهـــادا
لو درت، عـــمـــة النبي شـــؤون الغـــيـ ... ـب، عـــــافـت أن ترضع الأولادا

***

وســرت في النفــوس مــوجــة إعــجـ ... ـاب بدنيـــا تبـــرَّجت أعـــيـــادا
فـــتـــراءى ســـرابهـــا بحـــر خـــصب ... وتـراءى أنـينـهـــــا إنـشـــــادا
طيـــبـــات تلـقى من الأنـفس ... الحـــيـــرى هيـــامـــاً يزيدها إمـــدادا
قلّ من يرفع العـــيـــون إلى الأرواح ... فـــالناس تعـــبـــد الأجـــســـادا
ومـــتى خـــالـط التـــديّنَ زهـو ... وفـــتـــون فـــقـــد ذوى إلحـــادا
أنشـرِ التـبـر في القـفـار فـتلقى ... عـــدّ حـــبّـــات رملهـــا أجنادا
فـالنفـوس الكبـار في كل عـصـر ... مـــفـــردات تفـــرّقت آحـــادا
يغـرق السـهل في الوحـول، فـما ينجـ ... ـو سـوى شـامخ تسـامى حـيـادا

***

هاج ســـخط القلـوب نهجُ علي ... في صـدور تفـجَّـرت أحـقـادا
ومـــشت جـبَّـة القـتـيل بريداً ... لدمـــشق تثـــيـــرها أضـــدادا
يا قـمـيـصـاً فـوق المنابر مـثـقـ ... ـوبًا خـضـيـبـاً يفـتّت الأعـوادا
مـــا أرادوك غـــيـــر فـتنة شـعب ... فـــأثاروا بنشـــرك الأوغـــادا
ينثـــر الحب للطيـــور بخـــيل ... ألجـــأته الأطمـــاع أن يصطادا
فـتنة راش سـهـمـهـا عـبـد شـمس ... فـــأصـــابت من هـاشم أولادا
إنما العـــبـــشـــميُّ خـــصم عليّ ... وقِـــتـــلاه يـلازم الميـــتـــلادا

طالبـــوا بالدم الطليل بريئـــاً وأعـــدوا له الشِّـــفـــار الحـــدادا
وعـــجـــيب أن المطالب أذكـ ـاها ســـعـــيـــراً ومـــدها إيقـــادا

***

يا صَـعـيـدَ العـراق وسّع مـجـال الخـيل تهـفـو إلى الطراد جـيـادا
قـــد أثاروا بمقـــتل ابن (حُنيف) شـــعـلة النار تحـــرق الـوقـــادا
عـشَّش الحـقـد في الرؤوس فـمـالت مـــرهقـــات تهـــدَّم الأجـيـــادا
أتـراهـا سـنـابـلاً يـابسـات غبَّ شـمس الربيع رامت حـصـادا
حـشـدوها من كل صـوب جـيـوشاً غطتِ السـهل والتـلال جـرادا
ويطوف الزبيـــر بين صـــفـــوف الجند كـــالطرف جـائسـاً روادا
قـــال حـدُّوا سـيـوفكم فـعليٌّ مـــا رأيتم لمثـله أنـدادا
وأراد الأمـيـر حـجب لهـيب النـ ـار إنْ يسـتطع لهـا إخـمـادا
لاين الشـيخ طلحـة فـجـواب الشـيـ ـخ كـالنصل جـارحـاً فـصـادا
وأتاه الزبيـــر يذرف دمـــعـــاً تاه غـــرّ عن الطريق وعـــادا
وتراءت صـــفـــيَّـــة لعلي وإذا بالفـــؤاد حكّ الفـــؤادا
قـــال «هل تذكـــر الرسـول قـؤولاً إنك المعـــتـــدي وإني المعـادى»
قـال «إني نسـيـتـهـا وذكـرت الآن، ويحي، لقـــد ضللت الرشـــادا
إنني تائب أعـــود كـــسـيـــراً وليـــقل بعـــدُ عـــاذل مـــا أرادا
خـــتل الـليث غـــادر ثعلبي شـامـه غـافـلاً حـسـيـراً فـصـادا
يا (ابن جـــرمـــوز) ليت أمك بادت أو أبوك اللئـــيم في العـــقم بادا
خـالهُ حـمـزةُ وقـد كـان فَـوق الخـيـ ـل ثبـتـاً وفـارسـاً مـعـضـادا
إن تـقـم بـيـنـه وبـين عـلـي ضـــغـنة فـــالبكاء ردّ الـودادا
أسـفـاً يا زُبَيْـر لو لم تخـاصم من يشـاءُ الرحـمـٰن ألّا يُعـادى
لجـرى مـرقـمي بذكـرك تيَّـ ـاهاً فـخـوراً يُطبّقُ الآبادا

يوم الجمل[1]

صبَّت الشمس وهجها في الرمال ... فالمروج السمراء بحرٌ عالِ

لا يظل الخيول إلا طيوف الشـ ... ـوس والشوس في ظلال العوالي

تعلك اللجم ضمَّرٌ أعوجيَّاتٌ ... تثير الخيال في الخيَّال

تلطم الصخر بالنعال فوجه الصخـ ... ـر وريٌ والجندل الصلب بال

فإذا سَحَّتِ السنابك ناراً ... أطفأتها بالأحمر السيَّال

---

(١) قال : وذكروا أنه بينما كان الناس وقوفاً إذ رمي رجل من أصحاب علي فجيء به اليه وقالوا يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل. فقال علي : أعذروا إلى القوم. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : إلى متى؟ قد والله أعذرنا والمعذرة إن كنت تريد الاعذار والله لتأذنن لنا في لقاء القوم أو لتنصرفن ! إلى متى تستهدف نحورنا للقتال، والسلاح يقتلوننا رجلاً رجلاً. فقال علي : قد والله أُرينا عذرنا. أين محمد ابني؟ فقال : ها أنا ذا. قال : أي بني خذ الراية. فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فأخرهما عنها. وكان علي يؤخرهما شفقة عليهما. فأخذ محمد الراية ثم قام علي فركب بغلة رسول الله (ﷺ) ثم دعا بدرع رسول الله (ﷺ) فلبسها ثم قال : احزموني. فحزم بعمامة أسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه : تقدم، وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك. فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتاً فقال علي ورفع بصره إلى السماء : لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل. وكان علي قد عبأ الناس أثلاثاً فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنة وربيعة ميسرة. وعبأ أهل البصرة مثل ذلك. فاقتتل القوم قتالاً شديداً فانتصر أهل البصرة وهزمت ميمنة علي وميسرته. قال ابن جهين نظرت علياً وهو يخفق نعاسًا فقلت له : تالله إن بإزائنا لمائة ألف سيف وهزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاسًا فانتبه ورفع يده وقال : اللهم إنك تعلم أني ما كتبت في عثمان سواداً في بياض وأن الزبير وطلحة ألبا وأجلبا علي الناس. اللهم أولانا بدم عثمان فخذه اليوم. ثم تقدم علي ونظر الى اصحابه يضربون ويقتلون. فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية أن اقتحم فأبطأ. فأتى علي من خلفه فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده وحمل على القوم فشطر جيشهم شطرين يطعن ويقتل، ثم خرج وهو يقول : الماء الماء فأتاه رجل بإداوة فيها عسل فقال له : يا أمير المؤمنين أما الماء فإنه لا يصلح لك في هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل. فقال : هات. فحسا منه حسوة. ثم قال : إن عسلك لطائفي. قال الرجل : لعجباً منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم، وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له : يا ابن أخي ما ملأ صدر عمك شيء قط ولا هاب شيئاً. ثم أعطى الراية لابنه وقال : هكذا فاصنع. واقتتل الناس قتالاً شديداً وتألبوا حول الهودج وعطفت الأزد عليه وأقبل علي وعمار والأشتر والأنصار معهم يريدون الجمل فاقتتلوا حوله حتى حال بينهم الليل وما زالوا يروحون ويغدون إلى القتال سبعة أيام وهزمهم علي في اليوم السابع.

أصبح السهل ضفتين من الأبطـ ـال عَدّ الحصى عُلوَّ الرمال

فالتقاء البحرين مرج المنايا بالمنايا ومورد الآجال

بين بحرين برزخٌ من عداهُ لزمته عواقب الأهوال

وقف القائد الأمير كئيباً كوقوف الولهان بالأطلال

ذو الفقار المجيد عضب ولكن وده أن يجول غير مجال

قال لا تبدهوا العدو بحرب علّ فيهم إفاقة من ضلال

***

وإذا بالسهام من ضفة الأعـ ـداء تهمي تدفق الشلال

عيل صبر الأبطال، صحب علي فتنزّت قلوبهم للنزال

جاء عبد الرحمن، نجل أبي بكـ ـر، يقول انتهى زمان المطال

إن إخواننا يخرّون صرعى أترانا نموت موت السخال

= فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى ترضى. فما أتم كلامه حتى أصيب بضربة أثبت على نفسه. وثبتت عائشة في الهودج وحماها مروان في عصابة من قيس وكنانة وبني أسد. فأحدق بهم علي برجاله وتقطعت الأيدي حول الجمل الذي سقط إلى الحضيض بعد أن أصبح كالقنفذ مما أصابه من السهام وأُسِرَتْ عائشة ومروان بن الحكم وعمر بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاص وأشير على علي بقتل الأسرى فقال : لا أقتل أسير أهل القبيلة إذا رجع ونزع وبايعه الأسرى جميعاً فعفا عنهم وخلّى سبيلهم. ثم أمر المنادي فنادى : لا يقتلن المدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة ومما كان لهم من مال في أهلهم فهو ميراث على فرائض الله. فقام رجل فقال : يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا أموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم فقال : لا يحل ذلك لكم. فلما أكثروا عليه قال : اقترعوا. ثم قال : أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه فقالوا : نستغفر الله. فقال : وأنا أستغفر الله. ثم إن علياً مر بالقتلى فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع بينهم وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود فقال : رحمك الله يا محمد لقد كنت في العبادة مجتهداً آناء الليل، قواماً في الحرور صواماً، ثم التفت إلى من حوله فقال : هذا رجل قتله بر أبيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل فشهدت عائشة لمحمد أنها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده في مال طلحة قال : وأتى محمد بن أبي بكر فدخل على أخته عائشة وقال لها : أما سمعت رسول الله يقول «عليّ مع الحق والحق مع عليّ»؟ ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان. ثم دخل عليهما علي فسلّم وقال : يا صاحبة الهودج أمرك الله أن تقعدي في بيتك ثم خرجت تقاتلين. أترحلين؟ قالت : أرتحل. فبعث معها علي أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمائم ويتقلدن السيوف وأن يكنّ من الذين يلينها ولا تطلع على أنهن نساء فجعلت عائشة تقول في الطرق : فعل ابن أبي طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت : جزى الله ابن أبي طالب الجنة. (الإمامة والسياسة لمحمد بن أبي قتيبة).

حـــقك الحق يا أمـــيـــر فـــدعنا ... ننصـــرف أو نمت بظل المعـــالي

رفع الليث طرفـــه في خـــشـــوع ... في انكسـار اليـتـيم، قـبل السـؤال

قـال : «يا مـبـصـر الغـيـوب، وذات ... العـدل، والجـود، والعليم بحـالي

لنتُ حـتى مـرونة الغـصن دوني ... واتضـــاع الشـــذا ولطف الظلال

وأحـبـوا سـمـاع نحب الأيامى ... وعـــويل النســـاء والأطـفـــال

اللهم العنِ الألى قـاتلوا عـشـمـ ... ـان لـعناً يدوم لـلأجـيـال»

ودعـــا باللواء بَيـــرَق عـــزّ ... خَـيطُ مـجـد به وخـيطُ جـلال

حـسن والحـسين هَمَّـا بأخـذ البنـ ... ـد وثبـاً إلى الأشمِّ العـالي

أعـجـيبٌ أن يشـبـه الطلّ طلّاً ... أو ترى الرسم صـورة للمـثـال

عـبق الورد للبـراعم يجـري ... وزئير الهـيـصـور للأشـبـال

***

أشـفق الليث أن يصـابا بسـوء ... فـيـمـوت الرسـول في الأنسـال

إن تـهـبّ الرياح هـوجـاً تـوقّى ... حـاملُ الضـوء برزة المشـعـال

ليس إلا فـتـيلتـان لمصـباح عـجـيـ ... ـب، فلتـبـقـيـا للذبال

هو يلقي بنفـسـه للمنايا ... ومـتى كـان بالمنون يبـالي

كل خطب يهـون إلا دم السـبطيـ ... ـن يغلو، فـذكـر أحـمـد غـال

وأشـار ارجـعـا ولا تهـدمـاني ... فـتـندّ الحـيـاة عن أوصـالي

ودعـا بابنه (المحـمـد) يعطيـ ... ـه لـواء ينيـر دُهم الليـالي

أخـذ السـيف من رجـال علي ... ملء جـوع المهند الفـصّـال

كـثـر القـتل في اليـمين وطار الريـ ... ـش من مـقـدم الجناح الشـمـال

وعلي نعـسـان يخـفق طرفـاً ... كـخـفـوق الغـصـون في الآل

***

أغبر الوجه جاءه (ابن جهين) ضَيّقَ الصدر، واسعَ البلبال

كيف تغفو؟ حيالنا عشرات من ألوف الأشاوس الأبطال

جردوا كل أبترٍ مشرفيٍّ يكسف الشمس حدّهُ في الصقال

يرشقون السهام كالغيث يهمي من أفاويق صيّب هطّال

من يدس رقعة الأديم المُدمّى يضع الرجل في سنان النبال

أولا تسمع الصهيل فإن الأر ض مادت من زحمة التصهال

أدرك الناس يا أبا الحسن الصنـ ـديد فالجيش في طريق الزوال

فاستفاق الأمير كالليث مجروحاً يشق الطريق في الأدغال

(احزموا سرّتي) وكان بطيناً عضلاتٌ لا تخمةُ الأكّال

وأتوه ببغلة لرسول الله، صارت إلى الحبيب الغالي

شق بين الصفوف سمتاً عريضاً كطريق الشعاع في الإظلال

ما على الصقر غير بسط جناح فإذا دونه شموخ الجبال

صاح بالحامل اللواء تَقَدّم فتوانى محمد عن كلال

جوهر الغصن جوهر الجذع لكن ليس غير الجذوع للأثقال

قد تروع الفهود شبلاً وتغدو في مجال الهصور خيط رئال

أقبل النسر غاضباً للواء لم يدنس بكدرة الأوحال

وتراءت له (حنين) و (بدر) فاستجدَّ الشباب غبَّ اكتهال

لطم القائد الفتي على الكتفيـ ـن لطماً معناه : «انظُر فِعالي

عَلَمَ العز جاءك الآن من يحميـ ـك فاخفق مُذَهَّب الآمال

وأغار الصنديد فالحرب دالت واستحال الذؤبان سرب رخال

ومشت بغلة الرسول على الأبطـ ـال تفري وجوههم بالنعال

وأبى ذو الفقار أن يستحـ ـمّ اليوم إلا بمهجة الأقيال

روي السيف والأمير ظميء ... وأحَسَّت لهاتُه باشتعال

وتراءى لبعضهم أن شرب المـ ... ـاء ضرٌّ غِبّ الوغى والصيال

فأتاه كبيرهم بشراب ... عسل النحلِ سائلاً في القلال

فحسا حسوة وقال كلاماً ... ثار مثل الذهول في العسَّال

«طائفيّ هذا الضريب المصفَّى» ... شقرة الشمس في عبير الدوالي

فأجاب الساقي : «فديتك يا ... مولاي إني يكاد يختلُّ بالي

«إن هذا اليوم العصيب جحيم ... قد أطاش العقول في العقَّال

«أضحت الأنفس الكظيمة حيرى ... حيرة الطرف سادراً في الآل

«تدرك الطائفي غير حَفيّ ... بالمنايا وبالجحيم الصالي»

فأجاب الأمير : «ما هبت شيئاً ... وأرى الموت وثبة لانتقال

ولو ان الجبال حَلَّت بصدري ... بقي الصدر كالفضاء الخالي»

***

وأحاطوا بهودج سيِّجوه ... بالأماني زخَّارة والنصال

يستميتون دونه وتذوب الصيـ ... ـدُ ذوب الغيوم حول الهلال

جملاً كان محمل الهودج المحـ ... ـيّ فانهار أحمر السربال

حسبته العيون، من وفرة السهـ ... ـان تنثال، قنفذاً في الجمال

وهوى طلحة جديلاً قتيلاً ... صرعَ الشيخَ مركبُ الجهَّال

وابنه صار في الأسارى حبيساً ... وابن عثمان ذلّ في الأغلال

والمرائي مروان وابن سعيد العـ ... ـاص صِلآن غُلَّلا بالحبال

وأذاع الأمير «لا تقتلوا الجرحـ ... ـى ورفقاً بهاربٍ مجفال

«وحرام نساؤهم ولكم سهـ ... ـم عدول في قسمة الأموال»

فأشاروا عليه أن يقتل الأسـ ... ـرى وفيهم سلالة الأصلال

قـــال : «بل رحـــمـــة لمن يتـــزكّى ... للمـــصلين، رحـــمـــة للعـــيـــال»

جـــمع الأبعـــديـن قلب عـليّ ... همـــة الليث في صـــفـــاء الزلال

ويقـــول الأمـــيـــر لابن أبي بكر، ... مـــواليـــه في احـــتـــدام القـــتـــال

«انظر الأخت، هـل ألمّ بهـــا جـ ... ـرح خطيـــر، أو رضـــة ذات بال

«إن تنلني بالســـوء فـــالله حـــسبي ... وهو أدرى بشـيـمـتي وخـصـالي»

فـــأتاها الشـــقـــيق ينشـــر سطراً ... كـــفَّنتـــه أصـــابع الإهمـــال

قـــال : «هل تذكـــرين قـــول رسـ ... ـول الله قـــــولاً يدوم للآزال

«إنما الحق شـــيـــمـــة لعليٍّ ... لحـــمـــة التـــوأمين دون انفـصـال»

كلزوم البـــيـــاض للثلج، والإشـــعـ ... ـاع للشـــمس، والسنى للّلآلي

ثم جـــاء الأمـــيـــر يســـأل : يا أمـ ... ـاه هل تأمـــرين بالتـــرحـــال

فـــأجـــابت نعم. فـــســـيّـــر رهطاً ... من نســـاء لَبـــسنَ زيّ الرجـــال

فـــتـــعـــمّـــمن بالعـــمـــائم بيـــضـــاً ... والمواضي علّقنهـــا بالرحـــال

ومضت في الطريق، تحسب أن الصهـ ... ـر، شـــاء الإيداع في الإذلال

فـــأحـــاط الأمّ الكســـيـــرة بالأجـــلاف، ... غـــبـــر اللّحى، طوال الســـبـــال

وتمنَّت لو أنّ في الرفـــقـــة الدكنـ ... ـاء أنثى تجـــيـــبـــهـــا لمقـــال

إن طـبـع النســـــاء بثّ وشكـوى ... وحـــــديث ولـو لمحض جـــــدال

يـلـهـم الله بنـت حـــــواء قـــــولاً ... حـيـث لسن الرجـــال في أقـــفـــال

***

وصلت زوجـــة الرســـول، وبان السـ ... ـرّ بعـــد الغـــمـــوض والإســـدال

فـــإذا هـذه الرجـــال نســـاء ... والصناديد من ذوات الحـــجـــال

مـــا ســـمـــعنَ الصليل من قـبلُ إلّا ... وســـوســـات الســـوار والخلخـــال

هنَّ واحـــات غـبطة في قـــفـــار البـيـ ... ـد جـــادت بالكوثر السلســـال

إنما الله صـــــاغ حـــــواء أمّـــــاً ... أو فـــــؤاداً يحنو عـلى الأطفـــــال

رامـهـا كـالشـعـاع لا عـيب فـيـهـا ... وبـراها من جـــودة وجـــمـــال

خـادعـتـهـا الرقـطاء حـتى تهـاوت ... من عـيـاء، والناضـر الغـصن حـالِ

فـأصـابت تفـاحـة وأصـبنا ... طيـبـات من حلوها القـتَّـال

أكـبـرت زوجـة الرسـول كـبـيـراً ... دونه كل سـيـد مـفـضـال

ودعت بالخلود للسـيـد المسـمـاح ... يعـلو عـن سـالف الأذحـال

أنت أجـهـدت يا عليٌّ عـصـوراً ... بعـدك اسـتـيـقظت لجني الكمـال

يعـجـز الحلم حـيث تجـري طليـقـاً ... ويعـود الجـسـور نضْـوَ هُزال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صِفّين[1]

نوّرت (دُمَّـر) فـمـاست فـتـونا ... وجـرى النهـر نغـمـة ، وحنينا[2]

يتـثـنّى في رفـقـة الحـور حـيناً ... ويميـد الصـفـصـاف يسكر حـينا

يتـحـامى أن يصـدع الورد إذ ... يهـوي حـياءً أو يجـرح الياسـمينا

---

(١) سار معاوية في ثلاثة الآف وثمانين ألفًا من جنود الشام وهم أطوع له من بنانه محتجًا على علي بدم عثمان، ، وسار المعسكر حتى نزل بصفين سبقًا إلى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب الفرات وكان جند علي خليطاً من أمم وقبائل شتى، ولكنه جند مشاكس معاكس لا يخضع لأمر ولا يعمل بنصيحة. ولما نزل معاوية بصفين بعث فيلقاً من جنده ليحول بين أصحاب علي والماء. فبعث إليه علي يقول : إن الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك إليه لم نمنعك منه. وقال عمرو بن العاص يا معاوية : لا تظن أن عليّاً يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت دونه، خل عن القوم يشربوا. فقال معاوية : هذا والله أول الظفر، لا سقاني الله من حوض الرسول إن شربوا منه حتى يغلبوني عليه. ولما اشتد العطش بأصحاب علي، أقحم الأشتر النخعي الخيل حتى وضع سنابكها بالفرات، وانخذل أصحاب معاوية، فشمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال : ما ظنك إن منعك علي الماء كما منعته أنت أتراك ضاربهم كما ضربوك؟ ولكن عليّاً لا يستحل منك ما استحللت منه. وكان في صفين بين الفريقين قتال فيه الفناء، فلما رأى علي كثرة القتال والقتل في الناس، علا فوق التل ونادى بأعلى صوته. يا معاوية ! فأجابه. فقال علي : علامَ يقتتل الناس ويذهبون على ملك إن نلته كان لك دونهم، وان نلته أنا كان لي دونهم، ابرز إليّ ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب، قال عمرو بن العاص : أنصفك الرجل يا معاوية. فضحك معاوية وقال : طمعت فيها يا عمرو. فقال عمرو : والله ما أراه يجمل بك إلا أن تبارزه. فقال معاوية : والله ما أراك الا مازحًا، نلقاه بجمعنا. . . وذكروا أن عمراً قال لمعاوية : أتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي إليك؟ والله لأبارزنّه ولو مت ألف موتة. وبارزه فطعنه علي فصرعه، فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه. وكان علي (رضي الله عنه) لم ينظر قط إلى عورة أحد حياء وتكرمًا. . وفشا القتل في أصحاب معاوية فخاف العاقبة، فاستشار ابن العاص الداهية فأشار برفع المصاحف على الرماح. فنشرت وصاح أصحاب معاوية بيننا وبينكم كتاب الله. فوقع انشقاق الآراء في أصحاب علي. وأخذ أصحاب معاوية ينادون في سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون : يا أبا الحسن، من لذرارينا من الروم إن قتلتنا. الله ! الله ! كتاب الله بيننا وبينكم. فأصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح. وكان علي كارهاً للصلح والتحكيم وانشق عسكره شيعاً. وكان عمار بن ياسر من جملة الكارهين للصلح، لأنه استشعر حيلة معاوية وراء ذلك. وحمل عمار على الأعداء صائحًا بالناس : هل من رائح إلى الجنة؟ فقتله جند الشام وأتوا برأسه إلى معاوية. فقال عمرو بن العاص : سمعت رسول الله يقول : تقتل عماراً الفئة الباغية. فقال معاوية : قبحك الله من شيخ، فما تزال تنزلق في قولك، أو

---

(٢) دمر : من ضواحي دمشق.

وأطلّ الربيع في الغوطة ... الفيحاء بحراً لو أن فيه سفينا

تستحم الأبصار في بحره المخضرّ ... حتى يكاد يطلي الجفونا

وقف الطامع الحريص ابنُ هند ... يرسل الطرف من ذرى (قاسيونا)

أيخلّي هذي الرياض وينحو ... جانب البيد خاصراً محزوناً

فليثرها خلافة ويَذر التبـ ... ـر ذرآً، فالمال يعمي العيونا

وليصانع فالمكر أجلب للدنـ ... ـيا، إذا باع دينه واليقينا

وليطالب بدمّ عثمان، ولينشـ ... ـر قميصاً به يثير الشؤونا

يا قميص القتيل سار ستاراً ... وسراباً يخادع الناظرينا

كل عصرٍ له قميص دهاء ... لوَّنته مطامع الماكرينا

هزل الدهر يا معاويَ فانشر ... مطمعاً بارزاً، وبغضاً دفينا

واطلب الثأر من عليٍّ ولا تنـ ... ـدَ جبيناً، فقد وقحت جبينا

***

سار والجند طوّع لابن هند ... كالدمى في أنامل اللاعبينا

أسلسوا في القيادِ كالصبية ... الأطفال في إثر أمِّهم دارجينا

= نحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به. ثم التفت إلى أهل الشام فقال : إنما الفئة الباغية التي تبغي دم عثمان. ثم أقبل الأشتر جريحاً على علي : فقال : يا أمير المؤمنين، خيل كخيل، ورجال كرجال، ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه. فعد إلى مكانك الذي كنت فيه، فإن الناس يطلبونك حيث تركوك. فدعا الأمير بفرسه التي كانت لرسول الله، وتعصب بعمامة الرسول (ﷺ) ثم نادى : من يبع نفسه اليوم يربح غداً، وانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً واضعي سيوفهم على عواتقهم، فحمل علي والناس حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انهار حتى أفضى الأمر إلى معاوية، وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل أحداً إلا ولى عنه. فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه. فلما وضع رجله في الركاب، نظر إلى عمرو بن العاص، فقال له : يا عمرو اليوم صبر وغداً فخر. قال : صدقت. فترك الركوب وصبر. وأسرف الفريقان في القتل، ولم يكن في الإسلام بلاء ولا قتل أعظم منه في تلك الثلاثة الأيام. وإن علياً نادى بالرحيل في جوف الليل. فلما سمع معاوية رغاء الإبل دعا عمرو بن العاص فقال : ما ترى ههنا؟ قال : أظن الرجل هارباً. فلما أصبحوا إذا علي وأصحابه إلى جانبهم قد خالطوهم. فقال معاوية : لقد زعمت يا عمرو أنه هارب. فضحك وقال : من فعلاته والله. فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام، كتاب الله بيننا وبينكم! ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف، وصاحوا : لا ترد كتاب الله يا أبا الحسن، فإنك أولى به منا وأحق من أخذ به. (عن الإمامة والسياسة).

رُبّ آسٍ على النسائم أعصى ... من ثمانين فيلقاً يؤمرونا
إن تباكى بكوا وإما تعامى ... فهم العُمي قطُّ لا يبصرونا
صوته يعطف الثمانين ألفاً ... مثلما تعطف الشمال اليمينا
يمّموا شاطئ الفرات فحلُّوا ... سندساً ناعماً، وماء معينا
سابقوا غيرهم لغير المعالي ... واطمأن الأغرار في صفّينا

***

وأتاهم للحرب، أقطع الناسِ ... سيفاً، وأصدق الناس دينا
بشيوخ المهاجرين، وأنصار ... صحاب، وأهل بدرٍ منّينا
وخليط من الحجاز ومصر ... والعراقين رُحَّلاً وقطينا
فهم البحر ضم درّاً نفيساً ... وفساداً ينفّر السابحينا
يُعجز القائد المُدرَّب جنداً ... يكثر القول فيه والقائلونا
يصبح الناس في الضلالة غرقى ... يوم يغدون كلهم مصلحينا
ولو أن النجوم كانت شموساً ... لأضرَّت وأعمت المبصرينا
وعلى مَنْ تراه يحكم قاضٍ ... إن يكن كل قومه مدعينا

***

ملك الماء عسكر الشام يبغي ... أن تجف الحياة في الظامئينا
فيموتون، مثلما تيبس الأوراق، ... موتَ الكروم في تشرينا
يا لها من خساسة يا ابن هند ... آلم الطرس ذكرُها تدوينا
لم يطقها حتى أخوك، هجين العاص، ... عاراً ولو لئيماً هجينا
قال: «دعهم والماء ربّ ضعيف ... أو أجيرٍ أو صبيةٍ قاصرينا
وعليّ يقول خلّ فنستسقي ... كراماً فما لماءٍ جينا
«لو سبقناك لم نحل بين ماء ... وشفاهٍ لهّابة يلتظينا
أتراه يموت ظمئاً؟ وماء ... النهر يروي سباسباً وحزونا

«والحسام الجُراز لو شام في المريخ ماءً لانشقّ وبلاً هتونا

***

أقحم الخيل في الفرات كماةٌ يركبون المنون إذ يركبونا
وغدا الماء للأمير فإن يعطِ فسمحاً، وإن أبى فقمينا
صانه الله أن يحاول نصراً بسوى السيف قاضياً مسنونا
فدعاهم (أن اشربوا) عفو حرٍّ قد أعاد الحياة للغادرينا
شهد النهر ذلك اليوم شهماً كان ما شاء ربُّه أن يكونا
ولئيماً تقاذفته الدنايا بل هو الدُّود منتناً أو دونا

***

واستحرَّ القتال حتى تغطت جبهة السهل بالنجيع سخينا
شهقَ النهر من دماء الضحايا واستحال الخرير فيه أنينا
وأراد الأمير حجب دماء لم يقرها إلا نبيلاً ضنينا
ساقها للحتوف، داهية الأعصار، حتى تقحَّمت أتونا
أغبياء لعلّ فيهم بريئاً إن يكن في أميَّةٍ مسلمونا
فدعا للبراز صلاً خبيباً يعجز العين جلدُه تلوينا
في طباع الحرباء لو كان للحرباء عقل من شأنه أن يمينا
قال عمرو : «هيّا معاوي فابرز هكذا ينصف القرين القرينا
فأجاب الروّاغ : يا عمرو ماذا؟ أتراني مغامراً مجنونا
«ما سئمت الحياة بعد، فمن يلقَ عليّاً، فقد أحب المنونا
«أنت إما طمعت (فيها) وإما مازحٌ فالزم المقال الرصينا
«إن تكن صادقاً فبارز عليّاً أو نلاقيه جملة أجمعينا»
نصب الثعلب العتيق حبالاً فتردَّى بحبله مقرونا
ربَّ من ينشئُ السجون سراديب صغاراً يموت فيها سجينا

مكرهاً نازل المراوغ ليثاً ... وهو يدري من أين يأتي العرينا
جدل اليلمعي هول قناة ... لم تُلوّثْ بصدره مطعونا
ردّ عنه المنون إبداءُ فرج ... فمضى الليثُ شامخًا عرنينا
ومضى الثعلبُ الوضيع سعيداً ... بحياة ولو ذليلا مهينا

***

ضجّ جندُ الشآم من هول حرب ... وتولّى أبطالهم مدبرينا
واستحالت تلك الفهود شياهاً ... راعفاتٍ في مجزر الذابحينا
ليس غير الهروب أو رحمة الجـ ... ـزار يسخو فيرفع السكّينا
وابن هند خلا بعمرو مشيراً ... يرقب الوحي هابطًا من (سينا)
قال : يا عمرو، من دهائك أغدق ... كاد سيف ابن هاشم يفنينا
يا لقطبين في الخداع يردًّا ... ن الجلاميد، في الملامس طينا
يخدعان الجنين في البطن لولا ... قوّة الله أن تصون الجنينا

***

قال عمرو : «على الرماح ارفعوا ... القرآن ختلاً فتخدعوا المتقينا
إن أجابوا للصلح فهو نجاة ... أو أبوا نبذر الشقاق الكمينا
ليس أوهى من الجماهير رأياً ... فاستعذ من جهالة الجاهلينا
(إن تفرّق تسد) فسوف تراهم ... في دياجير همّهم خابطينا
إن جمع الضياء في كفّ لاهٍ ... دون جمع القلوب إذ يغوينا
أنثر السمّ في الجراح فمن ... يسلم تولّى مخبّلاً مأفونا

***

نشروها مصاحفاً وتنادى الجنـ ... ـد هيَّا إخواننا أنصفونا
«بيننا يحكم الكتاب كتـ ... ـاب الله إنّا بنوره مهتدونا»

يا لهـا حـيلة كـصـفـحـة روضٍ ... واجـه الشـمس فـاسـتطار فـتـونا

فـي بسـاطٍ من الـربيع، ونـابُ ... الصلّ من دونه رهيـفـاً حـقـينا

مـزّق المكر شـمل صـحب علي ... فـإذا هم كـتـائب حـائرونا

بعـضـهم يطلب القـتـال وبعضٌ ... يتَّـقـيـه وبعـضـهم يمرقـونا

صـاح (عـمَّـارهم) إلى الموت هبُّـوا ... ظِلُّ (طوبى) وَرَوحُـهـا يدعـونا

لست أرضى عن القـتـال بديلاً ... قـد سـئـمنا خـدائع الخـادعـينا

فـاستـجابت كـتـيـبـة لنداء الشـيـ ... ـخ، جـازت سنونه التـسـعـينا

جندل السـيف صـاحـبـاً[1] لرسـ ... ـول الله، من خـيـر صـحـبه الأكـرمينا

وأعـاد ابن العـاص قـول نبيِّ الله ... كـالشـمس في الوضـوح مـبـينا

«فـئـة البـغي سـوف تقـتل عـمَّـ ... ـاراً شـهـيـداً والويل للقـاتلينا»

وأغـاظ القـولُ الصـراح ابن هند ... فـأراد النفـاق والتـسـكينا

قـال : «يا شيخ قـد خرفت ألا اسكت ... فـئـة البـغي من أتى يبـغـينا

«قـاتِلوه الذين جـاؤوا بعـمَّـار، ... لحـرب، فـمـات في أيدينا»

ثم ألوى برأسـه نحـو جند الشـ ... ـام أبطال جـيـشـه الطائعـينا

قـال : «معنى البـغـاة أنا بغـينا ... دم عـثـمـان فـاسلمـوا آمـينا

هكذا فـسَّـر الحـديث ابنُ هند ... أمكـر الأوَّلين والآخـريـنا

***

مـصـرع الشـيخ فضَّ صـبـر علي ... فـبكى الصـاحب الجليل الخـدينا

عـمّم الرأس بالعـمـامـة سـوداءَ ... وكـانت إرث الرسـول ثمـينا

وامـتطى صـهـوة الجـواد ونادى ... أين أنتم مـعـاشـر المؤمنينا

«من يبع نفـسـه بجنات خلدٍ ... فليـمت فـالنعـيم للخـالدينا

---

(١) هو عمار بن ياسر وكان صحابياً جليلاً.

يا لهـــا حـــملة كـــزعـــزاع ريح ... تفـــرش الأرض في الكروم غـــصـــونا
أو حـــجـــار الرحى تصـــادف حـــبّـــاً ... فـــتـــذرّيه في الهـــواء طحـــينا
زغـرد السـيف، ذو الفـقـار، فـلا يبـغـ ... ـي قـــــراباً، إلّا الـكـلـى والوتـينـا
ورأى الغـــاضب المهـــول ابنُ هند ... صـيـد فـرسـان جـيـشـه يُحـصـدونا
فـــدعـــا بالجـــواد يبـــغي فـــراراً ... فـــأتى عـــمـــرو يوقف الهـــاربينا

***

أيّ ترس ســـوى المصـــاحف ينجي ... عـــسكر الشـــام أعـــولوا باكـــينا
يستـغـيـثـون «يا أبا الحسن الصـديـ ... ـق أشـــفـق فـــإننا قـــد فنينا
«إن تُبـــدنا فـــقـــد أبدت الذراري ... واليـتـامى تركـتـهـم جـائعـينا
«أول المسـلـمين يفـنـي مـن الإسـ ... ـلام جـيـشـاً فـيطمع الروم فـينا
«وتعـــود المُخـــدرات ســـبـــايا ... والغطاريف أعـــبـــداً يخـــدمـــونا
أيكون انتـــصـــارك اليـــوم نصـــراً ... إن أذلّ المغلوب والغـــالـــبـــينا
«كـــاتب الوحي منك بالوحي عـــذنا ... وبما يحكم الإلـــٰـــه رضـــينا»
إن يخف صـــولة البـــحـــار غـــريق ... يطلب المرفـــأ الرحـــيب الأمـــينا
رفـــضك الصلح لطمـــة لغـــريق ... أرجـــعـــتـــه إلى الخـــضمّ المينا
إن تقـــسنا بالمشـــركين ألا اذكـــر ... عـــقـــد صلح الرسول للمشـركينا[1]
فـــعل المكر في صـــحـــاب عليّ ... فـــإذا هم كـــعـــوسج شـــائكونا
فـــبـــديد الآراء ظلمـــة ليل ... والنجـــوم الزهراء حـــالت دجـــونا
ألجـــؤوه للصلح مـــا حـــيلة الملاّح ... إن تصـــبح الميـــاه غـــرينا[2]
كلّمـــا هيَّـــأ الشـــراع لســـيـــرٍ ... أنبت الوحل حـــولـه تنّينا

(١) إنما قصدوا بذلك صلح الحديبية بين الرسول (ص) والمشركين وكان علي كاتب المعاهدة.
(٢) الغرين : الطين الذي يحمله السيل.

التحكيم والخوارج[1]

ألجؤوه ليقبل التحكيما ... مُكرهٌ رام قومُه أن يرومـا

يشرب المُرّ من يخيَّر بين المُرّ ... أو يشرب الغساق الحميما[2]

---

(١) وما زال أهل العراق يلحُّون على علي حتى أكرهوه على تحكيم أبي موسى الأشعري وحكَّم معاوية عمرو بن العاص. ولما اجتمع الرجلان بدومة الجندل حضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين. فلما التقيا استقبل عمرو أبا موسى فأعطاه يده وضم عمرو أبا موسى إلى صدره فقال : يا أخي قبح الله أمراً فرق بيننا، ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش وما زال يخادعه أياماً حتى اتفقا على خلع علي ومعاوية وتولية عبدالله بن عمر. واجتمع الناس ليسمعوا التحكيم. فقال أبو موسى لعمرو : قم يا عمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه. فقال عمرو : سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الايمان والهجرة وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله، ووافد رسول الله إليهم وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه، وأنت صاحب مغانم أبي بكر وعمر، ولكن قم أنت فقل ثم أقوم فأقول. فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن خير الناس للناس خيرهم لنفسه، وإني لا أهلك ديني لصلاح غيري، إن هذه الفتنة قد أكلت العرب، ورأيت وعمرو أن نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبدالله بن عمر. ثم قام عمرو فقال : أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين. وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع علياً وأثبت معاوية. فقال أبو موسى : ما لك، عليك لعنة الله ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث. . فقال عمرو ولكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً. وكتب عبدالله بن عمر إلى أبي موسى : أما بعد يا أبا موسى فإنك تقربت إلي بأمر لم تعرف هواي فيه. . أوكنت تراني أتقدم على علي وهو خير مني. لقد خبت إذاً وخسرت وما أنا من المهتدين. . . الخ. . ورقَّ علي لأبي موسى الضعيف الطيب القلب فأحب أن يضمه إليه. ولكن الرجل خجل والتزم مكة، وتآمر الخوارج فيما بينهم وكفَّروا علياً ومعاوية فدعاهم علي للرجوع إلى الصواب ووعدهم بالعفو عما جنته أيديهم من الوقوع بأصحابه. فأبوا والتقى الجمعان على النهروان. فعاودهم علي وقال : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم ثم أنا أفارقكم وأكف عنكم، فبعثوا إليه : أنا كلنا قتلناكم وكلنا مستحل لدماكم. ثم أتاهم علي فوقف عليهم فقال : ايتها العصابة إني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الأمة غداً وأنتم صرعى بإزاء هذا النهر. وكنت قد نهيتكم عن التحكيم فأبيتم وعصيتموني ويحكم بم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا. فنادى الخوارج : الحرب الحرب، الرواح، الرواح إلى الجنة، ووضعوا سيوفهم على عواتقهم، وكروا على أصحاب علي. وكان علي قد عبأ أصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شبث بن ربعي وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري وعلى الرجالة أبا قتادة وعلى أهل المدينة قيس بن سعد. ووقف علي في القلب في مضر ورفع لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري وقال علي لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤوكم. . وشد الخوارج على أصحاب علي شدة رجل واحد الخيل أمام الرجال. فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل، ونهض علي بالقلب بالسيوف والرماح. فلا والله ما لبثوا فواقاً حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم : موتوا فماتوا. (عن محمد بن أبي قتيبة)

(٢) الغساق : المنتن الرائحة.

وأتى الفيصلان للحكم والأجـ ـان حامت عليهما تدويما

فهنا الأشعريّ كعبة زهدٍ وصلاحٍ جاز السبيل قويما

يتناهى في صفو نيته العـ ـذراء حتى يعود طفلاً فطيما

عفَّة النروج حليةٌ، فإذا جازت مداها، ظلّ الزواج عقيما

أثبتُ الناس أخمصاً في طريق الخير من كان بالشرور عليما

إنما يخبر الطبيبُ صديدَ الجـ ـرح نتناً لكي يصون الجوما

***

وهنا عمرو ملحق العاص مـ ـصّ اللؤم من أمّه رضيعاً لئيما

نهل السُّمَّ من صفاق بغيّ ألقحته خبائثاً وسموما

غرّك اللمس ناعماً، يا أبا موسـ ـى، فهلّا حذرت لسعاً أليما

يكسر الطرف إذ يراك ويحني رأسه باذلاً لك التكريما

وهو يخفي خلف الجفون دهاء خلته من غباوةٍ تعظيما

لو تفرّست في الملامح نفّـ ـاذاً لألفيت في الجبين غيوما

تارة باسماً وطوراً عبوساً صاحياً تارة وطوراً جهوما

كلما حاول النفاقُ بروزاً ردّه في حباله مكعوما

نمّ وجه الخبيث عن نفسه السـ ـوداء، تنشقّ في الخدود ثلوما

رقَّة كالنسيم، في قوله المعسـ ـول، حتى تخاله ترنيما

كلمات مُخدّراتٌ كأن السـ ـحر فيها ينافس التنويما

كعبة الخادعين بعد ابن هند وسيبقى للكاذبين زعيما

أيها الأشعريُّ لو كنت تدري ما وراء النسيم عفت النسيما

فَتّح الطرف فالعبير المندَّى يستر النتن خلفه مكتوما

إنما تشبه السياسة حسناء لعوباً تريك خدّاً وسيما

ولحاظاً فواتراً ناعسات ... تدع الثلج سائلاً محموما
ما لهذي البغيّ تفتن أحـ ... ـراراً وتصمي نواظراً وحلوما
إن هذا الجمال أوهام حلم ... يعصم الله أن يغرّ الحكيما

***

علق الشيخ في حبالة عمرو ... مثلما تأخذ الحبال الظليما[1]
«قال هذي الحروب قد هدّت الإسـ ... ـلام هدّاً فصار جسماً كليما
«ليس بيت إلّا يضمُّ عجوزاً ... ثاكلاً أو يرى غلاماً يتيما
«غَرِقاً بالدماء فلنعزل الاثنيـ ... ـن، هيهات راسبٌ أن يعوما
«ولنسلّم أمر الخلافة عبـ ... ـد الله أكرم بخلقه تقويما
«فحفيد الخطّاب أوسع من نختـ ... ـار، فضلاً ومن نجلّ كريما»
قالها عمرو، وهو يعلم قلب الشيـ ... ـخ، فالطلّ قد أصاب الكروما
فرح الغرُّ فرحة العانس العـ ... ـذراء تلقى عروسها الموهوما

***

واشرأبّت مسامع الناس تبغي ... ما يسمّيه بعضهم تحكيما
«قال : «يا عمرو أعلمِ الناس بالعهـ ... ـد الذي كان وانشر المكتوما
«فأجاب الخبيث لا، ومعاذ الـ ... ـله أن أبدأ الكلام الصريما
«أنت أدنى إلى الرسول مقاماً ... ولك الفضل حادثاً وقديما
«سابقي أنت في المآثر والأخـ ... ـلاق والدين هاجراً ومقيما
«أنت فيج[2] الرسول لليمن الميـ ... ـمون تهدي لشعبه التعليما
«وأمين الخليفتَين على الأرزاق تعطـ ... ـي فتحسن التقسيما
«منصفاً كنت كالغزالة عند الظهـ ... ـر يَنصبُّ نورها مستقيما

---

(١) الظليم : ذكر النعام.
(٢) الفيج : الرسول.

«عـــدلك الغـــيث لا يخصّ ولكن ... يسكب الخـيـر للعطاش عـمـيـمـا

«لم يدع أيّمـــاً ولا ابن ســـبـيل ... أو مـريضـاً أو سـائلاً مـحـرومـا

«قم فـــأبلغ أنت المقـــدم ديناً ... وكـــمـالاً وعـــفّـــة وعلومـــا»

خـــدّر المدحُ رأس شـــيخ غـــبيٍّ ... والكلام المعسول يسبي الفهيما

شـارب الخـمـر قـد يظل سليـمـاً ... شـارب المدح لن يكون سليـمـا

وقف الشـيخ قـائلاً : إن أبع دينـ ... ـي بدنيـاي كنت وغـداً أثيـمـا

قـد خلعنا الاثنين، إنَّ بعـبـد الله ... مـا تطلبـون فـضـلاً سـجـومـا

ورث العـدل عن أب عـبـقـريّ ... رضع الحلم والمكارم خِـيـمـا»[1]

قـال عـمـرو : «لئن خلعتَ عليّـاً ... فلقـد ظل صـاحـبي مـعـصـومـا

«إنني مـثـبت مـعـاوية والحكـ ... ـم أحـرى بمثله أن يقـومـا»

وانجلى الليل عن ضمـير أبي مـوسـ ... ـى، وشـام المآب وعـراً وخـيـمـا

هاله سـوء رأيه، كنزيل النار بعـ ... ـد الصـراط يلقى الجـحـيـمـا

صـاح : «يا عـمـرو أنت كلبٌ كـذوبٌ ... يوم يغـدو الكلب الكَذوب زنيـمـا»

فـأجـاب الأفّـاك : «أنت حـمـار ... يحـمل السـفـر جـاهلاً مـشـؤومـا»

أصـبح الشـيخ بعـد فـيض احـتـرام ... كـالمرابين شـاتماً مـشـتـومـا

يُحـسبُ المرء في الرضى عندليـبـاً ... فـإذا غـاض نفـعـه صـار بومـا

يا لَـحكمٍ على المسـامع أنكى ... من صـهيـر الرصـاص يشوي الكلوما

فـحـفـيـد الخطاب قـبل عليّ ... عـدَّه فـرية وذنبـاً جـسـيـمـا

قـال : «من قـاسني بصـهـر رسـول الله، ... كـان امـرأً جـهـولاً غـشـومـا

حظه في الصـواب حظ كـفـيـفٍ ... قـاس بالشـمس، في النهـار، النجـومـا

***

(١) الخيم : الطبيعة والسجيّة.

أسخط الشيخُ كل صدر، فلم يشهـ ـد عـذيراً، إلّا الإمـام الحليـما
مـا رأى الحـاكم الغـبيّ نصيـراً غـيـر شـهـم أراده مظلومـا
حـيـدرٌ سـاد شـيـمـةً وإباءً وكـلامـاً وفـيـصـلاً وأرومـا

***

وتـنادت خـوارج لـضـلال يفـسـدون التـحليل والتـحـريما
أمَّـهُمْ غَـيُّـهمْ فكانوا خـفـافـيش عـمـاةً، ترى الضـيـاء بهـيـمـا
أو فـراشـاً على المصـابيح يهـوي يحـسب النار بابه المرسـومـا
إن شـرّ الضـلال رأيُ عنيـدٍ لا يرى غـيـر رأيه مـسـتـقـيـمـا
كل رأس من دونه، وظهـور النـ ـاس لانت لتنحني تسليـمـا
لا يرى من سـواه غـيـر حـواش فـبـه يصـبح العظيم عظيـمـا
إنما الكبـريـاء آفـة إبليس، مـلاك غـوى، فـعـاد رجـيـمـا

***

وتـنادت لـلـنهـروان قـروم ردّها الغيّ بعـد ودّ خـصـومـا
وتـبـاروا إلى النزال وقـالـوا إن قُـتلنا كـان الجـزاء النعـيـمـا
فـدعـاهم إلى الأمـان عليّ ناشـراً راية السـلام رحـيـمـا
من أتاها ـ فـالعـفـو أقـرب للتـقـ ـوى ـ يجـد أمنةً ويدخل حـريما
يشـهـد الله أنكم خنتـمـوني مـا رضـيت التـحكيم إلا كظيـمـا
كنت حـذّرتكم عـواقب غـدرٍ فـأبيـتم إلّا المقـال السـقـيـمـا
وتدافـعـتم انـدفـاع نيـاق تنشـد الآل في المفـاوز هيـمـا
تطلب النبت حـيث لا ينبت المرعى، وحـيث الهـشـيم يعلو الحـزومـا
كـيـفـمـا ألقت الحـيـازيم، تلقـ ـقـاها الأفـاعي، فـتلدغ الحـيـزومـا
إن أبيـتم إلّا القـتـال فـإني من عـرفـتم سَـمَـيـدَعـاً قـيـدومـا

أيقظ الناس، عندما السيف يدعـ ـوني، لهيفاً فما ونيت نؤوما

إن أبيتم إلّا النزال تلاقوا في غد مصرعاً وعضباً صروما

وتعود البيوت أخلاء منكم سقفها لا يظلّ إلّا لطيما

فاتقوا الله واذهبوا ودعوني قبل أن يأخذ اللهيب الهشيما

شيمتي الصفح، وهي شيمة أجـ ـدادي، ذكرت الكليم إبراهيما

فأشاحوا عن نصحه وتنادوا : «من يصالح يكن خبيثاً عديما»

عصفوا عصفة الرياح، إذا ما الريـ ـح هبَّت، على الرمال سموما

بسيوف على العواتق أجّت كالتماع البروق يتلو الهزيما

مرهفات تهوي على البيض تفريـ ـه، وتفري العظام والحلقوما

فالتقاهم (حجر) (وشبث) (وقيس) وصحاب النبي شوساً قروما

وعلى رأسهم، يهزّ (أبو أيوب)، سيفاً ما نام قط ذميما

صفوة الأكرمين حزب عليٍّ ينصرون الحق الصريح الهضيما

يذكرون النبي بابنَي عليٍّ يذكر الروض من أحب الشميما

هات يا ذا الفقار من يوم بدر صانك الله أن تكون مليما

حدّك العضب، فوقه المجد مكتـ ـوب، ويبقى بذكره موسوما

ودّع الحرب لن ترى بعد ذاك اليـ ـوم حرباً ولن تصدَّ هجوما

فاشرب اليوم ما استطعت شراباً كتب الله بعدها أن تصوما

وتداعت أعداؤه مثل صرح يتهاوى على الصعيد رميما

كرقيق الزجاج في قبضة الزلـ ـزال يهوي محطَّماً تحطيما

وخلا النهروان إلا من العقـ ـبان والوحش لم يعد منهوما

الحُلم الأخير[1]

أرِق الليل لا يذوق المنامـــا ... غير ما تخطف العيون لماما

ليلة تصبغ النجوم بلون الهـ ... ـمّ حتى الظلام يخشى الظلاما

وأحسَّ الأمير مثل انقباض الـ ... ـورد، إمّا يُقطّبِ الأكماما

في عميق الوجدان رعش أحاسيـ ... ـس توالت دقاتها إبهاما

ناء بالحمل وَعيُهُ كمريضٍ ... بهظته همومه فاستناما

وتراءى له الرسول كضوء الفجـ ... ـر يلقي على الرياض سلاما

غبطةٌ لم ينل سواها عليٌّ ... منذ مات الرسول إلا منامـا

وإذا أشسقتِ الحياة كريماً ... يستطيب المنى ولو أحلاما

وشكا للرسول شعباً عقوقاً ... عاد أعمى أو مبصراً يتعامى

أرهقتهم عبادة الله، ... فارتدّوا طغاة تقبّلُ الأصناما

يكرمون الألقاب والمال مجلـ ... ـوباً بجرم، ويعبدون الحراما

---

(١) روي عن الحسن أنه قال : أتيت أبي صبيحة يوم قتله فقال لي : أرقت الليلة ثم ملكتني عيني فسنح لي رسول الله. فقلت له : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد. فقال : ادع عليهم. فقلت : اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني. فخرج علي لصلاة الصبح يوم الجمعة، وكأنه استشعر قرب موته، فلقيه الإوز في باحة المسجد يصخب ويصيح. فأراد الناس زجر الإوز. فقال : لا تزجروهن إنهن نوائح. وكان علي قبل هذا اليوم قد خطب الناس وأنبأهم بما سيأتي بعده، وما يجره بنو أمية على الأمة من المظالم فيسبونه ويقتلون أولاده. . . وفيما كان علي يصلي أتاه ابن ملجم زوج قطام الخارجية اللعينة، وضربه بالسيف على قرنه، فقال علي : فزت ورب الكعبة. ثم قال : لا يفوتنكم الرجل. فشد الناس عليه فأخذوه. وكان ابن ملجم يعرض سيفه فإذا أخبر أن فيه عيباً أصلحه. فلما قتل علياً قال : لقد أحددت سيفي بكذا وكذا، وسممته بكذا وكذا، وضربت به علياً ضربة لو كانت بأهل المصر لأتت عليهم. وأدخل ابن ملجم على علي بعد ضربه. فقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا ولي دمي : إما عفوت وإما عاقبت. وإن مت فألحقوه بي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. (الإمامة والسياسة).

زخـــرفـــوها بالأمس (لاتًا) (وعـ ـزّى) يا لشـــعب يؤلّه الأوهامـــا

فـــإذا دولة الحـــجـــارة مـــالت زاد شـــــراً فـــألّه الآثامـــــا

«خـاصـمـوني كـأن صـهـرك لم يسـ ـلل حـســامـاً فـينصـر الإسـلامـا»

«وأنا من علمت في الدين والهـيـجـ ـاء كـهـلاً ويافـعـاً وغـلامـا»

إن أكـــافـــأ بكل جـــرحٍ وســـامـــاً كـان لي مِـنـزر السـمـاء وسـامـا

إن هذي الكلوم لسنٌ فِـصـــاح لا تماري لو يفـقـهـون الكلامـا

منيـتي نصـرة الحـقـيـقـة أفـديـ ـها بنفـسي أجلُّها أن تضـامـا

كل بندٍ غـيـر الحـقـيـقـة مطـ ـويّ ويبـقى حُـمـاتهـا أعـلامـا

أطـلـب الحـق كـي أذود عـن الإسـ ـلام والعـدل ناصـراً قـوّامـا

أمـسح الدمع عن جـفـون الحـزانى وعـن الـزاد لا أصُـــدّ الأيـامـى

مُـــتَع الحكم والأطايبُ عِبءٌ للذي يقطع الحـيـاة صِـيـامـا

فكأن الحـيـاة مِلء فـؤادي أملٌ تغـرس الشـقـاء سـهـامـا

قـال : تدعـو عليـهم قـال : أدعـ ـو الله رَبي أن يفـقـدوني إمـامـا

فـيليـهم بعـدي إمـام ظلوم وأرى جنة النعـيم خـتـامـا

واسـتـفـاق الكئيب يغـرق في الرؤيـ ـا ويسـتـشـعـر الممـات الـزؤامـا

كـتب الله أن يموت قـتـيـلاً فليمت سـيـد النسـور حَـمـامـا

***

ذلك الليل لَفّ صِـلاً وأفـعى خـارجـيَّين يشـحـذان الحـسـامـا

مـشـرفـيّـاً يفي صـداق (قطام) لعن الله (ملجـمـاً) و (قطامـا)

هَبّ في الصـبح للصـلاة عليٌّ كـصـبـاح يُودّع الأيامـا

ينهل الضـوء مـا اسـتطاع ويسـقي من عـبـيـر في بردتَيْـه النسـامـا

لا هيـامـاً بالفـوح لكنه الصـبـ ـح المُولّي يُعطّرُ الآكـامـا

لَملم الأمس خاطر، كوميض البـ ـرق شق الدجى وجاز القتاما

فرأى أسعدَ الأنام بدنياه حكيـ ـم طوى الحياة ابتساما

حسبه غبطة وبسطة عَيشٍ ورخاء أن يحصيَ الآلاما

ورأى أسفل الأنام شحيحاً حرَمته أمواله أن يناما

أوجزَ العيشَ في ادّخارٍ وبُخلٍ فاستحالت حياته أرقاما

أو شقيّاً يسعى إلى الشهرة الجوفاء عبداً فيركب الأجراما

لا يرى في الحياة إلاّ نساءً ومُجوناً وخمرةً وطعاما

***

حاسراً سار للصلاة كوجه الحـ ـق، والحق لا يطيق اللّثاما

بلغ المسجدَ الطَّهور فلاقاه الإوَزُّ الصَّخَّاب يرفع هاما

نَقَلَ الحزن عن قلوب الثكالى والجراحات عن أنين اليتامى

ولَولاتٌ تجري على ريشة الرسـ ـام دمعاً، إن يرسم الأنغاما

صوته فيه من نواحٍ على قبـ ـر، نواحٌ تقمَّص الآلاما

بعضها لو أصاب روضاً نَديّاً أذبلَ الورد واستباح الخزامى

رامَ أن يسكت النوائحَ صحبٌ روَّعته صيحاتها استشآما

فيقول الأمير لا تزجروها غمر الله قلبها إلهاما

في مناقيرها عويل، فقد شامـ ـت غيوماً، ترفَضّ خطباً جساما

فاتركُوهُنّ إنَّهنّ بواكٍ مبصرات خلف النواح الحماما

سوف تأتيكم النوائب بعدي دفق غيث من ثقله يتهامى

تشهق الأرض من دماء الضحايا فيموتون خضَّعاً أغناما

ويصير الغرُّ الكرام عبيداً وتحول الأسد الغضاب نعاما

قد يثير الدم الطليل لساناً يتنزّى ليمدح الظلاّما

تُستَحَلُّ الرُّشى، ويحقر أهل الفضـ ـل، والكذب يخلق المقـــدامـــا
يُحسب الماكر الخبيث ظريفاً والمجلّي من يلثم الأقـــدامـــا
فالعفيف النبيل، في شرعة الأشـ ـرار، ضرب من الرجال القدامى
أمحلُ الناس عفَّةً وخلاقاً أرفعُ الناس عزّةً ومقـــامـــا
يتبارون في النفاق فخير الناس أفّاكةٌ يُحلّ الذمـــامـــا
يخصب الفسق والزنى، ويحول الضـ ـوء نتناً، والأكرمون طغـــامـــا
وتكون الأحكام وحي البغـــايا في الدياجير تبرم الأحكامـــا
فالميامين رهن فسق الجواري يبتدعن الحلول والإبرامـــا
«رب يوم يغذو السيوف بأولاد ي فتفري لحومهم والعظامـــا
يقتلون الأطهار نسل رسـ ـول الله زلفى ترنّح الحكامـــا
ويسبُّونني فمن يتورّع مزّق السوط جلده أثلامـــا
يشتم المنبر الذليل عليّاً ويُزكّي أميَّة وهشـــامـــا
طُلقاءٌ، أو نسلهم، وكأني لم أجرّد بخيبرٍ صمصامـــا

***

يا حساماً قد فلّ رأس عليّ طبت من طعنة الورود حســـامـــا
قد شربت الدمَ الزكيّ، فطار الرجـ ـس، كالشمس إذ تحلّ الغمـــامـــا
قطرة من دَم الشهيد، وماء البحـ ـر يحلو ويستحيل مدامـــا
شرفت مهجة النبيل بأخـ ـوالٍ عظامٍ تنافس الأعمـــامـــا
فنمته من الميامين أصـ ـلاب كرام تشرّف الأرحـــامـــا
وربيب الرسول، يطبع فيه الخلـ ـق طبع الإزميل، صاغ الرخامـــا
وهو زوج الزهراء قارورة الأطيـ ـاب عزَّت خصالها أن تسامى

***

يا صلاة الختام، في المسجد المحـ ـزون، طيري إلى السماء ضراما

وأعدّي له المكان رفيعاً وافرشي الورد حوله أكواما

طيّبي مجلس الأمير ومدّي ظل (طوبى) لظلّه إكراما

لم ينل في الحياة إلا عذاباً فاملئيه هناءة وسلاما

مسجد كان مهده يوم جاء الكـ ـون، فاستقبل الحطيمُ الإماما

مسجد شام حتفه، يوم شاء الله، أن يرخي الكميّ اللجاما

لاح في مكة هلالاً وليداً وهوى في العراق بدراً تماما

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رثاء أمير المؤمنين

غـاب ضـوء النهـار قـبل انقـضـائه ... هات يا شـعـر أدمـعـاً لرثائِهْ
واذكـر النسـر عـاليـاً لم يُدَنّس ... فـالأثيـر الطهـور في أجـوائه
يكسف الشـمس بالجناح عـريضـاً ... ويسـد الفـضـاء رحب فـضـائه
هَمُّـه في النجـوم لم يلقِ طرفـاً ... للثـرى حـالماً بخـصب نمائه
سـابحٌ في العـلاء مـدَّ الخـوافي ... في جـبين الشـعـاع، في لألائه
في خـضمٌّ من الضـيـاء رحـيبٍ ... صبَّ فـيـه الإله فـيض بهـائه

***

زوج بنت الرسـول خلقك أسـمى ... من مناط العـيُّـوق في إسـرائه
شـيـمـة النور أن يظلّ نقـيّـاً ... لا يمسّ الغـبـار كُنْهَ صـفـائه
وغنيّ الأخـلاق ليس فـقـيـراً ... إنما مـجـده بكبـر شـقـائه
يكتم الجـرح دامـيـاً ويواري ... مـا تكنّ العـيـون عن رقـبـائه

***

يربض الليث في العـرين أبيّـاً ... والدنـايا بعـيـدة عن هـوائه
ويرى الأرض كلهـا لا تسـاوي ... أنَّةً من أسـاه أو من عـيـائه
قـد رأيت الدنيـا الغـرور عـجـوزاً ... هام فـيـهـا مـغـفل من عـمـائه
خـدّر الجـهل عـينه فـرآها ... نجـمـة الصبح لألأت في خـبـائه
قـد يطـول الحلم المزوّر يومـاً ... ويمد السكران في إغـفـائه
وإذا أقـبل الصـبـاح صـدوقـاً ... جـرف الليلُ حلمـه بروائه
فـإذا صـدره على صـدر أفـعى ... وإذا ثـغـره عـلى رقطـائه

***

رُبّ شهم غرّ الشمائل سمح تستطيب الأخلاق رحب فنائه
كلّما همّ للعلى عبقرياً أصحَرَ الدهر نابه لعدائه
لا تراه العيون رمداً مراضاً وأخوه يخونه في إخائه
ينشد المال خانقاً كل حسّ غير صوت الدينار في أحشائه
أيها الطامعون في الأرض أنتم أولياء الشيطان في إيحائه
في النفوس الشحاح، شاد قصور الوهم، تدعو الأقطاب من بخلائه
بِيعَ عيسى بالمال بيع لقيطٍ وهو كنز السماء في عذرائه
ولو ان الجبال كانت نضاراً لم تعادل سريدة في حذائه
مات موسى خلو اليدين نقيّاً كصفاء النهار عند اعتلائه
مات طه ودرعه رهن دين كلّ جهد الوفيّ عن إيفائه
يتعالى الأنوف نفساً وكفّاً عن متاع الغنيّ عن أشيائه
في جناحيه عزمةٌ وانطلاق وقصيّ النجوم دون ارتقائه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

***

يا أمير البيان نهجك بحر تتلاقى الأرواح في أثنائه
متعة السمع والقلوب رواءً وزئير الأقدار في أنوائه
غضبة للتقى وللزهد دوّت في سواد العراق، في بطحائه
خلق الشمس حرّة لا تداري أو تواري مزوّراً في ريائه
ترسل القول في العتاب شواظاً من صميم البركان عند التظائه
فإذا قلت في الخشوع فسحر يفضح الحلم في لطيف سنائه
يا أمير الزهّاد صيتك أنقى من جبين العذراء قبل اصطلائه

***

ليت يوماً قد جاء بابن مراد كفّنته العصور في دهمائه
وتوارى في مبهمات الهيولى وتلاشى التّنّين في دأمائه

وُئد الغدر يوم جاء شقيّاً ... وتهادى إبليس في نافقائه

زفَّها في غياهب الشر بشرى ... واصطفاه الرجيم في حلفائه

فحباه الحسام يقطر سمّاً ... وطلاه بمرشف من دهائه

يا قطام الخنى هدمت بناءً ... من لآلي الجنان في إحنائه

أفحتم ما جرّ آدم جرماً ... أن يذوق التفاح من حوائه

تستحث الألوان والطعم حلواً ... وتبث العبير في إغرائه

فإذا لانَ واستنام رخيّاً ... أسكرته بالعذب من إطرائه

تلمس الكف بالأنامل لُدناً ... فتصب الصهباء في أعضائه

فإذا الساعد المُرنَّح شرٌّ ... والحسام الأثيم من نصرائه

يا يمين السفاح شلَّت يمينٌ ... حملت للإمام يوم انتهائه

هاجها السم فالرواهش رقطٌ ... لون جلد الثعبان عند بغائه

لم يرعه الإمام وهو يصلّي ... والملاك السميع في إصغائه

ضربة الوغد خضَّبته ومالت ... دوحة العز عن رفيع بنائه

ومشى الليث للعرين جريحاً ... مرسلاً طرفه إلى أجوائه

قال : «مدّوا له الفراش وثيراً ... وأعدّوا أطايباً لغدائه

فإذا عشت فالجروح قصاص ... وإذا متّ حان يوم انقضائه»

***

إيه عبد الرحمن نذل مُراد ... يا عدوّ السماء في بغضائه

أنت عبد الشيطان خُلقاً وخَلقاً ... والزنيم الدنيء في أدنيائه

لطخة العار يا ابن ملجم يا من ... فحَّ نتن الأقذار من أسمائه

كنية لو وعى الزمان محاها ... من حروف الهجاء قبل ابتدائه

لعنته السماء والأرض طرّاً ... لعنة ترتقي إلى آبائه

فتذل الأبناء جيلاً فجيلاً ... وتعيب الأنساب في أنسبائه

تحـــرق النبت في ربوع مـــراد ... ويجفّ النخيل قبل استوائه
يبس الضرع ظامئاً لا يلاقي ... في الينابيع قطرة لارتوائه
وتحول الصمّ الصخور رماداً ... فيدمّي الأبصار نثرُ هبائه
يحبس الغيث قطره ويولّي ... ويذوب الغمام قبل امتلائه
لا يداني مستنقعَ الرجس طلٌّ ... ويظل الجحيم بعض لظائه
ينشد الظامئ المراديّ ماء ... فيرى الدمّ آسناً في سقائه
لفَّه الصبح بالظلام وغارت ... ساطعات النجوم في إمسائه
كلَّما مدّ للكواكب عيناً ... مدّها الليل في هُوى ظلمائه

***

جهش المسجد اليتيم بكاءً ... حين غاب الإمام من فقهائه
ويكى الشط والفرات وغاضت ... زقزقات الهزار في غَيْنائه
وجرى أسودَ المياه كئيباً ... يتلوّى مولولاً في انثنائه
يحمل النعي للخليج فجيعاً ... هدم الضفتَيْن وقرُ عنائه
فقدت عِزّة الحجاز عليّاً ... خاتم الراشدين من أمرائه
واشرأبت تهامة وعسير ... وتنادت جبالها لبكائه
مركب النور والهداية جدَّت ... عاصفات الرياح في إقصائه
يطلب المرفأ الأمين عزيزاً ... والليالي تصده عن لقائه
يستحيل البحر الخضم جبالاً ... ويردُّ النبيل عن إرسائه
يتحاشى الأنواء غير جبانٍ ... وتهب الأنواء في مِينائه

***

يا لواء المهاجرين سلاماً ... من روابي لبنان من أندائه
من صفاء الثلج الطهور مقيماً ... في الأعالي بصيفه وشتائه
ومن الآس والورود عبير ... طَيَّبَ الضفتَيْن من أودائه

مُعَاوِيَة[1]

هزل الدهر يا لجور الزمان ... وهَوتْ للتراب غرُّ الأماني

فذوى فرع هاشم وتسامى ... عبدُ شمسٍ وثباً إلى الصولجان

---

(١) لا ريب أن معاوية بن أبي سفيان استغل الظروف التي رافقت مقتل عثمان وكان الرجل داهية زمانه وله أساليب خاصة في اجتذاب العامة ومداراتهم، ومما يروى عنه : أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال انصرافه من صفين، فتعلق به رجل من أهل دمشق فقال : هذه ناقتي أُخذت مني في صفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفي : أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة. فقال معاوية : هذا حكم قد أمضي. ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره ودفع اليه ضعفيه، وبره وأحسن إليه وقال له : أبلغ عليّاً أني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل. (عن تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان).

واشتد أزر معاوية بعماله الدهاة وعلى الأخص عمرو بن العاص. أما المغيرة بن شعبة فهو أول من رشا، وهو الذي حرض معاوية على مبايعة ابنه يزيد وجعل الخلافة وراثية في نسله وساعده على ذلك. أما زياد ابن أبيه فرجل لا يُعرف له أب، ورأى معاوية دهاءه فقرّبه وادعى أنه أخوه وألحقه بنسبه وسماه زياد بن أبي سفيان. أما عمرو بن العاص فهو ملحق بالعاص إلحاقاً وكانت أمه من أشهر بغايا مكة وقد نسبته للعاص لأن العاص كان ينفق عليها أكثر من سواه. وقد كان جزاراً بغيضاً وهو من أعداء النبي الألداء وهو المقصود بالآية القرآنية الكريمة ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾. وقد تردد عمرو هنيهة بين الدين والدنيا أي بين أن يتبع عليّاً أو معاوية. وفي يوم رحيله إلى معاوية دعا غلامه (وردان) وكان داهياً مارداً فقال عمرو : ارحل يا وردان. ثم قال : حط يا وردان. ثم قال : ارحل يا وردان. فقال له وردان : خلطت أبا عبدالله أما أنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك. قال : هات ويحك. قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت : علي معه الآخرة، في غير دنيا، وفي الآخرة عوض عن الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض عن الآخرة، فأنت واقف بينهما. قال : فإنك والله ما أخطأت فما ترى يا وردان؟ قال : أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. قال : الآن لما شهدت العرب مسيري إلى معاوية؟ وسار إلى معاوية. وولي عمرو بن العاص مصر وجمع القناطير من الذهب عن طريق الرشوة وسبيل الحرام وقد خلف بعد موته سبعين بهاراً من الدنانير. والبهار إردبان بالمصري ذهبًا. (ملخص عن الشيخ عبد الحسين الأميني وعن المقريزي).

ومن عمال معاوية الأشرار بسر بن أرطأة وكان معاوية قد أوصاه باضطهاد شيعة علي فأنفذ بسر أمر سيده، وانتهى إلى المدينة فقتل فيها أناساً من أصحاب علي وهدم دورهم ومضى إلى مكة وغيرها يقتل ويهدم حتى أتى اليمن وعليها عبد الله بن عباس عامل علي وابن عمه وكان غائباً فراراً من القتل، فوجد بسر ابنين له صبيين اسمهما : عبد الرحمن وقثم، فأخذهما وذبحهما بيده بمدية كانت معه. وذكروا أن الغلامين كانا عند

واستظلّت دمشق عرش ابن هند وتهادت في ركبه الغوطتان

سلب العرش من تراث ابن عفّـ ـانٍ وأين الدعيّ من عثمان

ضفر التاج من غباوة قوم لبّسوا في النياق والبعران

***

قام عرش الدهاء ثبتاً مكيناً فوق برج مُثلّث الأركان

شاده عمرو والمغيرة بُطْلاً وزيادٌ طلاه بالبهتان

= رجل من كنانة بالبادية، فلما أراد بسر قتلهما قال الكناني : تقتل هذين ولا ذنب لهما فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما. فقتله وقتلهما معه، فصاحت امرأة من كنانة : يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين. . والله يا ابن أرطأة إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير لهو سلطان سوء. (الأغاني).

ومعاوية هو الذي سمّ الحسن بواسطة زوجته الخائنة (جعدة)، فوعدها أن يزوجها من ابنه يزيد وأن يعطيها مائة الف درهم، فبرت بوعدها وقتلت زوجها بالسم. ولكن معاوية دفع إليها المال وأمسك عنها يزيد. (عن كتاب الإرشاد) ولم يكن الحسن آخر ضحايا ابن هند الذين قتلوا بالسم فقد فعل ذلك بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا إليه لما لأبيه عندهم من المنزلة، ولمكانته في بلاد الروم وشدة بأسه، فخافه معاوية وأمر ابن أثال الطبيب أن يحتال في قتله وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه خراج حمص. فدسّ ابن أثال إليه شربة عسل مسمومة فشربها ومات، ونجا معاوية منه.

وفعل نحو ذلك بالأشتر النخعي مالك بن الحارث وكان من أشد رجال علي بطشاً أو هو أشدهم جميعاً، وقد أبلى معه في صفين بلاء حسناً. فلما اضطربت أحوال مصر بدسائس معاوية، وكانت لا تزال في حوزة علي، بعث الأشتر والياً عليها. فعلم معاوية أنه إن وليها امتنعت عليه، فبعث إلى المقدم على أهل الخراج في القلزم ـ وهي في طريق الأشتر إلى مصر ـ : إنك إن كفيتني الاشتر لم آخذ منك خراجاً أبداً. فلما بلغ الأشتر القلزم استقبل ذلك الرجل وقدم له طعاماً وشربة من عسل جعل فيها سماً فلما شربها مات. وأخذ معاوية يقول لأهل الشام إن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله عليه. فكانوا يدعون عليه كل يوم.

وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية فأخبره بمهلك الاشتر فقام معاوية خطيباً وقال : أما بعد فإنه كان لعلي يمينان فقطعت إحداهما بصفين (يعني عمار بن ياسر) وقطعت الأخرى اليوم (يعني الأشتر). فلما بلغ خبر الأشتر إلى عمرو بن العاص قال : إن لله جنوداً من العسل. (جرجي زيدان عن ابن الأثير وابن خلكان والمقريزي).

ومن جملة أكاذيب معاوية أنه احتال على عبدالله بن سلام ووعده بتزويجه من بنته إذا هو طلق زوجته أرينب بنت إسحاق، فنجحت حيلة معاوية وطلق الرجل امرأته مكرهاً. وكان في نية معاوية تزويج أرينب لابنه يزيد. ونكث معاوية وعده، وشاء الله أن يتزوج الحسين أرينباً ويعيدها إلى زوجها وإنما فعل ذلك رجاء ثواب الآخرة. فتزوجها عبدالله وعاشا متحابين وحرمها الله على يزيد. (عن ابن قتيبة).

ولقد أجمع المؤرخون على دهاء معاوية وكذبه واضطهاده للعلويين، وتابعه بنو أمية على سب علي على المنابر مدة ثمانين سنة، وقد قتل معاوية حجر بن عدي لأنه أبى سب علي. ولم يبطل هذا السب إلا في خلافة عمر بن عبد العزيز وهو الخليفة الأموي الوحيد الذي ينظر إليه المؤرخون نظرة احترام إعجاباً بفضيلته وتقواه. (عن جرجي زيدان).

مـــبـــدع الرشـــو والزيوف تمهَّل ... إنما المال يا مـــغـــيـــرةُ فـــان
ضـــاع نقـــد زيّفـــتـــه، وبقـــيت الزائـ ... ـف الخلق في كـــتـــاب الزمـــان

***

وزياد! وكـــان ســـقـط ســـفـــاحٍ ... مـــبـــهـمَ الأصل أســـود الوجـــدان
نســـبـــوه زيـاداً ابن أبيـــه ... ذاك ربط الغـــراب بالغـــربان
نســـبـــة من ســـحـابة الصـيف أوهى ... بل هي الآل أو عـــمـــود الدخـــان
ذاك أن الأم (الســـمـــيَّـــة) كـــانت ... رايةَ العـــهـــر في طريـق الزاني
ورآه الـوليّ بـحـــر نفـــاق ... مـــبـــهم الغـــور نائي الشطآن
فـــادّعـــاه أخـــاً وليـــداً لصـــخـــر ... يا لشـــرّ البـــحـــرين يلتـــقـــيـــان
فـي حنايا الآذيّ زرق الأفـــاعي ... أو نيـــوبُ التنين والحـــيـــتـــان
لا يســـيـــر الملّاح إلّا حـــذوراً ... واجف القلب ســـاهر الأجـــفـــان
من يســـاير عـــصـــابة الشـــر يومـــاً ... ضلّ مـــســـراه عن دروب الأمـــان

***

وتـرُ الـعـــــود لـم يَـصِـحّ بـزوجٍ ... فـــأتى عـــمـــرو ثالثـــاً في المثـــاني
نغـــمـــاتٌ تآلفت في يد البـــاغـ ... ـي فـتـــمَّت قـيـــثـــارة الشـيطان
خـــدّرت أرض فـــارس وضـــفـــاف النيـ ... ـل غبّ الواحـــات من بغـــدان
ملحقَ العـــاص لا يَضـــيـــرك ذمّ ... أنت والعـــار، أنتـــمـــا توأمـــان
نسـل زنجـــيَّـــة بغيّ كـــأن ... العـهـر فـيـهـا مـسـتـوقـد النيـران
كل عـضـوٍ منهـا جـحـيم بغـاءٍ ... دائم التـــوق ثائر الشـــريان
تـقـطـع الـلـيـل فـي عـنـاق وسكـر ... فـتـــراها في كل عطفـــة حـــان
تلثم الـفـلس في نعـــال السكارى ... منتن الريح بـائخ اللـمـــعـــان
أخـرسـتـه الفـحـشـاء والعـار حـتى ... عـــاد فلســـاً مـــعطَّل الإرنان

وأبوك الجـــــزّار شـــــانئ طه ... أبتـــر الخلق والنهى والبـــيـــان
ذمّـــه الله في الكتـــاب فـــصـــار ... الماجن الوغـــد وصـــمـــةَ الأزمـــان
أعـــجـــيب إذا نشـــأت لئـــيـــماً ... في وحـــــــول تعـــجّ بـالـديدان
فـــهنيـــئـــاً أبا يزيد بصـــحبٍ ... بَصَـــقَـــتْـــه الأقـــذار نسلَ زوانِ
عـــمـــرو خُـــيّـــرتَ بين دينٍ ودنيـــا ... فـــتـــخـــيَّـــرت منهج الزيغـــان
بـين ربّين آثـر المـالَ عـــــــمـــــرو ... هان لو شـــامَـــه الإلـٰـه الثـــاني
قـد جـمـعت النضـار مـالًا حـرامـاً ... ســـال قـــيـــحـــاً في أنمل الخـــزّان

***

يا ابن هند هل سـرَّ سـمـعك بسـرٍّ؟ ... فـــــابن أرطاة أشـــــرس الـذؤبان
حـــيـــوان؟ أســـتـــغـــفـــر الله إني ... قـــد أسـأت الظنون بالحـــيـــوان
يدنس اللعنُ إن يلطَّخْ ببســـــر ... فـــهـــو عـــار على الخنى واللعـــان
يعـمل السـيف في الأوادم صـبـراً ... لا كـمـيّـاً، ولا سـخيَّ الطعـان
أيُعَـدُّ الجـزارُ قـيـدومَ حـرب؟ ... إن يحـــدّ السكين للحـــمـــلان
سـيـفـه ملّ من دمـاء الحـبـالى ... فـعـداها للغـيـد والصـبـيـان
كـحـمـارٍ جـاء الرياض العـذارى ... يغـــرس الناب في الغـــراس اللدان
يطـأ الفلَّ بـالحـــوافـــر يرديه، ... ويفـــري براعم البـــيلســـان
كـان لابن العـبـاس نجـلان أبهى ... من رواء الربيع في نيـــســـان
وهمـا الريش في قـوادم صـقـر ... إن دعـتـه الأجـواء للطيـران
أشـبـهـا دُرّتينِ في جـيـد أمّ ... كلمـا دقّ قلبـهـا تلمـعـان
إن تبـاهت غـريرة بحـلاها ... فلديهـا للعـيـد لؤلؤتان
ترقب العـيـد لا لزهو ولكن ... لتلفّ الصـبـحين بالأرجـوان
فـهـمـا في غـلائل من عـقـيق ... بين حـمـر الأصـداف ياقـوتتـان

حبّ أمّ في صدرها رفّ قلب ... وتمشّى في عينها قلبان
فإذا يعثران بالوشي حيناً ... فورودٌ تعثرت بالحنان

***

وأتى (البسر) غائصاً بدم الأطفال، ... كالذئب جال في القطعان
فانتضى مدية، ومدَّ، إلى الطفلَيْـ ... ـن، كفّاً كمخلب السرحان
روَّع المشهد الأليم (كنانيّاً) ... صديقاً فصاح يا شرّ جان
إن تكن بالدماء جدَّ ولوعٍ ... فافترسني واعدل عن الأقحوان
فتغدَّى الطفلين خنجر بسرٍ ... وتعشى الحسام رأس الكناني
شهدت مصرع الخزام عجوز ... شَيَّبتها فظائع الحدثان
رفعت للسماء طرفاً وقالت ... خاب ملك مزيف الأركان
إن ملكاً يشاد من دمع ثكلى ... ودِماء الشيوخ والفتيان
هو صرح أوهى من الكِذْبِ أسّاً ... فجذور الفناء في البنيان

***

بَسِمَ الحظُّ يا معاويَ فاجلس ... فوق عرشٍ من المآثم فان
إن عُمَّالك الطغاة نمورٌ ... مرهفات النيوب للرعيان
فاستطالت على الرعيَّة إجراماً ... ونهباً منوّع الألوان
تخذوا خلقك المزيَّف نهجاً ... إن كل المقال في العنوان

***

أنت منَّيت (جعدة) بيزيد ... فأثرت الرقطاء بالألبان
قتلت زوجها بجرعة سمّ ... إنما السمُّ من سلاح الجبان
(حسن) لم يُثِرْ عليك حروباً ... ولوى عنك ألف ألف عنان
قرَّ في بيته مقيماً على عهدٍ، ... وعهد النبيل من إيمان

يلدغ الصلُّ نائماً في فراش ... لذة الأفعوان بالعدوان

بهظ السمُّ رأسه فأراح الـ ... ـرأس مما يكنُّ في الأسنان

جعدةٌ! يجفل اليراع لذكر ... أجفلت عند لفظه الشفتان

فهو نتنٌ على الشفاه كريه ... وقتاد وحنظل في اللسان

جيفة أنت لو تنازلت ... الديدان ترعى قرارة الخوّان

وبأيّ الأنامل الهيف دفتِ السـ ... ـم، شهداً للوامق الظمآن

ضلَّ من قال (جعدة) حسن ... فجمال الأخلاق حسن الحسان

فهي أنثى فيها من الحية ... الأفعى تثنّي قوامها في ليان

حيلة الثعلب العتيق، وألـ ... ـوان الحرابي، وملمس الثعبان

***

حسنٌ آية الشباب رواءً ... في بهاء النضار والمرجان

كجلال المغيب في الأزرق الساجـ ... ـي ودفق الصباح من لبنان

سيد القائمين في رقعة الغبراء ... حسناً وسيدٌ في الجنان

وأخوه الحسين! أيّ ملاك ... يتمشى في بردتَيْ إنسان

حسنٌ تقتلينه ليزيد؟ ... يا غرام المُجَّان بالمجَّان

يعشق المرء نفسه في حبيبٍ ... يصطفيه طبيعةً ومعان

فنعيم الحمام خوض أثير ... ونعيم الخنزير في الأدران

***

حسنٌ من يعدّه كيزيدٍ ... قاس طير الجنان بالجعلان

يا ابن بنت الرسول، أنبل من جـ ... ـاء البرايا، وأطلع المشرقان

أعرضت عن سناء وجهك زوج ... ويباهي بلثمك القمران

إن تُبَعْ فالمسيح بيع رخيصاً ... وهو ملء الإنجيل والقرآن

أو تقرّب فإن قبلك يحيى ... مدَّه في التراب عهر الغواني

رأسه كان للبغيّ ثواباً ... عن فجور في رقصها والأغاني

كل جرمٍ من دون جرم ابن هند ... باذل التبر طالب القربان

دفع المال للمخادعة الرقطاء ... أجراً لسبقها في الرهان

ويزيد؟ لا مطمع بيزيد ... قال : أخشى عليه لطف البنان

يحذر الكاذبُ الكذوب المرائي ... تلك في الغدر شيمة الذؤبان

***

يا صديق السموم تبعث منها ... نهلات الفَناء للعطشان

هل تذكرت (مالكاً) وهو قيـ ... ـدوم السرايا وأفرس الفرسان

(أشتر) كان خير جند عليٍّ ... وعروس الصيال في الميدان

يوم (صفّين) إذ تولّون ذعراً ... كفراخ القطا وبُهْمِ الضَّان

فحباه الأمير مصراً وأوصى ... بانتهاج الإنصاف والإحسان

مَن عليٌّ وليُّه فحرام ... أن يغش الأوزان في الميزان

فأتى ثغر (قلزم) مطمئناً ... لم يؤهب لفخك الشيطاني

يتّقي الليثُ ضيغماً وينحّي ... طرفه عن مصائد الجرذان

فدعاه إلى الطعام مضيف ... أنت منّيته بحلو المجاني

وسقاه الذي أردت شراباً ... فهوى الصقر جثة في الخوان

فأذعت النعي تخطر مختـ ... ـالاً طروبًا كالعاشق السكران

قلت : «قصَّ الردى جَناحَيْ عليٍّ ... فهو جسم لم تبق فيه يدان

«فقتلنا ابن ياسر يوم صفّيـ ... ـن وكان اللّواء في الشجعان

«وقضى اليوم مالك بدعاء ... منكُم هاج غضبة الرحمٰن

قال عمرو : وهو الخضم دهاء ... وعميد العصابة الإخوان

«إن لله في الضـــــــريب جنوداً تجعل الشهد لحمة الأكفان»

***

يا ابن هند هلّا ذكرت زعيماً نابه الصيت نابِه الأعوان
هبت ما فيه من جلال ومجد وطموح وفرٍ ورفعة شان
هو عبد الرحمن عزّ مقاماً وتسامى في أعين الرومان
إنه نجل (خالد)، بطل اليرمـ ـوك والشام، قاهر الماهان[1]
حيثما أنت ظلُّ سيف أبيه لا رماك النفاق بالنسيان
أنت أرديته بجرعة سمٍّ من طبيبٍ على أساسك بانِ
كان ذاك الطبيب مثلك وجداً ناً وخلقاً فليهنأ الأخوان

***

قد نصبت الأشراك لابن سلام في طلاق هيَّأته وقران
وفصلت الزوجين فصل شغافٍ عن شغافٍ في ناضِرِ الرمّان
طلّق الزوج بنت إسحاق كرهاً وهي أبهى من فرحة المهرجان
ووعدت المغرور صهراً ومجداً فتخلّى عن زوجة محصان
شئتها زوجة لفسلٍ خليعٍ ليزيد المدلّه الولهان
فنقضت العهود لابن سلام أنت والصدق كيف تجتمعان؟
فهدمت النعماء رفَّت بعشٍّ يتناهى في حبكه الزوجان
يأتيان الرياض كل صباح من زواهي أزهارها ينسلان
ذلك العش كاد لولا حسين يتلاشى في نهمة الفئران

***

دفق الظلم في ظلال ابن هندٍ فربيع الشرور في ريعان
واللبيب اللبيب من يحسن الزلفى ويسمو في اللَّفِّ والدوران

(١) الماهان : قائد الرومان.

أنتن الجـــذع والرذائل عـــمَّت ... وتمشى الفســـاد في الأغـــصـــان

ذلك العـــهـــد كـــان أثقل وطأً ... من عـــصـــور الأصنام والأوثان

(هُبلٌ) لا يُخـاف صـخـراً أصـمّـاً ... بل خـبـيـثـاً تسـعى به قـدمـان

(هـبـل) لا يبـين إلّا بـوجـــــه ... وابـن هـنـد وجـــوهه ألـفـــان

ليس أوهى من الحـقـيـقـة في كـفـيـ ... ـه، فـــهـي الليـــان في الأفنان

تتـلـوّى في كـلّ هـبَّـــــة ريحٍ ... مـثـلمـا يلتـوي قـضـيب البـان

أو عـجـيـناً يكون مـا شـاءه العـجّـان ... أكـــرِم بالمدره العـــجَّـــان

يجـعل الخـبـز وفق مـا تنشـده الأفـ ... ـواه، وفـق المـكـان والـسـكـان

في مـــهـبِّ الهـــواء علق مـــيـــزا ... ناً فـــمن أين تثـــبت الكفـــتـــان

فـالحكيم الكريم، واللّصُّ مـحـتـ ... ـالًا زنيـمـاً، في حكمـه سـيَّـان

فـــابـن هندٍ أبٌ لكلّ كـــذوبٍ ... دنيـــويّ مـــعطّل الوجـــدان

يا ابن هند إن جندل السـيف (حـجـ ... ـراً) فـشـهـيـد الإنصـاف والإيمان

وشـــهـــيـــدٌ يأبى ســـبـــاب عليٍّ ... أجـــرُهُ عـند ربّه جنتـــان

يا ابن هند أبعـــد كل صـــلاةٍ ... تغـــمـــرون الأمـــيـــر بالشنآن

تجـعلون السـبـاب فـرضـاً ونفـلاً ... وخـتـام التـوشـيح في الآذان

من يُقـارفْ أهل الرسـول بسبٍّ ... كـيف يرجـو مـثـوبة الديّان

شـــأنه شـــأن من تـودّد أمّـــاً ... نـاظـمـــاً رأس وُلْـدِهـا في سـنـان

ذاك جـرم ينِدّ عن رحـمـة البـ ... ـاري وينأى عن صـفـحـة الغـفـران

دونه في الذنوب نهب اليـتـامى ... أو صـلاة للأمـعـز الصـوّان

أصـبـحت تلكم المنابر سـوداً ... من سـمـاع السـبـاب والهـذيان

غطست في الحـداد سـبـعين عـامـاً ... دامـعـات مـوصـولة الأحـزان

***

قم نبيّ الإســـــلام وانظر، فـــأهـ ـل البـــيت في دار غـــربةٍ وهوان
لعنتـهم دمـشق، والمسـجـد الأقـصـ ـى، ومـــصـــرٌ، وأمّن الحـــرمـــان
وأشـــــد الجـــــراح هـولاً وأنكى أن يعـادي حـبـيـبك المسـجـدان
واحـــد منهـــمـــا تلقَّـــاه مـــولوداً، فكـان الحطـيـم دار التـــهـــاني
وأذاب الفـــؤاد في المسـجـد الثـاني يقـــدّ الصـــخـــور للبنيـــان
كـعـمـود الفـولاذ سـاعـده المفتـول يفـري الجـمـاد في الصـحـصـحـان
أرمـــــد العين دامي الكفِّ يطوي بين جنبـيـه حـرقـة الجـوعـان
فـــالعنوه بني أمـــيَّـــة وارمـــوه بنقض العـــهـــود، بالكفـــران
إن منكم خـــيـــر النســـاء فـــهند دون لألاءِ فـــضـلهـــا الأزهران
منكم للوفـــاء أمُّ جـــمـــيلٍ خـيـر أنثى زهت بهـا القـريتـان
منكم أرفع الصـــحـــابة قـــدراً لـم يشـــــرّف بمثـله الملـوان
أخلص التـــابعين قلبـاً وقِـيـلاً وأجـلّ الـلـهـــــــاذم المرّان
قطع العـــمـــر في الذياد عن الإسـ ـلام يحـمـيـه بالحـسـام اليَـمـاني
غـــرّة الدهر خلقـــة وخـــلاقـــاً لا يدانيـــه في الخلود مـــداني
تِه دلالاً أبا يزيدٍ فـــذاك الشـــهـ ـسم ـ أكـــرمْ به ـ أبو ســـفـيـان
يا إلـٰـهي غـفـرانك اليـوم قـد لوّثـ ـت صَـفْـوَ الأثيـر بالجـعـلان

***

عـجـبـاً تلكم المنابر لم تهـبـط فـتـمـسي فـريسـة النيـران
وعـجـيب أن يبلغ الظلم مـا فـ ـوق الثـريَّا، ويسلم الفـرقـدان
إن تبـدّت زُهرُ النجـوم فكي تبـقى، على المعـتـدي، شـهـود عـيـان
يسـمح الله أن يُعـذّبَ أهل الخـيـ ـر حـينًا فـالأرض دار امـتـحـان

***

يا ابن هندٍ بنيت في الشـــام مُلكاً ... أخـــضـــر الأفق زاهر العـــمـــران

والتـــهـــمت الدنيـــا كـــأنك لا تفنـ ... ـــى، وهـــمٌ الـزمـــــــان هـدم الآن

حـــقـــبـــة متّ بعـــدها واســـتـــبـ ... ـاح الدهر زهوَ الحلى وعـــزّ المغـــاني

أكـــل الـــدهـــر فـــي المـــزاهـــر أوتـــاراً ... وزال التـطريب فـي العـــيـــــدان

أقـــفـــرت عِلْيَـــةُ القـــصـــور من الغلـمـ ... ـان، وارفضّ مـــجلس الندمـــان

شـــبع الرمس من عـــيـــون الجـــواري ... ورعى الدود في لِهَـــاء القـــيـــان

كل شيء ســـوى الفـــضـــيلة يفنى ... وهي تبـقى مـا يخـفق الخـافـقـان

فـــابن عـــبـــد العـــزيز منكم، يظلّ الدهر في جـــدّةٍ وفي لمعـــان

وبقـــيـــتم عـــار الدهور، ولولا ... العـــار، لم يُذكّـــر بنو مـــروان

لو رأيتَ الأنسـال، في مـجـزر السـفّـ ... ـاح، صـرعى تخـور كـالثـيـران

لازدريت الدنيـــا وألويت عنهـــا ... تتـــمنّى تقـــشّف الرهبـــان

يـا ابن هـند رمـــز الدهاء، ورمـ ... ـز المكر والغش قُـمَّـةَ الروغـان

من يسبّ الرســـول في أهـل بيت ... لعنتـــه الســـمـــاء كـــرّ الثـــواني

***

يَزيد بن معاوِيَة[1]

رافعَ الصـــوت داعـــيـــاً لـلفـــلاح ... اخـفـض الصـوت في أذان الصـبـاح
وَتَرفَّق بصـاحب العـرش مـشـغـ ... ـولًا عن الله بـالقـيـــان الملاح
ألف «الله أكـــبـــر» لا تسـاوي ... بين كـــفَّي يـزيـد نـهـلـة راح
تتلظَّى في الكأس شـعلة خـمـر ... مـثل أجّ اللَّهـيب في المصـبـاح
عـنـسـت فـي الـدنـان بـكـراً فـلـ ... ـم تـدنَّس بـلـثـمٍ ولا بماءٍ قـراح
أيهـا المبكر المؤذن لا تهـتف وإن ... شـئت فـاعـتـصم بالبـحـاح
أو بهـمس فـانطق كـهـمس الفـجـ ... ـر نَديان في سـمـاع الأقـاح

---

(١) نأخذ النبذة التاريخية في هذا الفصل وفي ما يليه من الفصول حتى ختام مأساة كربلاء عن كتاب (الشهيد الخالد) لحسن أحمد لطفي. و (تاريخ الحسين)، و (أشعة من حياة الحسين) لصديقنا العالم الشيخ عبدالله العلايلي. وعن كتاب (الإرشاد)، وعن (تاريخ التمدن الإسلامي) لجرجي زيدان.

كان يزيد بن معاوية هذا فاسقًا فاجراً خليعاً. قال القرماني فيه «إنه عرف بشرب الخمر واللعب بالكلاب، والتهاون بالدين» وفي «الفخري» لابن طباطبا : «أنه كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء وكلاب الصيد حتى أنه كان يلبسها الأساور من الذهب، والجلال منسوجة منه. ويهب لكل كلب عبداً يخدمه. هذا فضلاً عن هيامه بالقرود» فقد ذكر المؤرخ المسعودي : «أن الامويين استكثروا من الخيول وتفننوا في تضميرها. وكان لهم حلبة يخرجون إليها في أيام معينة للسباق، فمن حاز قصب السبق أجازوه. وقصب السبق قصبة يغرسونها في آخر الحلبة. فمن سبق إليها واقتلعها فهو الفائز . ومن غريب ما ذكروه أن يزيد بن معاوية كان له قرد يكنى (أبا قيس) يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكأ، وكان نبيهًا خبيثًا يحمله على أتان وحشية قد روِّضت وذللت لذلك، بسرج ولجام. وكان يسابق بها الخيل يوم الحلبة. فجاء (أبو قيس) في بعض الأيام سابقًا وتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعليه قباء من الحرير الأحمر والأصفر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر المنقوش. . وقد أراد معاوية تعويد يزيد الفتح والبطولة وسير جيشًا إلى بلاد الروم وأراد من يزيد أن يتولى قيادته، فرفض الماجن أن يضحي بمجونه وعبثه في سبيل الجهاد. وأصيب أفراد ذلك الجيش بجوع ومرض شديد في موقع يعرف بالغرقدونة. فأنشأ يزيد يقول :

مـا أن أبالي بما لاقت جـمـوعـهـم ... بالغـرقـدونة من حـمى ومن مـوم
إذا اتكأت على الأنماط مـرتفـقـاً ... بدير مـروان عندي أم كـلـثـوم

إنَّ سـمْع الخليع وقفٌ على صدح المثاني ورنة الأقداح
لا تعكّر صفو المليك بذكـ ـر الله، فالذكر مأتم الأفراح
فسليب النهى صريع الغواني نذر العمر للغرام السفاح
عقله خافق بخفق نهودٍ تستحثُّ العشيق في إلحاح
صدئ الصولجان، لو لم تُقلّبْهُ، للهو، أكفُّ غيد صباح
تعتع السكر قلبه فإذا ما رام أمراً، أو همَّ بالإفصاح
خمد النطق في اللسان، وغاض العقل، في سورة السلاف الماحي

***

وصحا من دُواره ذات يوم فدعا بالخيول دُهم الوشاح
لا لمجدٍ يريدها أو جهادٍ فمتى كان من غواة الرماح
يؤثر الكأس من بنات كعابٍ أم كلثوم! منهلٌ لانشراح
ناعماً في وسائد من ورودٍ متعرفاً من عبيرها الفوّاح
بين كأسين من عيونٍ وخمرٍ واستلامٍ للعاج والتفاح

***

= غير ان معاوية ألح فأرسله في الحملة الثانية التي اشترك فيها الحسين. فاصطحب يزيد جماعة من رفاق مجونه فكان كلما وجد سانحة انصرف معهم إلى شتى أنواع العبث. مما أتاح للحسين معرفته وسبر جوهره. وقد أرغم معاوية الناس على مبايعة يزيد رغم نصائح الحكماء من كبار الصحابة. وكتب إلى مروان بن الحكم واليه على المدينة يأمره بأخذ البيعة ليزيد ويعده بجعله ولياً لعهد يزيد. وبعد وفاة معاوية بايع أهل الشام يزيد. وكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة واليه على المدينة أن يأخذ له البيعة ممن تخلف عنها من وجوه المسلمين. ولما طلب الوالي من الحسين أن يبايع يزيد بالخلافة. أجابه الحسين : لا أراك ترضى بيعتي سراً، فأمهلني إلى غد أرى رأيي. وكان معهما مروان بن الحكم فقال للوليد : والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً. ولكن أحبس الرجل لا يخرج حتى يبايع أو تضرب عنقه. فقال الحسين لمروان : ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أأنت تأمر بضرب عنقي أم هو؟ كذبت والله ولؤمت. ثم التفت إلى الوليد وقال بجرأة عظيمة : يا أمير نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة. بنا فتح وبنا ختم. ويزيد فاسق فاجر، ومثلي لا يبايع مثله. وقال مروان للوليد وقد غادرهما الحسين : عصيتني! لا والله لا يمكنك من نفسه أبداً. فقال الوليد : ويحك إنك أشرت علي بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وأني قتلت حسيناً، والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين إلا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكّيه. وله عذاب أليم.

جيء بالخيل للسباق تنزّى ... بينها كلّ أجرد سبّاح

بَطرت في مرابط البذخ كسلى ... فتمطّت في سأمة المرتاح

لم تُضَمَّرْ خصورُها لجلادٍ ... لم تُخضَّب نحورُها في الكفاح

أُطلقت في عنانها ناشداتٍ ... قصب السبق، أنبل الأرباح

خاب فأل الفرسان تدمي خصور الخيل غمزاً بالمهمز الجرّاح

(فأبو القيس) وهو قرد يزيد ... فضح الخيل وانثنى بنجاح

واستوى فوق سدّة من حريرٍ ... رافلاً في كسائه اللَّمَّاح

فيزيد يكسو القرود حريراً ... واليتامى في غصّة الملتاح

يسترون العري المذلّ بأسمالٍ ... تقيهم من ذلّةٍ وافتضاح

فإذا هبَّت الرياح شتاءً ... تستطير الرقاعُ، نهبَ الرياح

ملأ القصر بالقرود، ولم يهمل كلاباً سخيَّة بالنباح

ويزيد يثيرها لهراشٍ ... في مقاصير داره الممراح

تسحب الوشي والمطارف فالأذنـ ... ـاب خطّت آثارها في السَّاح

قاصد القصر ليس يسمع إلا ... عربداتٍ موصولة بصياح

بين قردٍ مقهقه لشرابٍ ... أو هريرٍ من ناهسٍ نبَّاح

***

يا ابن هند أبيت إلا يزيداً ... رايةً للرشاد والإصلاح

ليت عينيك تبصران إمام الهـ ... ـدى، هذا إمام كل إباحي

أنت رغم العيوب كالليل جنحاً ... قطرة في هَتونِهِ الضحضاح

كنت عبر الرياء تبدي صلاحاً ... وهو حربٌ على الهدى والصلاح

كنت، قبل الإجرام، تشدو بذكـ ... ـر الله، ستراً للكارثات القباح

فإذا مات من تغول بسمّ ... رحت تبكي بمدمع التمساح

ويزيدٌ من كلِّ فضلٍ تعرّى ... وتباهى بعريه الفضّاح

رغم آثامك الجسام ابن هند ... أنت منه كريشةٍ في جناح

ليس يخفى، على المُرقَّشة الأفعى، صغيرٌ من صلّها الفحّاح

قد صممت الأذنين عن نصح قومٍ ... لم يداروك في الخليع الوقاح

دست رأي الحكيم، رأي ابن قيس ... وبسطت الأسماع للمدّاح

يستطيب الضلال من رام شرّاً ... صادفاً عن نصائح النُّصّاح

تتحاشى الجفون رمداً مراضاً ... هلّة النور من ضياءٍ صراح

يتبع المرء قلبه في اختلاف القـ ... ـول، يخفي مطامح الطمّاح

ساتراً ميله برأي سخيف ... ولو أنّ المشير سقط سفاح

***

يا ابن هند وقد حتمت على مروان أخذ العهود بالإلحاح

بيعة تطلبونها أم غلاباً ... أعقوداً أم وثبة المجتاح؟

نبأ غطّ يثرباً في حداد ... فتنادى حَمامُها للنواح

وتركت الدنيا وطرفك مخضـ ... ـوب بجرمٍ، فيا لعظم الجناح

يا ابن هند وقد كان موتك عيداً ... ليزيد المخضوضر المفراح

فأثار الوليد يدعو لعرش ... شاده بين غدوة ورواح

فدعا بالحسين يسلبه حقّاً ... وحق الحسين كالأصباح

شأنه شأن من يؤازر لصّاً ... شام نهب الديار غير متاح

صدّه الباب من حديدٍ صليبٍ ... هاشميّ الصفّاح والألواح

فأتى يخدع الوليَّ فإنَّ الكنـ ... ـز رهن بحوزة المفتاح

ليس ينسى الحسين يومَ يزيدٌ ... سار للروم بعد فرط جماح

يتمنّى اللقاء نجلُ عليّ ... ويزيدٌ يبكي لذكر السلاح

لا يبالي (بالغرقدونة)[1] مات الجيـ ـش جوعاً أو تحت بيض الصفاح

***

«لست ترضى» قال الحسين بأن أختار سراً بل في المكان البراح
«فانتظرني إلى غدٍ، فأرى رأيي، وأعتامُ منهجي وصلاحي»
«قال مروان : «لا تُجِبْه، ولا تترك حسينًا حراً طليق السراح
«غُلّ زنديه بالقيود، فإن يرفـ ـض يزيداً، فشفرة الذبّاح»
ويهبّ الحسين هبَّة ليثٍ وعلى القول مثل لذع الجراح
«ألمثلي ذلّ القيود وجدّي كوكب المجد والتقى والسماح
«يخشع الأفق لاسمه إن دعا الداعـ ـي وحيّ على الهدى والفلاح
أتراني يا ابن الطريد مهينًا فأُضحّى حمامة في الأضاحي
«ولأنت الضئيل في كفّة الميـ ـزان، وغدٌ، سليل قوم شحاح
ويقول الوليد «مروان أقصر كُفّ عن مسمعي سهام اللاحي
«هل نسيت السبط ابن فاطمة الزهـ ـراء، نور الدُّجى، وشمس البطاح
«بعض ما في النعيم دفق سناها ورفيف من نورها الوضاح
«وهي بنت الرسول، نافذة السلطـ ـان، والأمر في الجنان الفساح
«أتراني ألقى الإلٰه خضيباً بدم السبط؟ يا لثقل جناحي !
«غضب الله يستحرّ فيردينـ ـي شوياً في اللّاهب الرحراح
«كيف ألقى الرسول؟ يفضحنـ ـي سيفي صبيغاً بدمّه المسماح
«والذي يقطع البحار جبالاً كيف يشري عَداوة الملّاح»

(١) الغرقدونة : اسم مكان.

الدعوة للحسين[1]

هـ..ـر السبط يثرباً والرفاقا ... كضياءٍ يودّع الآفاقا

ثَقُلَت رجلُ من يفارق أرضاً ... علقت منه في الصميم اعتلاقا

ذكريات تشدّه، كاحتضان الأم ... للنجل، ما تطيق فراقا

كلّما حاول الوحيد انفلاتاً ... ألصقته بقلبها إلصاقا

يثرب ملعب الطفولة، إذ يجـ ... ـري حسينٌ، مع الرياح استباقا

تارة ينثر الرمال وطوراً ... في البساتين ينثر الأوراقا

فيخال الدنيا مدينة طه ... لا يرى خلف أفقها آفاقا

ذلك الطفل بين أمٍّ وجدٍّ ... كان دُرّاً مكوكباً رقراقا

فإذا هلّ وجهه فالتماع الشمـ ... ـس مدّت جبينها إشراقا

ذكريات، في يوم هجرته، جـ ... ـاءت سهاماً تقطّع الأعراقا

أخرجته بنو أمية حتى ... جاء (أم القرى) يحثُّ النِّياقا

---

(١) لقي الحسين ما لقي من اضطهاد الأمويين في المدينة التي ولد فيها أيام الطفولة والصبا. فهجرها مكرهاً إلى مكة مصطحبًا أهله جميعاً فلما عرف أهل العراق بهجرته هذه وامتناعه من مبايعة يزيد اجتمعوا بالكوفة في منزل أحد زعماء الحركة الشيعية : سليمان الخزاعي، فخطبهم هذا. ومما قاله : «يا معشر الشيعة إن الحسين سار إلى مكة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله وقد احتاج إلى نصركم اليوم فإن كنتم ناصريه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه» فتشاوروا فيما بينهم ثم كتبوا إليه : «أما بعد فالحمد لله الذي قصم ظهر عدوك الجبار العنيد (يعنون معاوية) الذي اعتدى على هذه الأمة فانتزعها حقوقها واغتصبها أمورها وغلبها على فيئها، وتآمر عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود. إنه ليس علينا إمام، فأقدم علينا لعل الله يجمعنا بك على الهدى. فإن النعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجتمع معه إلى عيد ولو قد بلغنا مخرجك لأخرجناه من الكوفة وألحقناه بالشام». ثم أتبعوا هذا الكتاب بكتب أخرى ذكروا فيها أسماء الشيعيين الذين يؤيدونه وطلبوا منه المبادرة بالذهاب إلى الكوفة.

جـــــاء في أهله، وبينهمُ الأطفـ ـال، يجتـازُ مَهْمَهاً حرّاقا

كـــــورودٍ من اللّظى ذابلاتٍ تتلوّى وتغـــمض الأحـــداقـــا

ذكـر السبطُ هجرةَ الجد منفيـ ـياً سقته الآلام جاماً دهاقا

***

من هنا مـــرَّ أحـــمـــد وعليٌّ بعـده والرمـال تشـوي الساقـا

هاجت الذكـــريات عينَ حـــسينٍ فـــتلظَّى إنســـانهـــا برّاقـــا

وكـأن الحـفـيـد في شـبـه رؤيا كـشـفت عن فـؤاده فـاستـفـاقا

شـام وجـه السـمـاء يقطر نوراً مـفـعم السكب هاطلاً غـيـداقـا

لاح فـيـه مـحـمـد وعلي وكـأن النبي حثَّ البـراقـا

وتنادت الله أكـبـر تلك البـيـ ـد، هذا مُـثَلَّثٌ يتـلاقى

***

وأمضَّ الأحـرار نيـرُ يزيد جـبـل الظلم يرهق الأعناقـا

أفـعـم الجـوَّ بالمآثم حـتى لا تطيق الخياشم استنشاقا

فـإذا استنشَقَ النسـيم أبيّ كـاد من ثقله يموت اختناقـا

وتداعت في الكوفـة الناس همساً لحـسين تؤهّب الميـثـاقـا

حـجـبـتهم دار الخـزاعيّ بثُّوا حـولهـا من عـيـونهم أطواقـا

وسليـمـان قـام فـيـهم خطيـباً قـال يا قـوم قـد سئـمنا النفـاقـا

أرهقـتنا بنو أمـيـة فـالأفـ ـواه كُـمَّت والعـقل شُـدّ وثاقـا

بئس عـمَّـالهم طغـاة لئـام يسلبـون الأرامل الأرزاقـا

يثلمـون الدين الحنيف، ويأتـ ـون المعاصي زعـانفـاً فسّـاقـا

مـهـر أزواجـهم دمـوع بنينا أترانا العـبـيـد نعطي الصداقـا

إن تنامـوا على الصـغـار، فقُـ ـوّادٌ مطايا ترفّـهُ العـشّـاقـا

ولو أنّ الرجال فيكم عصافيـ ـر لهبَّت إلى الفضاء انعتاقا

صدئت هذه المناقر في الأقـ ـاص دهراً، متى تروم انطلاقا

أعلمتهم أن الحسين السني الخلق كالفجر شيمةً وائتلاقا

حلّ في مكة شريداً وما للعرش إلّاه رتبة وخلاقا

أيُّكم ينصر الرسول؟ فإن الغصن منه لما يزل عبَّاقا

طاهر النبعتين طاب أروماً والرياحين زانها أخلاقا

أيُّكم ينصر الحسين فندعـ ـوه لواءً مشرّفاً خفّاقا

قد عصيتم أباه حتى شربتم بعده من أميَّة غسَّاقا

يُعذَرُ الجاهلُ السُّلافَ إذا أهـ ـوى ولكن ما عذر غرّ ذاقا

من يزُر غبَّ لسعة جحر أفعى فجدير أن يُحرم التريّاقا

فاصدقوني إن كنتم ناصريه واشحذوا للجهاد بيضاً رقاقا

لا تغرّوه واعلموا أن دون النصـ ـر ضرباً يفري الكلى والصفاقا

إنها الحرب فاستجيدوا المواضي وأعدّوا لها الجيادَ العتاقا

خمدت هذه الأكفّ وكانت تسبق البرق للسيوف امتشاقا

ضَمُرَ الساعد اللفيفُ وقِدماً كان عبلاً وأجدلاً عملاقا

مضَّه الجور فاستكان هزيلاً كهلالٍ يكاد يفنى محاقا

فابعثوه كالأمس آية عزمٍ يعشق السيف والرماح الدقاقا

فأجابوه : «يا سليمان أرسل لحسين إنّا نذوب اشتياقا

«لحفيد الرسول يسبقنا قلـ ـب، فيذكي خيالنا الخلّاقا

«نفتديه بما لدينا ونفني في تجاعيد نعله الأعلاقا

«تفتديه أبناؤنا بدماءٍ مجدُها في سبيله أن تراقا»

كتبوا للحسين : «اقدم علينا إن حكم النعمان مرّ مذاقا

يا ابن بنت الرسول اقدم، وفي صحبك تمشي ملائك أجواقا

وأغِثنا فإن جور يزيد بثّ فينا الشقاء والإملاقا

إن تجئنا فإننا ليزيد قد شحذنا المهنَّد الفلّاقا

حنّ ماء الفرات يا ابن رسول الله شوقاً، متى تغيث العراقا

مُسْلِم في الكوفة[1]

«سر إلى شيعتي وأبلغ ثقاتي ... أنني للهدى نذرت حياتي

«واختبرهم أَهُمْ رجال حفاظ ... أم نِساء تهيم في التَرَّهات

«أتراهم يستأسدون لحقٍّ ... أو يميلون للنسيم المواتي؟»

***

أيّ قفرٍ أخلى من الصخر نبتاً ... ممحل الطير ممحل الواحات

من يدسه داس المسامير حمراً ... أو حجار الأتون مستعرات

(١) قبل أن يلبي الحسين دعوة الكوفيين، أنفذ ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة للتحقق من أمر الدعوة. فسار حتى أتى المدينة وأخذ منها دليلين وانطلقوا إلى غرضهم فمروا بالبرية، فضلوا الطريق ومات الدليلان ونجا مسلم من الموت بأعجوبة، وكتب إلى الحسين بما كان. وقال في ختام كتابه : «قد تطيرت من وجهي هذا فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري». فكتب إليه الحسين يتهمه بالجبن ويأمره بمتابعة الرحلة. فقال مسلم لمن قرأ الكتاب : هذا والله ما لست أتخوفه لنفسي. ودخل ابن عقيل الكوفة خلسة ونزل ضيفاً على المختار بن أبي عبيد وأنشأ يدعو لبيعة الحسين سراً، ويأخذ المواثيق، فبلغ عدد الشيعة ثلاثين ألفاً، ووعدوه بالقتال دون الحسين حتى يلقوا الله. وسرى خبر هذه المؤامرة إلى يزيد فغضب على واليه في الكوفة النعمان بن بشير. وكتب إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة يأمره بأن يتولى الكوفة وأن يبحث عن ابن عقيل حتى يوقفه فيوثقه أو يقتله أو ينفيه، فجاء ابن زياد الكوفة متلثماً وعليه عمامة سوداء. فكان إذا مر بجماعة من الناس حسبوه الحسين لسماعهم بمقدم الحسين فيحيونه قائلين : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله. فساءه ذلك أيما إساءة وجمع إليه عرفاء المدينة في المسجد الجامع وأمرهم أن يكتبوا له أسماء الغرباء وهددهم بأنه يقتل من عصى ويصلبه على باب داره. ودعا شريك بن الأعور مسلم ابن عقيل إلى بيته، وكان شريك مريضاً فقال له : متى جاء عبيدالله الآن ليعودني فاقتله واحتل مكانه. فامتنع مسلم عن قتله غيلة رفعة وإباء. ولما عجز ابن زياد عن الاهتداء إلى مسلم نادى إليه مولى له يسمى (معقلاً) معروف بالدهاء والمكر، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له : احتل ما استطعت لتهتدي إلى مقر مسلم وتظاهر بالتشيع للحسين. وهب هذه الدراهم لأنصاره حتى يثقوا بك، ثم ائتني بأخبار الشيعة ففعل الجاسوس واهتدى إلى مقر مسلم في بيت شيخ من أهل الكوفة يدعى هانئ بن عروة، فاستدعاه ابن زياد وأمره بتسليم ابن عقيل إليه فأجاب : أويجمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ولو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه. فضربه على وجهه بالقضيب ولم يزل يضربه حتى هشم أنفه وسالت الدماء على ثيابه وانتثر لحم خديه وجبينه على لحيته وهو ملتزم الصمت يأبى أن يدل على مسلم أو يعد بإحضاره، ثم أهوى إلى سيف شرطي ليقتله فدفع عن ذلك وحبس في القصر.

بحرة موجها خفوق سراب ... في الرياح السمائم السافيات
ربّ وادٍ يمسي دفين السوافي ... وطريق يغيب في لحظات
أرْسُمٌ تختفي خَفاء سطورٍ ... غيَّبتها نواتئ المحاة
لا تُقِرّ العيون شيئاً فتبقى ... حائرات في الأبحر المائعات
مهمهٌ غيب الدليلين، كالدأماء، ... تلقى الغريق في الظلمات
فغدا مسلم شريداً وحيداً ... تائه اللّب جاحظ النظرات
تحصب الريحُ وجهه، فأديـ ... ـم الأرض نارٌ صخرية الجمرات
وأشد الجحيم هولاً وأنكى ... مَن توارث جحيمه في اللهاة
كلَّما جاوز الشقي فلاةً ... شفّ عرضُ الصحراء عن فلوات
بلغ الظامئ المياه، وفي الأجـ ... ـفان طيف من عالم الأموات
ذاك حلم أم أنه القطر يجري ... من عيون السحاب بعث حياة
إنما الماء رحمة الله سحَّت ... من بنان القدير في قطرات

***

مسلم أعلم الحسين بما لاقـ ... ـى من الهول في القفار الموات
قال يا سفرة تطيَّرت منها ... ستكونين أشأم السفرات
من يكن فجره عليه ظلاماً ... هل ينال الضياء في العتمات
فأجاب الحسين : يا ابن عقيل ... أجباناً يكون فرخ البزاة
كيف يخشى سوى الإله شجاع ... طالبيٌّ معنعن العظمات
سمع اللّوم في الكتاب سريّ ... هاشميُّ الآباء والهمَّات
«صانك الله يا حسين فإنْ أجـ ... ـزَعْ لموتٍ، فما جزعت لذاتي
«أنت مصباحنا وأخشى من الأنـ ... ـواء خنق المصباح في المشكاة
«وأنا ما تشاء! ها أنا ماضٍ ... لسبيلي والموت من مغرياتي»

***

وَلَجَ الكوفةَ الخليفةَ خلساً ... كدخول الضياء في الحدقات

حلّ دار (المختار) ولد (عُبيد) ... شرّع الدار رحبةً للدعاة

فاشرأبت جدرانها سامعاتٍ ... خلجات القلوب والنيّات

فوعت من عهودهم ما وَعته ... صفحات البحار من موجات

تلكم الخلّص المواثيق، لو خُطَّـ ... ـت كتاباً، لناء بالصفحات

قد نصرنا الحسين، سبط رسـ ... ـول الله، قالوا : نفديه بالمهجات

إن نخنه فلتفتح الأرض فاها ... وليغر في الفجاج ماء الفرات

ولتمزق أعراضنا كفّ باغٍ ... أطلقت في نسائنا الخدرات

تخرب الكوفة العظيمة حتى ... ليقولون في الزمان الآتي

أوكانت تلك المدينة؟ أم أسطـ ... ـورة الوهم في خيال الرواة

***

مسلم كاتبَ الحسينَ أن اقدمْ ... ولك الجيش خافق الرايات

ورِهاف الظُبا ثلاثون ألفاً ... جلجلت في غمودها قلقات

إنّ صِيد العراق أهلٌ لأهل البيـ ... ـت نبع الضياء والبركات

باسمهم يفتحون كل دعاء ... باسمهم يختمون كل صلاة

***

وتوالت على يزيدٍ رقاع ... فاضحات الأسرار والدعوات

كشفت عن دعاوة ابن عقيل ... كشف وجه الغيداء في مرآة

صبّ جام القلى على (ابن بشيرٍ) ... غافلٍ لم يحسّ بالشبهات

ودعا بالبغيض، بابن زيادٍ ... أو حفيد البغيّ رأس البغاة

قال : إني ولّيتك الأمر (فالنعمـ ... ـان) غِرّ مسترسل في السبات

فاترك البصرة الوفيّة واقصد ... حيث ضلّت رعيتي ورعاتي

واقلب الأرض باحثاً عن عدوٍّ ... بعث الفأل في صدور عداتي

بَعْثَرِ الأرض والبيوت، وتحت ... الأرض، حتى مرافق الدارات

فإذا ما ظفرت بابن عقيلٍ ... فاقتل النذل أشنع القتلات

نم هنيئاً يزيدُ، إنك قد أطلقـ ... ـت ذئب الحجاز في الغنمات

غرّ أيّامه تراهنّ سوداً ... وليالیه جدّ حمراوات

رحم الله جده، كائناً من كـ ... ـان، وهو المجهول بين مئات

رحم الله جَدّةَ ابن زياد ... ولو أن الشوهاء في المومسات

رحمة الله قد تنال زياداً ... ولو أن اللعين في الحيّات

كل تلك الأقذار في وجنة التأريـ ... ـخ نسل اللئام، وُلْد الزناة

تتراءى بجانب ابن زياد ... ضمّةً من زنابق طاهرات

***

حذق المكرَ والتنكّر أفّاكٌ ... عريقُ الأصول في النكرات

لثّم الوجه، غير عينيه، لا يلقي ... إلى الناس، غيرَ طرف الدهاة

كفّن الرأس بالعمامة سوداء ... خداعاً للأعين الناظرات

حسبوه الحسين يخطر بين ... الدور مَرّ الهصور بالأجمات

كلما جاء مجلساً قابلوه ... بالتحايا فضيّة الكلمات

يا ابن بنت الرسول قالوا : سلام ... جئت فالروض ممرع الجنبات

مضّ ذاك السلام أُذْنَ (عُبيدٍ) ... مثل لدغ العقارب الهائجات

ساءه مثلما يسوء حُسيناً ... أن تعزّ الأصنام في عرفات

وأماط اللثام، مذ دخل القصر، ... فلاح الشيطان في القسمات

قام في المسجد الجميع خطيباً ... مرعد الصوت لاهب النبرات

قال إني وليتكم فسلامي ... للموالي، وللعَصيّ قناتي

أعلموني بشأن كل غريب ... عِلم رب البناء بالحجرات

عُرفاءَ الأحياء من زاغ منكم ... عجّل الخطو في طريق الممات

وليموتنّ جاحظ الطرف، مصلو ... باً عليق الأطراف، في خشبات
يشهد الأهل صَلبَه ويحزُّ السمـ ... ـعَ نَوحُ البنات والأُمهات
تشهق الكوفة الفجيعة من حـ ... ـزن، وتحمرّ من لظى الأنات
فيذوب المصلوب ذوب شموع ... بين حرّ الأوام والزفرات

***

وأتى مسلم ديار (شريك) ... وشريك في العهد طود ثبات
أقعد الداء ذات يوم شريكاً ... وتبارى العوّاد، غب الأساة
وأسرّ المريض لابن عقيل ... نصحه قال : هل تعي كلماتي
قد أتاني علمٌ بأن عُبيـ ... ـد الله، يأتي إليَّ، منذ الغداة
فإذا جاء وحده فاسلل الهنديَّ ... وأغمد في الرأس فضل الشباة
ضربة طالبيَّة يرتضيها ... عَمُّك الليث، من خلال الرفات
وانزل القصر بعدها، ويوافيـ ... ـك الموالون بالمنى الباسمات
ثم يأتي الحسين في الموكب المنصـ ... ـور بين الهتاف والزغردات
ذاك يوم، يكون في غرّة التا ... ريخ، يومًا مخلَّد الساعات
ويعيد الحسين ذكرى رسول ... الله يحتل كعبة الكائنات
حوله البسَّل الصحاب سعاةٌ ... تتجارى لمروة وصفاة

***

مسلم قال (يا شريكُ) تمهَّلْ ... قد لطخت الضياء بالآفات
طالبيٌّ أنا فلو رمتُ غدراً ... لتلاشت في ساعدي عضلاتي
ولقامت تصدني عن مرامي ... عزة النفس في جدود أباة
وكأني بجعفرٍ وعلي ... وأبي طالبٍ عيون بكاة
شيمة الليث أن ينبّهَ وحشَ الغـ ... ـاب، قبل الصيال والكرات
ينذر الصيد بالزئير ثلاثاً ... ثم يبدي نيوبه المرهفات

أترانا نردّ غـــــدراً بغـــــدر ... أو شـــماتاً وخسَّـــة بشـــمات

مسلم أعجز الجواسيس لم تظفـ ... ـر بخـدر الرئبـال في الغـابات

فـأعـدَّ الحبـائلَ ابن زيادٍ ... ودعـا (معـقـلا) فـيـا مكرُ هات

قـال خـذ هذه الدنانيـر واحـتل ... فـامـتزج بالعـصـائب الناقـمات

وأعـنـهـم بـالمـال والـعـن يـزيـداً ... وتـرنّـم بـالـذكـــــر والآيـات

وتشـــيَّع لمسلم وحـــسين ... وائتني في الحـوالك الدامـــات

وتلطف فـادخل، كـمـا تدخل الأمـ ... ـراض في الجسم، مُبهمَ الطرقات

كُشِف السرّ عن مَقـرّ خـفيّ ... وغـدا (مـعـقل) بريد الطغـاة

ظنَّه مسلم نصيـراً سـخـيّـاً ... بل من الشيـعـة الكبـار الغـلاة

يسـقط الليث في الحبـائل، إذ تنجـ ... ـو من الفخّ، أجبن الظبـيـات

واقـتناص الكبـير أيسـر شيءٍ ... فـهـو نصب العـيـون في الربوات

***

وغـدت دار هانئٍ كنف الجـاسـ ... ـوس، طرف العـشيّ والغـدوات

هانئٌ أكـرمُ المضـيـفين داراً ... وأجلُّ السـيـوف صـدق ظبـات

مـسلمٌ في جـواره كنزيل الديـ ... ـر، يعـتـزّ في الذرى العـاليـات

ودعـا هانئـاً (عـبـيـدٌ) وأضـفى ... فـوق زهو السـؤال لؤم العـاتي

فنفى هانئٌ فـجيء بجـاسـ ... ـوسٍ يصك الجـبـال بالبـيّنات

أسلمِ الضـيفَ يا ابن عـروة صـ ... ـاح الحاكم الوغـد صاعق اللفتـات

فـأجـاب الشـيخ الوقـور، وفي ... عـينيـه، وَقـرُ السنين والمكرمـات

عـربيٌّ أنا وأسلم جـاري؟ ... للمنايا للأسـهم الراصـدات

لا وَربّي ! أين الجـحـيم تواريـ ... ـي فـأهوي إلى الهـوى الفـاغـرات

كل شيء يهـون دون وقـاء الجـ ... ـار حـتى عـقـيلتي وبناتي

فـإذا كـان هاشـمـيّـاً نبـيلاً ... حـجَّـبـتـه القلوب بالحـبَّـات

فأثار العجوزُ كيد عبيد ... الله كالضبع أغريت بالشاة

فأجال القضيب من عوسج صلب ... رهيف الأشواك والشعبات

يضرب الخدّ والجبين وعرنيـ ... ـنّا أشمّاً كالأجبل الشامخات

فيه من جبهة الليوث، ومن ... ـن حدّ المواضي، ورفعة الملكات

فتح الجَلْدُ في الخدود ثلوماً ... ومحا كل قسمة وسمات

ذلك الوجه كان سِفرَ جلالٍ ... دافق البشر نيّر اللمحات

فغدا في مخالب الذئب بعضاً ... من بشاعات أعظم نافرات

واستشاط العقيق، في اللحية البيضـ ... ـاء، لاحت كالثلج في الهضبات

شرقت من دمائه فتبدّتْ ... كعروق المرجان موصولات

* * *

صَمَت الصابر الشهيد، فإن ... المجد يأبى مذلة الآهات

كادت العين تحسب الشيخ لولا ... وابل من جراحه الدامیات

ذيلَ طود أو مارداً من رخامٍ ... دمّمته أصابع النحّات

إنما الصمت في النوائب أسمى ... درجات السمو والغايات

إن سقراط يشرب السم، جبّا ... راً، عزوفاً، عن مهرب ونجاة

فوق ما يبلغ الخيال مقاماً ... في ذرى الخالدين والخالدات

جيء للسجن بالجريح كوعـ ... ـلٍ هشّمت رأسه سهام الرماة

وأتاه السجّان بالقيد والأغـ ... ـلال صيغت سلاسلاً جارحات

وأراد العتلّ أن يعقل الزندیـ ... ـن والساق بالعرى محكمات

فأبى الغلُّ أن يكبّلَ شيخاً ... وتمشى الحنان في الحلقات

فتهاوت على الحضيض وندّت ... عن بنان السجان معتذرات

ذاك أنَّ الحديد ألينُ قلباً ... من وحوشٍ كوالحٍ ضاريات

أصحابُ مُسْلِم[1]

سار في الناس سيرَ ومض الشهاب ... نبأ السجن غبّ مر العذابِ

فتنادوا إلى السلاح وماجوا ... في ظلالِ الرماح آساد غاب

قادهم مسلم إلى القصر كثراً ... فعباب يموج فوق عباب

بلغوه، وليس فيه، من الحُجَّـ ... ـاب، إلا زعانف الحجَّاب

وعبيد مصانعون فهم للوغـ ... ـد، مثل الأرياش في الأذناب

تتسدَّى على الجدالة، من ذلّ، ... وتبقى لصيقةً بالتراب

وأطلَّ الأعوان من شرفات القصـ ... ـر، يلقون بالوعيد الكذاب

«اخذلوا مسلماً وإلا محونا ... كم فخيلُ الأمير غير كواب

«والأمير المسماح يقبض عن ... كم جوده فارجعوا على الأعقاب»

خمدوا كاللظى يسحّ عليه السيـ ... ـل، من جوف ديمة مسكاب

---

(١) شاع في الكوفة أن عبيد الله اعتقل هانئ بن عروة. فضج أهلها، ومشى خلف مسلم أربعة آلاف لاحتلال قصر الإمارة. ولم يكن فيه سوى مائة شرطي فأشرفوا على الثائرين يهددونهم ويعدونهم. فارفضَّ هؤلاء الثوار عن الزعيم وتسللوا واحداً إثر واحد، ولم يبق منهم سوى خمسين. فمضى ليصلي بهم صلاة العشاء، وتطلع فلم ير أحداً، فهام على وجهه في أسواق الكوفة غريباً أضناه الجوع والعطش حتى وقف على دار أرملة تنتظر رجوع ابنها. فاستسقى، فسقته. وعاد ابنها فخبأته وأوصت ولدها أن يحفظه، وكان ابن المرأة مولى لمحمد بن الأشعث، فطمع بالمكافأة، وخاف من الوعيد، فأخبر سيده بما كان، وسمع ابن عقيل حوافر الخيل وأصوات الرجال، وإذا برجال الأمير يقتحمون عليه الدار. فهجم عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم منها، ثم عادوا إليه فأخرجهم. وتبادل هو وبكير الأحمري ضربتي سيف فأصيب مسلم في فمه. انقطعت شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى ونصلت له ثنيتاه. وخشي رجال الأمير لما رأوا من شجاعته واستماتته، فأشرفوا عليه من فوق سطح البيت، وأخذوا يرمونه بالحجارة ويشعلون النار بأطراف القصب ثم يلقونها عليه. ودعاه ابن الأشعث للسلم وقال: إن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك. وكان ابن عقيل قد انتهكت قواه لكثرة ما أثخن بالجراحة، فسلم نفسه، فإذا برجال الأمير يحيطون به وينتزعون سيفه، فبكى لا جزعاً من الموت ولكن خوفاً على الحسين القادم إلى الكوفة بسبب كتاب ابن عقيل.

وتولّوا عن الزعيم، كما يرفـ ـضّ خيط النعائم الهرّاب

وإذا مسلم وحيد، بذاك الليـ ـل، لا يهتدي طريق مآب

ما أضَلَّ الغريبَ، والليل منسـ ـجٌ من الهمّ أو جناح الغراب

لا دليل لا مؤنس لا صديق أين عهد الإخوان والأصحاب

ينضر الغصن في الربيع غريقاً بنديّ الأوراق والأطياب

فإذا لوّح الفضاء جهوماً ودّعته أوراقه في المصاب

ذلك الغصن، طالما أنعش الأورا ق يوم الهجير، يوم اللهاب

فسقاها دماءه لا يبالي بخريف، ولا برمضاء آب

يا أُصيحاب مسلم، وصمةُ التاريخ أنتم، وسبّة الأحقاب

برأَ الله آدماً وحباه الروح فيضاً من الجمال السابي

شرُفت طينةُ الوحول بروحٍ شعّ فيها الإله لمعَ شهاب

ما ورثتم عن جَدّكم غير وحل وصدفتم عن العلى والطلاب

أصديقٌ؟ أم ثعلبٌ من تخلّى عن أخيه عند الخطوب الصعاب

يلثم النعل إذ يُرجّي نوالاً ويصوغ الثناء فتح خطاب

كل حرفٍ تزلّفٌ ورياء عَسَلُ القول فوق مرّ الصاب

يا بديع السماء لو صغت قلب الناس كالوجه واضح الجلباب

لرأى مسلم قلوب ذئابٍ غُدَرٍ آدميّة الأثواب

لا تخون السباع إلا جياعاً فتلبّي تضوّرَ الأنياب

فإذا يُنسب الغدور لذئب آلمَ الذئبَ جائرُ الأنساب

دون وجه الخؤون وجه بغيّ زوّرَتْ خدها بألف خضاب

تُعذر المومس الفقيرة ضلّت أيّ عذر لصاحبٍ كذّاب

ذرّ ألوانه على الأرض فاندا حت ألوفاً ملوّنات الحرابي

لونهـــا لون مـــا يرفّ عليـــهـــا ... من شتـيت الأشـجـار والأعـشـاب

يا أصـيـحـاب مـسلم تحـمـدون ... الكَرْمَ، والكـرمُ نـاضـــر الأعـناب

فـــإذا جفّ تتـــركـــون الدوالي ... دامـــعـــات من قـــسـوة الحطّاب

برئت منكـم الصـــداقـــة، وهي ... الواحـة البـدعُ، في القـفـار اليـباب

فـــهي قـــيلولة القلوب، إذا آوت ... ثـقـــالاً، إلى الـظـلال الـرطـاب

صَعَّـرت خـدها الصـداقـة حـتى ... لتـــراكم دون القِلى والعـــتـــاب

لمحت خُلقكم بثـــوراً قـــبـــاحـــاً ... عـافـهـا الدود كـاعـتـياف الذباب

يا أصـيـحـاب مـسلم أكـلابٌ؟ ... أنـتـمُ أم أرانـبٌ فـي نـقـــــاب

يا إلهي أفـرطتُ في القـول جـهـلاً! ... ربّ فـاغـفـر إسـاءتي للكلاب

كم رأى العـابرون كلبـاً أمـيناً ... مـات دون الحـفـاظ، دون البـاب

***

عـسـعس الليلُ والغـريب شـريد ... أسـدٌ ضلّ بين طُلس الذئاب

ظامئ حـالـم بقطرة مـاء ... ولـو أنّ الرقـراق لمع سـراب

بصـرت بالغـريب أرملة أفـضـ ... ـى إليـهـا بسـرّه، في اقـتـضـاب

فـسـقـتـه وخـبّـأته وقـالت ... لابنهـا لا تبحْ مـقـرّ العـقـاب

إن هذا اللهـيف نجل عـقـيلٍ ... أشـرف الناس في عُلًى وانتـسـاب

وأذاع الفَـتّـاكَـةُ ابن زياد ... في الجـمـاهيـر مـوجـة الإرهاب

قـال مَنْ أخـبـأَ العـدوّ جـعلنـ ... ـاه نشـيـراً على رؤوس الحـراب

من أتانا به خـلـعنا عـليـه ... من يواقـيـتنا بدون حـسـاب

باعـه القـعـددُ المضيف رخـيـصاً ... حـقُـرَ الليث في جـحـور الضباب

وأحسَّ الطريدُ مـثلَ صـهـيل الخـيـ ... ـل قـامت فـرسـانهـا في الركـاب

فـدرى أنهـا المنيَّـة جـاءت ... فـاسـتـوى كـالغـضنفـر الغـلّاب

ومشى للمنون وثباً، كما ندّ ... ت عن القوس، نصلةُ النشّاب

جرَّد الأبتر الجراز، فصاح السيـ ... ـف أقدمْ فقد سئمت قرابي

صافي الحد والفرند، فإن تضـ ... ـربْ بيَ الصخر شمتني غير ناب

وكلانا يموت ذا اليوم لكن ... فوق تلّ من القنا والرقاب

فألاقي في عالم السيف جدي ... ذا الفقار الرهيف صلْبَ الذباب

وتلاقي بحمزة وعليٍّ ... والشهيد الطيَّار عزّ الجناب

أين عيناك يا حسين تباهي ... بالفتى الثبْت في احتدام الضراب

بلواء الوفاء، والخير، والقربـ ... ـى، بمجد الخطيّ والقرضاب

كرَّ، فالهاجمون سربُ رئال ... في مجال الغشمشم الوثّاب

أدبروا كالنواهس الغُضفِ هَرَّتْ ... حول خدرٍ فرُوِّعت بالناب[1]

بطل تسطع الفتوّة في خدّيـ ... ـه، لمع الورود فوق الهضاب

صدره قُدَّ من صليب الرواسي ... فالحديد الفولاذ في الأعصاب

زمجرات كما لو اندفق الشـ ... ـلال يدوي من حالق صخّاب

وتسامَوا إلى السطوح ليرموا ... مسلماً بالحجار والأخشاب

رجموه بالصخر حتى لتجري ... بدم الليث دفقةُ الميزاب

أجنودٌ بواسلٌ أم نساء ... ترسل السهم من وراء الحجاب

حاصباتٍ جبينه بحجار ... مشعلات في السقف عود الثقاب

وإذا خيف في المغارة ليثٌ ... قاتَلوه بهدمة السرداب

هشموا ثغره بضربة غدر ... فثناياه كالنقوض الخراب

أعمل السيفِ فيهم فاشرأبت ... فسحات الميدان صفّ رواب

ودعوه للسلم، لا غدر قالوا ... لا انتقامٌ ولاخسيس عقاب

أنت منا نسيبنا وحرام ... أن تنال المنون زينَ الشباب

---

(١) النواهس الغضف : الكلاب.

واستمر ابن أشعثٍ يغلظ الأقسـ ـام والعهد بالوعود العذاب
أومأ الليث أن قبلتُ بصلحٍ فأتاه الجنود فور الجواب
يأخذون الحسام، قال أصلحٌ أم هو الغدر واحتيال المرابي
إن أخذتم هذا الجُرازَ فلا تُحصـ ـوه بين الغنيم والأسلاب
واذكروه فقد وفى لعليٍّ لم يُدنَّس غراره بمعاب
غير ما كان من دماء ضحايا كم فأنتم أدرى بقذْر الشراب

***

أسند الليث رأسه لجدار مسبلاً جفنه على تسكاب
أوَ تبكي؟ قالوا له، وسخيّ الدمع وقفٌ على ذوات النقاب
يتحلّين بالدموع يواقيتاً تدلّى من طرف خودٍ كعاب
أو أنت الصنديد تدمع عيناً ولعَينَاك من نسورٍ صلاب
قال إني بكيت سبط رسول الله، يأتي وفي يديه جوابي
مطمئناً لعهد من غدروني لم يُحَذّر من غدرةٍ وارتياب
فأكون الذي قتلت حسيناً ساطراً حكم موته في كتابي
مَنْ يقل للحسين عني ألا ارجع خَلَت الغابُ من أسود الغاب
ليس فيها سوى الشعالب والحيَّـ ـات همَّت بلسعةٍ وانسياب
خرست صُدَّح البلابل فالأصـ ـداء رجع النعَّاب للنعَّاب
إنهم ناهضوا أباك، فلا تأمنْ لبرقٍ مخادعٍ خَلَّاب
ليس فيهم من المروءة ظلّ فوداعاً يا نخوة الأعراب
ليس للجار حرمة في حماهم فهو رَهْنٌ لفتكةٍ واغتياب
أين عهد كانت به العزة القعسـ ـاء بنتَ الخيام والأطناب
يُمرع الصدق والكرامة تنمو تحت شمّ الذرى وبيض القباب

مَصرَعُ مُسلِم[1]

قـــاده (أشـــعثٌ) يروم الأمـــانا ... لجـــريح تَقَـــمَّصَ الأرجـــوانا

قـــال : «إني أتيت يا ابن زيادٍ ... بأسـيـرٍ قـد صَـغَّـرَ الفـرسـانا

«أتخم الأرض من دمـــاء مـــوالينا، ... فنشَّ الصـعـيـدُ من قـتـلانا

«جسـمُه عـاد بالدمـاء خـضـيـباً ... مـثـلمـا حنَّت العـروس البنانا

«فـوعـدتُ الصنديد أمناً وسلمـاً ... إن مـثل الأمـيـر يعطي الأمـانا»

لا أمـانٌ قـال الوليّ فـمن يبـغـ ... ـض يزيداً ينَلْ رهيب جـزانا

كلُّنا للأمـيـر أعـضـاء جسـم ... عـبـده عـيـدنا، هواه هوانا

***

كـان إذ ذاك مُـسلمٌ يتـهـاوى ... خـارج القـصـر جـائعـاً ظمـآنا

جاع حتى ليحسب القصر والأبهاء ... دارت بـرأسـه دورانـا

---

(١) وجاء ابن الأشعث بالأسير إلى القصر ليطلب له الأمان من ابن زياد فرفض ابن زياد تأمينه، وكان مسلم يتلظى عطشاً على باب القصر فرأى جرة ماء، فاستسقى الحاضرين، فأجابه مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم. فقال ابن عقيل : لأمك الثكل ما أجفاك وما أفظك، أنت يا ابن باهلة أولى بنار جهنم مني. ثم جلس متساندا إلى حائط، فجاءه غلام بقدح ماء، فكان كلما هم أن يشرب امتلأ القدح دمًا. فلما ملأ القدح للمرة الثالثة وهم بالشرب سقطت ثنيتاه فيه فقال : الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته. وأدخل على عبيد الله فلما علم بأنه سيقتل رجا الأمير أن يمهله حتى يوصي. ومال بعمر بن سعد إلى ناحية وقال : إن عليّ بالكوفة ديناً استدنته وقدره سبعمائة درهم. فبع ثيابي واقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يرده ويعلمه بحالي، ويغدر الذين يزعمون أنهم شيعته. وأنشأ ابن زياد يوبخ مسلماً ويسب علياً وحسيناً، فأجابه مسلم جواباً شديداً، ثم أمر ابن زياد فأصعد مسلم إلى أعلى القصر حيث ضربت عنقه، وألقيت جثته إلى الجماهير المحتشدة حول القصر. وأمر بهانئ بن عروة فأخرج إلى مكان من السوق يباع فيه الغنم وهو مكتوف اليدين وقتل هناك. ثم أرسل زياد رأسيهما إلى يزيد بن معاوية.

ورأى في الحضيض جرَّة ماءٍ ... يتنزّى ليملأ الكيزانا

طفح العذب بارداً، فصعيد ... الأرض أضحى من جوده ريّانا

قال : بلّوا فمي بنهلة ماء ... فإذا متّ لم أمت عطشانا

فتصدّى لمسلمٍ (باهليٌّ) ... صار من فرط قسوة حيوانا

«قال هذا البُراد يا ابن عقيل ... سلسبيل من الجنان أتانا[1]

وأرى عينك السخينة عطشى ... يتلظَّى بياضها مرجانا

وكأن السواد يوشك من ظم ... ءٍ وتَوقٍ يودّع الأجفانا

لن تذوق النمير يا وغد إلّا ... أن تذوق الحميم والنيرانا»

فأجاب الليث الجريح : «ألا اصمـ ... ـت إنما النار مرتع لسوانا

ليس في صدرك اللئيم فؤادٌ ... بل أرى فيه جلمداً صوَّانا»

خالياً من دم العروبة، لم يخفـ ... ـق لجودٍ ولم يرقَّ حنانا

ليس فيه من الشرايين إلّا ... ذيل أفعى تقمَّصت شريانا

ثكلتك الثكول إن كنت شخصاً ... واشتواك الجحيم إن شيطانا

***

وأتاه فتًى بشربة ماءٍ ... ودعاه فأمسك الفنجانا

كلَّما رام أن يبلّ شفاهًا ... أبصر الجامَ من دمٍ ملآنا

حاول الشرب مرتين فصدّت ... سكبةُ الدمّ (مسلماً) صديانا

ثم رام المصّ الأليم ثلاثاً ... فإذا الفكّ يلفظ الأسنانا

قال ربّاه لن يصيب البرايا ... غير ما شئت فاسقني إيمانا

ملأ الكأس دَمُّه والثنايا ... فرمى الكوب يائساً حرّانا

ولك الحمد إن نُمتَّع بعيش ... أو تخضَّب أفواهنا بدمانا

حكمة منك يرجع العقل عنها ... عاثراً في عتوّه حيرانا

---

(١) البراد : الماء البارد.

تُغرق الخيّرين في البؤس حتى ... ليَقولون ربنا قد جفانا
يقطعون الحياة رحلةَ آلام ... جسام تنوّعت ألوانا
فإذا يبتغون نفحَ هواء ... مُنعش ينشقونه أحزانا
ويبلُّون ريقهم من دموعٍ ... دامياتٍ ويلبسون الهوانا
ويرون الأشرار، في النشوة الكبـ ... ـرى، سكارى يلطّخون الدنانا
كلّما قارفوا دروب المعاصي ... أكسبتهم آثامهم لمعانا
كل ليل لهم جحيم جديد ... فُسَّق حوّلوا الليالي حانا
عبدوها مباهجاً وملذّات ... وآلوا يطوونها مهرجانا
يا إلهي أمسكت وجهك عنّا ... أوَ تُرخي للظالمين العنانا
مبدعَ الكون لِمْ خلقت ذئاباً ... تستبيح الرعاة والقطعانا
وبرأت الإنسانَ من معدنٍ كـ ... ـدرٍ، وأبدعت جاره الأفعوانا
حيوانين من ترابٍ دنيءٍ ... لم نزل في طباعنا جيرانا
ولماذا ترخي السيولَ الهوامي ... يتعالى تيَّارها طوفانا
أو تشق الجبال أفواه نار ... يتلوّى لهيبها بركانا
فتبيد الأبرار، والرضّع الأطفـ ... ـال تفني، والشّيبَ والصبيانا
ربّيَ افتح أبصارنا وأنرنا ... لم نزل عنك قصّراً عميانا
تبهر الشمس عين أرمد حتى ... ليراها غمامة أو دخانا
كشفت هذه النفوس بأجسـ ... ـاد غلاظ تفتّقت أدرانا
جاذبتنا الدنيا فكانت قيوداً ... عن سبيل الكمال صدّت خطانا
اسقنا ما تشاء من حنظلٍ مُـ ... ـرّ، ودمعٍ يعيدنا لهُدانا
رحمة منك كل ما يعترينا ... لو أفقنا من جهلنا وعمانا
تحفظ الدودة الحقيرة من جـ ... ـوع فحاشاك تظلم الإنسانا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فلنا في القصاص فيضُ حياة ... وخلودٌ وجنَّةٌ مأوانا

ونعيم لا يعرف الوقت والساعـ ... ـات حدّاً، ولا يعدُّ الآنا

وسواء لديك نشقى بدنيـ ... ـانا ونبكي، فما ترى دنيانا

نقطة في عباب بحر رحيب ... كلما ماج حيَّر الربّانا

تلمح العين بعضه، ويموت ... الطرف توقاً، ولا يرى الشطآنا

خلف هذي الدنيا منارة عدل ... يبسط الله تحتها ميزانا

صاغها واجب الوجود، فمـ ... ـن يُنكرْ سناها، يُحارِبِ الديّانا

***

ودعا مسلمٌ إليه ابنَ سعدٍ ... موقنًا أن يومه قد حانا

قال : «إني ناشدتك الله والقربـ ... ـى بإنفاذ ما أسرُّ بيانا

غبّ قتلي التمس من ابن زياد ... جثة الميت وادفن الجثمانا

لا تذَرْها معروضة لعيونٍ ... شامتاتٍ، ولا تسرّ عدانا

فيرى الناس هاشميّاً نبيلاً ... بات شلواً مهشَّماً عريانا

عورة صانها جدودٌ كرامٌ ... عندما الله بالحياء كسانا

لا تذَرني على الصعيد مهيناً ... ذلَّ جسمٌ يسمّن الغربانا

هان لو صرت مطعماً لنسـ ... ـور الجوّ يشتدُّ حَيلُها طيرانا

فيقولون كان نسراً فريداً ... ليس بدعاً أن يُكرِمِ الإخوانا

بِعْ ثيابي وادفع ديوني فعارٌ ... أن يقولوا ابنُ طالبيّ مانا

بل شريف قد أعجلته المنايا ... فكفته ثيابُه ما استدانا

أعْلِمِ القادمَ الحسينَ بأني ... لم أمت ميتة الذليل مهانا

قلْ له : مات مسلم طالبيّاً ... فليهلّلْ رفاتُ جدّ غمانا

فإذا تاه من يتيه بمجد ... وقف المجد عندنا ما عدانا

قل له إنني قضيت فداه ... شامخ الرأس باسماً جذلانا

فليعدْ راجعاً لمكة حسبي ... أن أُضحَّى، ولِمْ نموت كلانا

جيء بالليث دامياً، وعبيد ... الله يختال، يسحَبُ الطيلسانا

والذي يؤلم النفوس ويدمي ... أن تلفَّ الطيالسُ العبدانا

يثقل المترف الهجين على الأبصـ ... ـار، فالعين لا تطيق الزبانى

دونه وطأة الشوامخ ثقلاً ... إن تباهى وجرَّر الأردانا

إنما الفرع بالأرومة يزكو ... وشذاها يطيّب الأغصانا

إنما ينكر الوراثة غرٌّ ... من يقل (صار) لا يغصّ (بكانا)

وعجيب أن يهمل الناس نسلاً ... وتراهم يؤصّلون الحصانا

***

شزَرَ الحاكم العتيّ أسيراً ... أثخنته جراحه إثخانا

وأمضُّ الجراح زهوُ عدو ... أكسبته آثامه السلطانا

كلما ازداد للميامين ظلماً ... نال حظّاً وسؤدداً ومكانا

حسبه الظلم والنفاق وقلب ... أمويّ يقطر العدوانا

تلك كانت سجيَّة ابن زياد ... فالسراطين تنشد الغدرانا

لا يكون الثعبان من دون سمٍّ ... فإذا شذّ لم يَكن ثعبانا

قال : ماذا فعلت يا ابن عقيلٍ ... شرّ مَن حارب الأمير وخانا

جئت يا وغد داعياً لحسينٍ ... أرضَنا دُست واستبحت حمانا

مَن حسينٌ ومَن عليٌّ فإنّا ... «قد دهانا من أمركم ما دهانا»

إنّما الله ناصر ليزيدٍ ... ليس يعطي لغيره الصولجانا

فتأهبْ لقتلة، طيفُ ذكـ ... ـراها يروع النفوس والأبدانا

فأجاب الأسير يا ابن زيادٍ ... أنت أدهى من سبَّنا وهجانا

أنت إذ تلعن العمومة والأخوال، فالشمس قد جرحت عيانا

كلما تلعن الفضيلةَ والمجدَ المعلّى فقد شتمت أبانا

ومِن الخطب أننا قد رُمينا وعجزنا عن سبّ فسلٍ رمانا

إن شتمنا أباك أو جدك المجهول، فاعلم أنّا شتمنا الدخانا

لا نرى جدّكَ اللئيم المغطّى في ستور الزنى، وأنت ترانا

نلعن الجنس ليتنا نستطيع القول : إنّا لقد شتمنا فلانا

مَن عليٌّ تقول يا ابن زياد وهو بدر قد تيّمَ الأزمانا

كل عصرٍ يودّ لو يدّعيه فيباهي بعضُ الزمان الزمانا

مثلما النجم يفضل النجم قدراً فنجوم السُّها علتْ كيوانا

مَنْ حسينٌ تقول؟ إن حسيناً روح طيب يعطر الأكوانا

لو عرفت الرسول ضوء البرايا لعرفت ابنه وشِمتَ الجمانا

يعرف الشمس كل من قد رآها ليس يبغي لعينه ترجمانا

يبرأ الدين منك يا ابن زيادٍ وثنيّاً تكرّم الأوثانا

من يفضّلْ على حسين يزيداً فكفورٌ قد طلّق الإيمانا

إن تَعِدْني بمثلةٍ وعذاب لن تراني عند المنون جبانا

أنرجّي سوى النوائب من وغد قَلانا وطلّق الوجدانا

أرضعته الأحقادَ مذ أرضعته ذئبةٌ درّ ثديُها أضغانا

إن تُبِدْ آل هاشم فالخلود الرحـ ـب يضفي عليهم الأكفانا

يلبس الأكرمين من حلل الجنـ ـات مجداً ويَعلِمُ القمصانا

إذ تلاقون (مالكًا) ونلاقي مطلق الثغر باسماً (رضوانا)

فابسط النطع واليمانيّ واصلب ولْتَحُلْ كلُّ غيضة صلبانا

***

كُـــبِّل الـليـث بالحـــديد وقـ ـــادوه إلـى الـسـطـح ذاهـلاً وسـنـانـا

وأطاح البـــتـــار رأس هصـــور شـــرّف الســـيف زنده والسنانا

ورمـــوه إلى الجـــمـــاهيـــر إرهاباً فـــفـــرّت كـــمـــا تفـــرّ السـمـانى

حـيـنمـا تلمح العـقـاب ولو مـيـ ـتـاً فـتـهـوي قلوبهـا خـفـقـانا

وأتـوا بابـن عـــــروة ثـم حـــــزّوا رأســـه حـــيث يذبحـــون الضـــانا

ثم أهدى رأســـيـــهـــمـــا ليـــزيدِ حـــاصـــدٌ ظنَّ نفـــســـه إنســـانا

فـــتح الموسم الرهيب (عُـبـيـدٌ) فـــقطاف الرؤوس فـــصلٌ آنا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رحيل الحُسَيْن[1]

هيَّأ الزاد واستجاد الرحالا ... والمحفَّات تستقلّ العيالا

بينها الكاعب الوضيئة والحبـ ... ـلى وظئرٌ تُرَضِّعُ الأطفالا

أشرف المحصنات أصلاً وخلقاً ... وأعفّ المُخدرات مقالا

وصغارٌ من اليواقيت أبهى ... ومن الضوء في الرياحين سالا

في اخضلال البراعم البيض تكسـ ... ـوها يدُ الفجر رونقاً وصقالا

فإذا يبسمون للوالد المظلـ ... ـوم ألقى الهموم والأثقالا

فيرى حلمه على كل عينٍ ... ويلاقي في كل ثغرٍ هلالا

***

وأتاه ابن عَمّه نجل عَبَّاس ... نصوحاً يقول : ردّ الجِمالا

إن تمت يا حسين تطفئ سراجاً ... هاشمياً أخوه بالأمس زالا

---

(١) ولما تلقى الحسين كتاب مسلم تهيأ للرحيل بعياله إلى الكوفة، فنصحه أحباؤه وعلى الأخص عبدالله بن عباس ألا يفعل، إلا أن يبادر أهل العراق إلى قتل أميرهم وضبط بلادهم مخافة أن يغروه ويخذلوه، فأبى وقال : إن رسول الله قد أمرني بأمر وأنا ماض فيه، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. وسار حسين بأهله وأبناء أعمامه وأنصاره وكلهم دون المائة وخمسين شخصاً عدداً، ولقيه في بعض الطريق الشاعر الفرزدق فقال له الحسين : بين لنا نبأ الناس خلفك فأجاب «قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية» وقال الحسين وهو في بعض الطريق : لقد رأيت هاتفاً يقول : أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة. فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا. فقال له ابنه علي : يا أبتاه ألسنا على الحق؟ فقال : بلى يا بني ! فقال : يا أبت إذن لا نبالي بالموت. فقال الحسين : جزاك الله يا بني خير ما جزى ولداً عن والده.

وقال الحسين وهو في بعض الطريق إلى العراق : الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء. فإذا أقمت في مكاني فبماذا يمتحن هذا الخلق، وبماذا يختبر، ومن ذا يكون ساكن حفرتي. لقد اختارها الله تعالى لي يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا ومحبينا، تُقبل أعمالهم وصلواتهم ويجاب دعاؤهم، وتسكن إليها شيعتنا فتكون أماناً لهم في الدنيا والآخرة.

إنما الجو قاتم، وأخاف الريـ ـحَ نكباءَ تستبيح الذبالا

لا تثق بالوعود، فابن زياد لم يزل في وجاره ختَّالا

لا ينام الحكيم، في الغابة الشجـ ـراء، حيث الآجام تخفي الصلالا

قبل أن يجعل الفراش وثيراً ويقصَّ الهشيم والأدغالا

ربّ غابٍ تغري اللبيب بصيد فإذا جاءها يصيد الخيالا

أنت جار لزمزم فالتزمها قد يكون البحر المُشوّق آلا

فأجاب الحسين : تعلمُ عبد الله، إني ما رمت جاهاً ومالا

«بل حفاظاً على شريعة جدّي إن ليل الآثام والبغي طالا»

ضجَّت الأرض من شرور يزيدٍ فهي بحر مزمجر يتعالى

غمر السهل والتلال فساداً ويكاد الخضمّ يعلو الجبالا

بعث الإثم كالجحيم دخاناً يتلوّى وينشر الأذيالا

كاد لولا مشيئة الله يطغى فيداني عرش الإله تعالى

وغدا الشعب هاوياً كل شيءٍ ما عدا الحق والسبيل الحلالا

طمست سنَّة الرسول، فعاد الرشـ ـد فوضى، والمستقيم محالا

يبعث الله في الأنام نبيّاً يصطفيه فيوقظ الأجيالا

فيكون اللواء، يقرأ فيه النـ ـاس وحياً، وحكمةً، وجلالا

شيمة الشمس، ترسل الضوء دفّا قاً، فتستنهض المروج الكسالى

فإذا القفر خضرة ورياض وثِمارٌ بالطيبات حبالى

تستحمّ النفوس في أيكها الحالي وترتاد جنَّة وظلالا

صوّحت هذه الجنان، وندّ الظـ ـلّ عنها، وناضر الورد حالا

طار عنها القمريّ، واستوحش الأمل ـودُ فيها، والذئب راعَ الغزالا

مسرحاً للقرود صارت، وأكنـ ـافُ الدوالي، تأوي إليها السعالى

بعـــدمـــا هدّم الســـيـــاجَ يزيدٌ وجـــرى فـــوق زهرها خـــيّـــالا
وجـــرت خلفـــه الرواهس شُـــمـــساً بطراً تزحم النعـــال النعـــالا
كـــادت الروضـــة الوريفـــة تغـــدو مـــربط الخـــيل، أو تعـــود رمـــالا

***

غـــضـــبـــة للعُلى، لحقٌّ هضـــيمٍ لصـــراطٍ أخـــشى عليـــه الزوالا
يغـــضب الوارث الحـــفـــيـــد لتـــذكـ ـارِ سليبٍ ولو دمًى أو عـــقـــالا
فـــإذا كـــان من ذخـــائر طه بـذل النـفس دونـه مـــــا بـالى

***

ومـــشى مـــوكب الحـــسين قليل العـــــدّ، والدرّ لا يـكـون تـلالا
بل حـــبـــوبٌ قليلةٌ تبـــهـــر الآفـــاق لمعـــاً وتملأ الآصـــالا
لا يكون الطغـــام إلا كـــثـــيـــراً كل أرضٍ تحـــوي القـــذى والنمـــالا
أوَلَيسَ الجـــرادُ وهو حـــقـــيـــرٌ يكسف الجـــوَّ والثـــرى أرجـــالا

***

لقي الركبَ شـــاعـــرٌ علويٌّ قـــال شـــعـــراً فـــرنّح الآزالا
هو ذاك الفـــرزدق الفـحل، يستـبـكـ ـي الفـــيـــافي، ويبـــعث الأطلالا
يا ابن بنت الرســـول قـــال : ألا ارجع أبتِ الريحُ أن تهبَّ شـــمـــالا
لك في الكوفـــة القلوب ولكن لست تلقى خلف القلوب رجـــالا
وإذا الحب لـم يؤيد بـفـــعـلٍ ظلّ في كـفَّـةِ الوفـاء خـيـالا
فـــأجـــاب الحـــسين قلتَ صـــواباً قـــد نذوق الردى ونلقى النكالا
يفـــعل الله مـــا يشـــاء، فـــإن يرغـ ـبْ يُمـــدّد أو يقـــصّـــر الآجـــالا

***

ســـمع الســـبط هاتفـــاً علويّاً ينقل الجـــرس عن لهـــاة الثكالى

قـــال : يا ســـائرين شطر المنايا ... عـــجّلوا فـــالخلود يشكو الملالا

أُترع الكوب والأرائك صـــفّت ... وتهـــادت حـــور الجنان دلالا

«قـــد نُعـــينا ولا مـــردّ لحكم ... الله فلنقـــصـــد المنون شـــبـــالا»

قـــال نجلُ الحـــسين، وهو عليٌّ : ... «يا أبي هل نشـــدت إلا الكمـــالا

«أولست الذي يؤيد حـــقّـــاً ... رافـــعـــاً راية الرســـول مـــثـــالا؟

«فـــأجـــاب الحـــسين : إنّا على حقّ ... صـــراحٍ، كـــالنجم هلّ وشـــالا»

«هتف الشـــبل فلنمت مـــوت ... عـــقـــبـــان أباةٍ ولا نموت رئالا[1]

دمـعت مـقلة الحـسين ابتـهـاجـاً ... بولـيـــدٍ يُشـــرّفُ الأنجـــالا

فـــاســـمـــه كـــاسمِ جـــدّهِ أتراه ... ذلك الضـــوء من شـــعـــاعٍ ســـالا؟

إن يـكـن ثـغـــره غـــلالـة وردٍ ... إنّ في كـــهـف صـــدره رئبـــالا

فـــإذا نـاء زنـده الـغـضّ بـالـهـنـ ... ـدي، عـضـبـاً، يفـرّق الأوصـالا

فـهـو يستـمـرئ المـمـات شـهـيـداً ... طالبـيّـاً مـا خـيّـب الآمـالا

وقف السـبط وهو في شـبـه رؤيا ... ألبسـتـه على الجـمـال جـمـالا

قـــال : إني أرى دمـــاء وأشـــلاءً ... وغـــدراً وخـــسّـــة واغـــتـــيـــالا

وقـبـوراً تفـتـحـت جـائـعـاتٍ ... مـرهـفـاتٍ نيـوبهـا، أغـوالا

حـفـرتي بينهـا تخفّ إليـهـا ... شـيـعـتي، يلثـمـونهـا إجـلالا

قـــاتلتني آباؤهم، فلقـــيت ... الموت منهم، وذقـــتـــه أشكالا

غَـــيّـــبـــتني آباؤهم ويراني ... ولُدهم كلّمـــا المؤذن قـــالا

كلمـــا قـــام للصّـــلاةِ المصلّي ... إذ يُحـــيّي مـــحـــمّـــداً والآلا

يذكـرون الحـسين حين يهـيب الحـ ... ـق بالناس : حطّمـــوا الأغـــلالا

فـيـرون الشـهـيـد، سـبط رسـول ... الله، يـدعـــو للجنة الأبطالا

---

(١) الرئال : ذكور النعام.

فـــيكون القـــتـــيل بالطفّ للأحـ ـرار رأساً، وللهـــدى مـــشـعـــالا

وأراني في صـــــدر كل نـبـــيلٍ شـــاد لي في جـــفـــونه تمثـــالا

يحـــــــرق الله قـــــاتـلـيّ بنارٍ يدع الصـــخـــر وهجُـــهـــا أسـمـــالا

بعض غـسلينهـا، لو انصَبَّ في البـحـ ـر، لأضـــحت مـــيـــاهه أوحـــالا[1]

***

وأتاه عن مـــصـــرع ابن عـــقـــيل مـــا أهاج الضـــيـــاغم الأشـبـــالا

إخـوة أجـمـعـوا على الثـأر حـتى ليـعـــود الحـــســام يشكو الكلالا

فـيـخـرّون في الوقـيـعـة صـرعى بعـدمـا تصـبغ السـيـوف المجـالا

وســـرت في الحـــسين هزّة قـــربى ذكّـــرته الأعـــمـــام والأخـــوالا

لا تموتون وحـــدكم، بل إلى جنبـ ـي، أفـــانينَ دوحـــة نتـــوالى

إنما العـــيش بـعـــدكم لحـــرام بل هو العبء باهظاً قـــتّـــالا

قـد مـضى مـسلم شـهـيـد وفـاءٍ فـهلمُّـوا نستكثـر الأمـثـالا

إن تغـــيَّب في الرمل غُـــرُّ اللآلي فلســـوف الزمـــان يجلو الرمـــالا

يبـــعث الله مـــبـــصـــرين يلاشـ ـون الدياجي ويخنقـــون الضـــلالا

ســـــيكون الـدم الـزكـيّ لـواءً لشـعـــوب تحـاول اســتـقـــلالا

ينبت المجـــد في ظلال البنود الحـــمـ ـر، يهـوى نسـيـجـهـا سـربالا

فـإذا الأعـــصـــر النؤومـــة تصـحـــو من كـــراها وتحـــمـــد الغَـــزّالا

ســوف تبكي على الحـسين البـواكي ويُرى كل مـــحـــجـــر شـــلّالا

ليت شـــعـــري لِمَ البكاء؟ وذاك اليـ ـوم عـــيـــد يشـــرّف الأجـــيـــالا

مـــأتم القـــاتلين ! لا مـــأتم القـــتلـ ـى يسـيـــرون للخلود عـجـــالى

---

(١) الغسلين : الصديد، وهو ما يشربه أهل النار.

في كربَلاء[1]

وصل الركب للعراق وحارا ... سابقُ المكر ضلَّل السيَّارا

ذاك أن المخاتلَ ابن زيادٍ ... سدّ في وجه خصمه الأمصارا

فأتى (الحرّ) يقدم الجيش جرّاراً، ... سكوتاً، لا ينتضي بتّارا

---

(١) ولما كان بين الحسين وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه فارس من العراق ونعى إليه ابن عقيل ونصح له بالرجوع. وكان مع الحسين إخوة مسلم فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل. فقال الحسين : لا خير في الحياة بعدكم وساروا جميعاً، فاعترضهم جيش عبيدالله وعلى رأسه الحر بن يزيد. فلما رآه الحسين عدل عنه وما زال يسير بأهله وأصحابه يمنة ويسرة والحر يعترضه مرة ويخلي بينه وبين ما يريد حتى بلغ كربلاء. وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم. فقال ما اسم هذه الأرض؟ فقيل : كربلاء. قال هذا موضع كرب وبلاء، انزلوا ها هنا محط ركابنا، وسفك دمائنا، وهنا محل قبورنا، بهذا حدثني جدي رسول الله فصرخت زينب أخت الحسين : واثكلاه!. ينعي الحسين نفسه، ليت الموت أعدمني الحياة، ماتت أمي فاطمة، وأبي، وأخي الحسن ولم يبق غيرك يا خليفة الماضين وثمال الباقين. وشقت جيبها، وأقبلت باقي النساء يفعلن فعلها. فقال الحسين : تعزي يا أختاه بعزاء الله فإن سكان السماوات يفنون وأهل الارض كلهم يموتون. ثم قال : يا أختاه، يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشقن عليَّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.

وأشرف الحسين في اليوم السادس من المحرم على أعدائه المقاتلين من أهل العراق، فخطب فيهم فقال : أيها الناس إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم، فإن كنتم قد نكثتم عهودكم انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه. ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الامر من المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فأنكر الحر بن يزيد أمر الكتب. فنشر الحسين بين يديه خرجين مملوءين منها. فقال الحر : إنا لسنا ممن كتبوا إليك، وقد أمرنا عبيدالله ابن زياد إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة عليه. فقال : الموت أدنى إلي من ذلك. وقيل : إن الحسين أراد أن يعود إلى الحجاز، فمنعه الحر من ذلك إلا أن يرضى عبيدالله. وقال له مشفقاً : إنك إن عاندت وقاتلت تقتل. فقال الحسين : أبالموت تخيفني؟ وهل يعدل بكم الخطب أن تقتلوني؟ وما أنا الذي ينزل على حكم ابن زياد. وكان ابن زياد قد كتب إلى الحر قبل وصول الحسين إلى كربلاء : أما بعد فشدد على الحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، فأنزلهم بكربلاء. ثم تولى رئاسة جيش العراق عمر بن سعد مكان الحر بن يزيد. واقترح على ابن زياد أن يرجع الحسين إلى الحجاز. فكتب إليه عبيدالله : أما بعد فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتشفع به لديّ، فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلي سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون. فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن والمعسكر والسلام.

همُّـــه أن يصـــدّ ركْبَ حـــسين ... عن ثغـــور يلقى بهـــا أنصـــارا
فـــإذا حـــاول المســـير يميناً ... لـزّه (الحـــرُّ) أن يمرّ يســـارا
وكـــذاك القنَّاص يختـــل صـــيداً ... حين ينســـاق للطراد اضطرارا

***

عطش الخـــصمُ في الطريق فـــقالوا ... يا ابن بنت الرسـول حُـيّيت جـارا[1]
إن تغـــثنا بشـــربة تبـــعث ... الأرمـــاق فـــينا، فـــلا نموت أوارا
فـسقـاهم صـفـائحـاً مـترعـات ... أطفـأت في اللهـا جـحـيـمـاً مـثـارا
وحَـــبـــاهم أعـــزّ مـــالٍ لديه ... يقـدر الماءَ من يجـوب الصـحـارى
حـيث يشـري قـارون جـرعـة مـاءٍ ... بالذي جَـمَّـعَت يداه نضـارا
جـاد بالماء، والميـاه حـيـاة ... فـأعـاش الأراقم الأشـرارا
مـــوقناً أنه يُخلّص إمّـــا ... أمـــويّاً أو تابعـــاً مكّارا
آية النبل أن تطيق عـــدواً ... كـيف تدعـو من غـائه مـخـتـارا

***

أنـزلـوه بكـربـلاء وشـــادوا ... حـــوله من رمـــاحـــهم أســـوارا
لا دفـــاعـــاً عن الحـــسين ولكن ... أهل بيت الرسـول صـاروا أسـارى
قـال : «مـا هذه البـقـاع؟ فـقـالوا : ... كـــربلاء فـــقـــال : ويْحَكِ دارا
ها هنا يشـــرب الثـــرى من دمـــانا ... ويثـــير الجـــمـــادَ دمعُ العَـذارى
بالمصـــير المحـــتـــوم أنبـــأني ... جـــدّي وهيـــهـــات أدفع الأقـدارا
إن خلت هذه البـــقـــاع من الأزهـ ... ـار تمسي قـــبـــورنا أزهـارا
أو نجـومـاً على الصـعـيـد تهـاوت ... في الـدياجـــيـــر تُطلع الأنوارا
تتـلاقى الأكـبـادُ من كل صـوبٍ ... فـوقـهـا والعـيـون تهـمي ادّكـارا

---

(١) الخصم : مفرد وجمع.

من رآها بكى، ومن لم يزرها ... حمَّلَ الريحَ قلبه تذكارا

كربلاء!! ستصبحين محجّاً ... وتصيرين كالهواء انتشارا

ذكرك المفجع الأليم سيغدو ... في البرايا مثل الضياء اشتهارا

فسيكون الهدى لمن رام هدياً ... وفخاراً لمن يروم الفخارا

كلَّما يذكر الحسين شهيداً ... موكب الدهر ينبت الأحرارا

فيجيء الأحرار في الكون بعدي ... حيثما سرت يلثمون الغبارا

وينادون دولة الظلم حيدي ... قد نقلنا عن الحسين الشعارا

فليمت كل ظالم مستبدّ ... فإذا لم يمت قتيلاً توارى

ويعودون والكرامة مدّت ... حول هاماتهم سناءً وغارا

فإذا أُكرهوا وماتوا ليوثاً ... خلَّد الحق للأسود انتصارا

سمعت زينب مقال حسين ... فأحست في مقلتيها الدوارا

خالت الأزرق المفضض سقفاً ... أمسكته النجومُ أن ينهارا

خالت الأرض وهي صمَّاءُ حزنٌ ... حمماً تحت رِجلها موّارا

ليتني متّ يا حسين فلم أسمـ ... ـع كلاماً أرى عليه احتضارا

«فنيت عترة الرسول فأنت ... الكوكب الفرد لا يزال منارا

«مات جدّي فانهدَّت الوردة الزهـ ... ـراءُ حزناً، وخلَّفتنا صغارا

«ومضى الوالد العظيم شهيداً ... فاستبد الزمان والظلّ جارا

وأخوك الذي فقدناه مسموماً ... فبتنا من الخطوب سكارى

لا تمت يا حسين تفديك منا ... مُهجات لم تقرب الأوزارا

فتقيك الجفونُ والهُدب نرخيـ ... ـها ونلقي دون المنون ستارا

شقَّت الجيبَ زينبٌ وتلتها ... طاهرات فما تركن إزارا

لاطمات خدودهنَّ حزانى ... ناثرات شعورهنَّ دثارا

فـــدعـــاهنّ لاصطبـــار حـــسين ... فـكـأن المـيـــــــاه تـطـفـئ نـارا

قـــال : «إن متّ فـــالعـــزاءُ لَكنّ ... الله يـعـطـي مـن جـــــوده أمـطـارا

يلبس العـقـال الحكيم لبـاس الصـبـ ... ـر، إن كـــانت الخطوب كـبـــارا

إن هـذي الدنيـــا ســحـــابة صـيـف ... ومـــتى كـــانت الغـيـــوم قـــرارا

حُـــــبّـيَ الموت يُـلبس الموت ذلاّ ... مـثلمـا يكسف اللّهـيب البـخـارا

***

وتـوالـت جـــحـــافل ابـن زيـاد ... دفـــقـــة النهـــر طاغـــيـــاً هدّارا

وأحـــاطوا بحـــفـنةٍ من رجـــالٍ ... ونســـاءٍ مـــروّعـــاتٍ حـيـــارى

وقف السـبط في العـداة خطيـبـاً ... زاده الموقف الخطيـــــر وقـــارا

قـــال : «يا قـــوم لم أجـئكم عـــدواً ... بل أمـيـــراً دعـــوتموه فـــــارا

«وذكـــرتم حق الحـــسين فـقلتم ... إنه الضـــوء بل ينيـــر النهـــارا

«وشكـوتم حـكـامكـم ونـويـتم ... أن تبـيـدوا الغـواشم الفـجّـارا

«قلتمُ يا حـــسين اقـــدم فـــإنا ... قـــد شـحطنا للظالم البـتّـارا

«قـد خـذلتم أبي، وغـيل ابن عـمي ... فنقـــضـــتم مـــودّةً وجـــوارا

«كنتمُ للظلوم خـيـــرَ المطايا ... وعلينا أشـــرعـــتمُ الأظـفـارا

«إن كـــرهتم إمـامـتي فـدعـوني ... أسلك البـر أو أخـوض البـحـارا

«لا يضـيق الحـجـاز بالسبط ضـيـفـاً ... لـو رآنـا فـي بـيـــــتنـا زوّارا

***

لـم يرد بالحـسين شـرّاً أمـيـرُ الجنـ ... ـد (فـالحـــرّ) لم يكن غـــدّارا

بل ضـعـيف مـسـخّـرٌ لعـبـيـد ... الله يهـــوى الألقـــاب والدينارا

قـــال : إني أُمِـــرت فـــابن زيادٍ ... صـــائد لـيس يُفلِتُ الأطيـــارا

سـر إليـه فـالرأي مـا يرتئـيـه ... ولعلّ النهى يقـــيك البـــوارا

«إن تعاند تمت حسينُ قتيلاً» فانظر الجيش زاخراً جرارا

وثب البساسل الأبيّ وثوب اللَّيـ ـث في القيد غاضباً زءّارا

قال يا (حرّ) لست أخشى المنايا لا وربّي لقد سئمت انتظارا

أتراني أطيع وغداً زنيماً مجَّهُ العهر إذ رمى الأقذارا

وأنا ابن الزهراء والخلد داري وأراني وقد لمحت الديارا

إنما الموت رقدةٌ وانتقالٌ وأجيء الأعاظم الأبرارا

فأرى في رفارف الخلد جدي وأبي والسلالة الأطهارا

هاج رفضُ الحسين كيد عبيـ ـد الله، فارفضّ هائجاً ثرّارا

جاش بالحقد صدره مثل دنٍّ أزبد السلسبيل فيه وفارا

هادراً مرغياً يشق ضلوع الـ ـدنّ طفراً ويصفع الخمّارا

أمر الحرّ أن يميت الضمير الـ ـحيّ فيه، وأن يشدَّ الحصارا

قال أنزِل على العراء حسيناً حيث وهجُ الرمضاء سال شرارا

حيث تنصبّ مقلة الشمس أتوناً، تراه على الرمال احمرارا

حيث لو أطلع الحسين قليباً[1] طيّرته الريح الحرور بخارا

حيث لم يأنس الصعيد بماء أو بطيرٍ تؤانس الأشجارا

حيث لا تنبض الحياة بعرقٍ غير ما تحفر الضباع وجارا

***

عُزل (الحرّ) عن قيادة جيشٍ (فعُبيدٌ) يريده جزّارا

فابن (سعد) على الجنود وليّ نمرٌ غادرٌ يقود النمارا

ساوم السبطَ ساعة فألحّ السبـ ـط أن يقطن الحجاز ديارا

فاستشار الأميرَ، هل يطلق البـ ـازيّ حرّاً، أم هل يشدَّ الإسارا

***

(١) القليب : البئر.

«قد بعثناك للقتال، أجاب الذئـ ـب، فافعل ولا تكن ثرثارا
إن أبوا أن يسلّموا، فاشحذ البتـ ـار وأغمد في الثائرين الغرارا
حطّم القوم مثلما يحطم السكّيـ ـر كأساً، والجلمدُ الفخارا
إن تمثّل بهم فمثلةُ ذئب بنعاجٍ، أو أنسرٍ بحبارى
تبقر البطن والعيون وتهتـ ـز اختيالاً وترفع المنقارا
أوطئ، الصافنات صدرَ حسين ولتحطم أضلاعه والفقارا
إنه كان قاطعاً وظلوماً وأثيماً يحرّض الثوارا
فإذا ما جبنت (فالشمر) أولى منك بالجيش فاترك الأعذارا»

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِمَ تستحلُّون دمي[1]

أبرصاً كان ثعلبيّ السمات ... أصفر الوجه أحمر الشعراتِ

ناتئ الصدغ، أعقف الأنف، ... مسودّ الثنايا، مشوّه القسمات

صيغ من جبهة القرود، ... وألوان الحرابي، وأعين الحيَّات

---

(١) كان الشمر بن ذي الجوشن رجلاً أبرص كريه المنظر، وكان يدعي المذهب الخارجي ليجعله حجة يحارب بها علياً وأبناءه : وقد تطوع للقيام بجريمة قتل الحسين إذا تردد عمر بن سعد في إنفاذها، وقد حمل شمر كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد بنفسه وهدده بقوله : إما أن تمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه، وإلا فخلِّ بيني وبين الجند، فأعلن عمر طاعته، وولى الشمر قيادة الرجالة في جيشه وشدد الحصار على القوم حتى اشتد بهم العطش. فقام الحسين واتكأ على قائم سيفه ونادى في أهل العراق بأعلى صوته : أنشدكم الله هل تعرفون أني سبط رسول الله ابن فاطمة، وأن جدتي خديجة أول نساء الأمة إسلاماً، وأن سيد الشهداء حمزة عمي، وأني الآن متقلد سيف رسول الله، معتم بعمامته، وأني ابن علي أول القوم إسلاماً، وأعظمهم حلماً، وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة، وأنه الذائد عن الحوض، وفي يده لواء الحمد يوم القيامة؟؟ قالوا : نعم صدقت في كل ما قلت. قال : إذن فيم تستحلون دمي؟ قالوا : علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشًا أو تنزل على حكم ابن زياد. وكان العباس أخو الحسين هو الذي يفاوض أصحاب عمر بن سعد، فقال له الحسين : إن استطعت أن تؤخرهم إلى غد لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وقضى ليله في الصلاة. واستيقظ الحسين بعد أن نام قليلاً في تلك الليلة الرهيبة وقال لزينب : يا أختاه إني رأيت جدي محمداً وأبي علياً وأمي فاطمة وأخي الحسن وهم يقولون : إنك يا حسين رائح إلينا عن قريب. فبكت زينب وصاحت : يا ويلتاه ! فقال : ليس لك الويل يا أخيَّة، اسكتي رحمك الرحمن. ثم جمع أصحابه وأهل بيته فقال لهم : إني لا أعلم أصحاباً أصلح منكم، ولا أهل بيت أبرَّ ولا أفضل من أهل بيتي. فجزاكم الله جميعًا عني خيراً. وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه ستراً وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل، ودعوني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري، فقال أهل بيته وأصحابه جميعاً : يا ابن رسول الله فما يقول الناس لنا، وماذا نقول لهم؟ هل نقول لهم. إنا تركنا شيخنا، وكبيرنا، وابن بنت نبينا، لم نرم معه بسهم ولم نطعن برمح؟ لا والله لا نفارقك أبداً ولكننا نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك، فقبح الله العيش بعدك. وعكفوا بعد ذلك على الدعاء والصلاة حتى طلع الصباح. فاستقبلوا النهار مستبشرين لشدة ما انطوت عليه قلوبهم من يقين وإيمان. ثم ركب الحسين فرس رسول الله وأشرف على جنود ابن زياد ووبخهم على تخاذلهم ونكثهم للعهود، وإيثارهم العبودية على الحرية، وتفضيلهم الذل على العز. وختم كلامه بهذا القول : لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا نبرماً. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر. فتقدم عمر بن سعد فرمى نحو أصحاب الحسين بسهم وقال لمن حوله : اشهدوا لي عند الأمير أني أول من ضرب بسهم. . وانهالت السهام بعد ذلك كأنها المطر.

منتن الريح لو تنفَّس في الأسـ ـحار، عاد الصباح للظلمات
يستر الفجر أنفه ويولّي إنْ يُصعّدْ أنفاسه المنتنات
ذلك المسخ، لو تصدّى لمرآة، لشاهت صحيفة المرآة
رعبَ الأمَّ حين مولده المشـ ـؤوم، والأمُّ سحنة السعلاة
ودعاه ذو الجوشن النذل شمراً لم يشمّر إلّا عن الموبقات
لم يحرّك يداً لإتيان خيرٍ فإذا هَمَّ هَمَّ بالسيّئات

***

سُرّ بالأبرص البغيض (عُبيدٌ) كسرور الذباب بالقرحات
زعم الشّمر أنه خارجيٌّ سيبيد الحسين والثأرات
كذب النذل لم يكن خارجيّاً بل عدواً للطاهرين الأباة
أي ثأر لعقرب أو لرقطاء تجيء الوليد في الغفوات
وهو في سنّ وردة لم تجاوز بعد عمر الأريج في الورقات
شيمة الشر أن يُعِدَّ لأهل الخيـ ـر حرباً موصولة الغارات
روح قايين لم تزل تمهر الأعصـ ـار عبر الزمان والبيئات

***

وتولى الخيّالة القائدُ (السعديُّ) (والشمر) قائد للمشاة
جاءك الشر يا حسين تجلّدْ فنزاع الحناجر الظامئات
لا سبيل للماء فالشمر يأبى أن يذوق الحسين ماء الفرات
باقة الزهر من رياض قريشٍ نسوةٌ كالزنابق الطاهرات
تحرم الماء والفرات مشاع للبغايا، للوحش، للحشرات
يسكب الخصب للجماد ويهمي ويفيض السخاء للفلوات
وهو يوم الحسين ذاب حناناً وتمنّى يسيل في اللهوات

صُدّ عنه الحسين فالنهر يجري ... أسود الشط دامي الآهات
يملأ المنحنى دويّاً وهدراً ... ويبث الأنين في العطفات

***

وقف الظامئ الحسين ونادى ... يا جنود العراق عُوا كلماتي
أوَليس الرسول جدّي، وأمي ... خير بنتٍ وأطهر الزوجات
«واسمها يُمْن كل فاطمة في الأر ... ض تأتي، في الأعصر المقبلات
«أمها جدتي خديجة كانت ... وردة المشرقين في السيدات
«بيتها مهبط النبوة، إذ جبريـ ... ـل يأتي بالوحي والآيات
«شهدت للرسول والجوُّ خنّـ ... ـاقٌ فكانت باكورة المسلمات
«أوَليس الضرغام حمزة عمي ... أسد الله، كاشف الكربات
«كفُّه ما تشاء سمر العوالي ... قلبه للسماح والمكرمات
«(أُحدٌ) تذكرُ الشهيد، ولا تنسـ ... ـى عريض السماط والشفرات
«أوليس الشهيد جعفر عمي ... لقّن الدهر آية في الثبات
«يمسك الراية المجيدة بالأسنـ ... ـان يأبى هوانها، في العداة
«لم يُهن راية العلى طالبيٌّ ... حَسدته الأملاك في الجنّات
أوَلستُ الحسين نجل عليّ ... وعليٌّ أنشودة للحداة
«يذكرون اسمه فتخشع أُسد البيـ ... ـد، من هيبةٍ لذاك الرفات
«أعلم الناس، أطهر الناس كفّاً ... وأعزُّ الفرسان في الصهوات
«أول المسلمين يحمل بند الحمـ ... ـد، يومَ الأشرارُ في الغمرّات
«يمنع الحوض غب هولٍ وحشر ... يوم تأتي النفوس مبتردات
«وهو مولى لكل من قال هيّا ... لفلاحٍ، ومن دعا لصلاة
أيُّ شيء أنتم فلولا جدودي ... ما عرفتم (منى) ولا (عرفات)»

ثم سلّ الحسين سيفاً عجيباً ... عرفوه لما به من شباة

نقش الخلدُ متنه سفرَ مجدٍ ... واطمأن الجلال في الفقرات

قال : هذا الحسام سيف رسول ... الله، إرثي إن تنكروا حرماتي

وأراهم عمامةً عرفوها ... أشْرقَت فوق أشرف الهامات

هالة دون قدرها تاج كسرى ... وحليّ الملوك مجتمعات

«ليس غيري في الأرض سبط ... نبيٌّ فلماذا تطفون نور الهداة

«كذبوني إذا قدرتم، فنور الشمـ ... ـس دون الوضّاء من بَيّناتي»

فأجابوا جميعهم : «قلت حقّاً ... أنت ما قلت من عُلى وصفات»

قال : «يا ويحكم إذن تقتلون السبـ ... ـط عمداً، ومن أحلّ مماتي؟»

فأجابوا : «هل تشهد النهر لَمّاعـ ... ـاً، سريعاً، كالضمّر المرسلات

«قطرة لن تنال من مِائه الجـ ... ـاري فودّع آمالك الخائبات

«ستموتون مثلما تحرق الرمضـ ... ـاءُ، في وهجها طريءَ النبات

«أو تلبّون رغبة ابن زياد ... علّكم تظفرون بالرحمات»

أمهلونا إلى غدٍ قال عبّاسٌ ... وتاهت أجفانه في الفرات

***

«ناولوني القرآن» قال حسين : ... لذويه وَجدَّ في الركعات

فرأى في الكتاب سفر عزاء ... ومشى قلبه على الصفحات

ليس في القارئين مثل حسين ... عالماً بالجواهر الغاليات

فهو يدري خلف السطور سطوراً ... ليس كل الإعجاز في الكلمات

للبيان العُلْويّ، في أنفس الأطهـ ... ـار، مسرى يفوق مسرى اللغات

وهو وقفٌ على البصيرة، فالأبصـ ... ـارُ تعشو، في الأنجم الباهرات

يقذف البحر للشواطئ رملاً ... واللآلي تغوص في اللُّجّات

والمصلُّون في التـــلاوة أشـــبـ ـاهُ، وإنّ الفـــروق بالنيَّـــات

فـالمناجـاة شـعلة من فـؤاد صـادق الحسّ مـرهف الخلجـات

فـإذا لم تكن سـوى رجع قـول فـهي لَهْوُ الشفـاه بالتـمتـمـات

إنما السـاجـد المصلّي حـسين طاهر الذيل، طيّب النفـحـات

فـتـقَـبَّلْ جـبـريلُ أثمـارَ وحي أنت حُـمِّلتـه إلى الكائنات

إذ تَـلقَّـاه جَـدُّهُ وتلاه معـجـزاتٍ ترنّ في السـجعـات

وأبـوه مـدوّن الذكـر، أجـ ـراه ضـيـاءً على سـواد الدواة

فـالحسين الفـقـيـه نجل فـقـيهٍ أرشـدَ المؤمنين للصلوات

أطلق السـبط قلبـه في صـلاةٍ فـالأريج الزكي في النسـمـات

المناجـاة ألسنٌ من ضـيـاءٍ نحـو عـرش العليّ مـرتفـعـات

وَهَمَتْ نعـمـة القـدير سـلامـاً وسكوناً للأجـفن القلقـات

ودعـاه إلى الرقـاد هدوءٌ كـهـدوء الأسـحـار في الربوات

وصـحـا غبَّ سـاعـة هاتفـاً «أخـتـ ـاه بنت العـواتك الفـاطمـات

«إنني قـد رأيت جـدّي وأمي وأبي والشـقـيق في الجنات

«بشـروني أني إليـهم سـأغـدو مـشـرق الوجـه طائر الخطوات

فـبكت والدمـوع في عينِ أختٍ نفـثـات البـركـان في عـبـرات

صـرخت : ويلتـاه، قـال : خـلاك الشـ ـرُّ، فـالويلُ من نصـيب العـتـاة»

ودعـا صـحـبـه فـخـفّـوا إليـه فـغـدا النسـر في إطار البـزاة

قـال : «إني لقـيت منكم وفـاءً وثبـاتًا في الهـول والنائبـات

«حـسـبكم مـا لقـيـتمُ من عناءٍ فـدعـوني فـالقـوم يبـغـون ذاتي

«وخـذوا عـترتي، وهيـمـوا بجنـ ـح الليل، فـالليل درعكم للنجـاة

«إن تـظلُّوا مـعـي فـإنَّ أديم الأرض هـذا يـغـصُّ بـالأمـوات»

***

هتفوا : «يا حسين لسنا لئاماً ... فنخلّيك مفرداً في الفلاة
«فتقول الأجيال ويل لصحبٍ ... خلّفوا شيخهم أسير الطغاة
«فنكون الأقذارَ في صفحة التأريـ ... ـخ، والعارَ في حديث الرواة
«أو سباباً على لسان عجوزٍ ... أو لسان القصّاص في السهرات
«يتوارى أبناؤنا في الزوايا ... من أليم الهجاء واللعنات
«سترانا غداً نشرّف حدّ السيـ ... ـف حتى يذوب في الهبوات
«يشتكي من سواعدٍ صاعقاتٍ ... وزنود سخيَّة الضربات
إن عطشنا فليس تعطش أسيـ ... ـاف تعبُّ السخين في المهجات
لا ترانا نرمي البواترَ حتى ... لا نُبقّي منها سوى القبضات
«ليتنا يا حسين نسقط صرعى ... ثم تحيا الجسوم في حيوات
وسنفديك مرّة بعد أخرى ... ونضحّي دماءنا مرّات

***

أصبحوا هانئين كالقوم في عـ ... ـرس سكوتٍ معطّل الزغردات
إن درع الإيمان بالحق درعٌ ... نسجته أصابع المعجزات
يُرجعُ السيف خائباً، ويردّ الرمـ ... ـح، فالنصل هازئٌ بالقناة
مثلما يطعن الهواءَ غبيٌّ ... فيجيب الأثيرُ بالبسمات
يغلب الموتَ هازئ بحياة ... لا يراها إلّا عميق سبات
فاللبيب اللبيب فيها يجوب ... العمر، في زحمة من التـرّهات
ويعيش الفتى غريقاً بجهل ... فإذا شاخ عاش بالذكريات
ألَمٌ في شبابه، فمتى ولّى فدمـ ... ـع الحرمان في اللفتات
إن ما يكسب الشهيد مضاءً ... أمل كالجنائن الضاحكات
فهو يطوي تحت الأخامص دنيا ... لينال العلى بدهرٍ آت

***

واعتلى صهوة الجواد جواداً ... أخذته العيون بالنظرات

حمل الجدّ قبلهُ، فكأن الـ ... ـرج حصنُ الإباء والعظمات

أشرف الفارس العجيب على ... جيش خميس معدّد الرايات

زائراً كالهصور يخرج من خـ ... ـدرٍ، أحاطت به قسيّ الرماة

قال : «يا فضلة النّفايات جاءت ... كالجراثيم من شتيت الجهات

«لم تكونوا إلّا عبيداً تبارت ... تلثم النعل في حذاء العاتي

«لا يطيب العيش الأبيّ لعبدٍ ... كان رهن العِصيّ والصفعات

«قد أردناكم أباة نفوسٍ ... فارتميتم ذباب قاذورات

«وتألبتُم علينا وخنتمُ ... وعبدتم نسل الطغاة الزناة

«فابن مرجانة أطعتم وخِلْتم ... نجل بنت الرسول فرخ قطاة

«لا يموت الحسين إلّا هصوراً ... لن يموت الحسين مسوت الشاة

«والذي سيد الحسام أبوه ... لا يعدّ المنون في الموبقات

«إن صدراً يستهدف الحق صرفاً ... ليس يخشى طعن القنا والظبات»

***

فوّق السهم للنحور ابنُ سعد ... رامياً في الصدور واللّبّات

قال : «يا معشر الجنود اشهدوا لي ... إنني مضرم السعير بذاتي»

ربَّ كلبٍ لا ينبري لنباح ... لو درى أنه عديم الرعاة

يلمح الخبز إذ يهرّ ويعوي ... فيكون النباح للكسرات

الوقيعة[1]

خفق السهل رعدة واضطرابا ... فالكنانات ملّت النّشابا

ورمته إلى النحور بريداً ... دمويّاً وقاتلاً خضّابا

السهام العطاش أردت عطاشاً ... والنجيع الكريم هَلَّ انسكابا

فأجاب الشوسُ الميامين بالنشّـ ... ـاب نثراً وبالحسام ضرابا

يا رجال الحسين قال حسين ... ظمئ السيف فامحضوه الشرابا

لا تهينوه بالأطاريف يبريها، ... فسعهدي به يحب الرقابا

وجرى في معسكر ابن زياد ... ما أثار العيون والألبابا

ذاك أن الغضنفر (الحرّ) عاف ... الجيشَ وانضم للحسين وتابا

«يا ابن بنت الرسول عفوك عني ... فأنا الغِرّ قد ضللت الصوابا

---

(١) بعد أن التحم العراك بين الفريقين. عاد الحر بن يزيد إلى صوابه وارتمى بين يدي الحسين نادماً وقال : عفوك عني يا ابن بنت الرسول جعلت فداك فعفا عنه الحسين عفو السري الأثيل. وقاتل الحر قتالاً شديداً، فعقر فرسه فقاتل راجلاً. ولما أثخنته الجراح حمل إلى الحسين فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : أنت الحر كما سمتك أمك حراً في الدنيا والآخرة. وتبارى الأبطال من الجانبين فظهر أصحاب الحسين فأشار بعض أعدائهم بترك البراز ورشق النبال، فانصبت السهام على رجال السبط من كل جانب. فأخذوا يهوون واحداً تلو واحد ولما لم يبق مع الحسين سوى أهل بيته خرج ابنه علي وكان فتى في التاسعة عشرة من العمر من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً فاستأذن أباه في القتال فأذن له وانهملت عيناه بالدموع. وقاتل الفتى قتالاً شديداً، ثم رجع إلى أبيه وقال : يا أبت العطش قد قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل من سبيل إلى شربة ماء أتقوّى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين وقال : واغوثاه يا بني من أين آتي لك بالماء. قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً، فيسقيك بكأسه شربة لا تظمأ بعدها أبداً، فرجع إلى القتال وكان أول قتيل من آل الرسول. وقطعه الأعداء بأسيافهم فجاء الحسين حتى وقف عليه فقال : قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الرحمن. ولما رأى القاسم بن الحسن وكان فتى في الرابعة عشرة من العمر ما حلّ بابن عمه علي، خرج وفي يده سيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع إحداهما وشد عليه رجل من الأعداء فضرب رأسه بالسيف ففلقه. فوقع الغلام لوجهه صارخاً يا عماه. فبكى الحسين وحمله على صدره وجاء به حتى ألقاه بجانب ابنه علي أمام الفسطاط بين القتلى من أهل بيته.

«ردني الله للهدى بعد غيّ ... وأراني وقد مزقت الحجابا

«سقتكم للعراء، للفدفد المغمـ ... ـور، ظُلْماً وفِرية واغتصابا

«فأطعت المنافق ابن زيادٍ ... وسقيت الحسين مرّاً وصابا

ضلّ سمعي عن الهزار المغني ... أو تعاميت فاتبعت الغرابا

يا ابن بنت الرسول عفوك عني ... خضّل الدمع لحيتي والثيابا

سوف أمحو إساءتي بدمائي ... ليس مثل الدماء تغسل عابا

بعد ما أُشبعُ الرديني طعناً ... وتعود القناة نثراً هبابا

ويقول الحسام للغمد ودّعني، ... فلن أرتضيك بعد قرابا

سوف أبقى في راحة (الحر) مسلـ ... ـولاً فإن غبت في المفاخر غابا

فأجاب الحسين : «يا حرّ لا تجزع ... فإن الكبير ينسى العتابا

«نحن أهل الرسول أورثنا جدّ ... ـي صدوراً على الخطوب رحابا

«حسبنا دمعةُ الندامة نزجيـ ... ـها، إلى الله قُربَةً واحتسابا

«دمعة تغسِل القلوب وتجلوها ... كما يصهَر الشعاع الضبابا

«يغفر الله ما أتيت، فطب نفـ ... ـساً ولا تلبس الهمومَ ارتيابا»

***

زمجر الفارس الذي يقطع الفرسا ... ن رعباً ان جرّد القرضابا

واستوى فوق أبلق، في قَتام النقـ ... ـع، يجري على الصعيد شهابا

من رآه، لا ريب، يوقن أن ... الله قد أبدع الخيول عِرابا

ومشى عنترُ العراق إلى الأبطا ... ل ليثاً يمد ظفراً ونابا

وتنادوا إلى البراز فشالت ... كِفَّةُ الخائنين (والسعد) خابا

ليس من ينشدُ البرازَ أجيراً ... كشهيدٍ صوتَ السماء استجابا

من يبارز من أجل سبط رسول ... الله يستشعر الجراح عِذابا

فـــإذا لم يجـــد لديه نُصـــولاً ... من ضلوع الأحناء سلّ الحـــرابا

«انضـــحـــوهـم بالنبل لســـتم بأكـــفـ ... ـاء، ينالون في البـــراز الرغـــابا

«أمطروهم ســـهـــامكم ديمة وطفـ ... ـاء تنصَبّ في الجســـوم انصـــبـــابا»

قـــالهـــا منهمُ خـــبـــيـــر أريب ... شـــاهد الأُســـد كـــيف تردي الذئابا

فـــأرنّت ســـهـــامـــهم كـــأزيز الريـ ... ـح نكبـــــاءَ تصـــــفع الأبـوابا

وأصـــابت خـــيـــول ركب حـــسين ... فـــتـــهـــاوت تجـــدّل الركَّـــابا

أبلقُ الحـــرّ عـــاد شـــبـــه كـــميتٍ ... فـــجَّـــر النبل نحـــره مـــيـــزابا

راجـــلاً كـــر باسلٌ لم يفـــارق ... في الميـــادين صـــهـــوة وركـــابا

لا يضـــيـــر العـــقـــابَ أن تنزل الغـــبـ ... ـراء، (فـــالحـــرّ) لا يزال عـــقـــابا

لـم تنـلـه البـــــــزاةُ تـنـقـضّ أفـ ... ـراداً فـــخـــفّـــوا لقـــتله أســـرابا

أخـــذته الســـيـــوف أخـــذ فـــؤوس ... تضـــربُ الجـــذع إذ تروم احـــتطابا

يا ابن بنت الرســـول قـــال وداعـــاً ... قـــد غـــسلت الآثام! قـــال. وغـــابا

وتهـــاوى الكرام حـــول حـــسينٍ ... بعـــد ضـــربٍ راع الحـــضـــيض فـــشـــابا

ســـقطوا كـــالجذوع في الغاب صـــرعى ... لـم تغـــادر هوجُ الزعـــازع غـــابا

بقـــيت دوحـــة الحـــسين فـــويلٌ ... للذي يهـــصـــر الغـــصـــون الرطابا

عـــصـــفت نخـــوة النبـــوَّة في صـــدر غـــضـــيض فـــألهـــبـــتـــه التـــهـــابا

جلجلت نفس حـــيـــدر في حـــفـــيـــد ... ألبـــســـتـــه شُـــقـــرُ الورود إهابا

في بهـــــاء الربيع يطلع بســـّـ ... ـامـــاً، ويفـــتـــرُّ زنبـــقـــاً ومـــلابا

تلثم الشـــمس وجـــهـــه وتمنّى ... لو حـــبـــاها من حـــسنه جلبـــابا

أشـــبـــهُ الناس بالرســـول فـــمـ ... ـن ينظر عليّـــاً يظنُّ أحـــمـــد آبا

حلَّ في صـــهـــوة الجـــواد ونادى ... من يفـــدّيك يا أبي لن يهـــابا

يوم ســـمـــيـــتني عليّـــاً حـــسبـــت ... الطفل ينمـــو كـــجـــدّه غـــلّابا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فَلِعَينيك يا أبي أضرب الفرسـ ـان، أبني من الرؤوس القبابا

إن يفتني من جدّيَ النجدِ بأسٌ بعضه يلجم الأُسود غضابا

وبيانٌ يستوقف الدهرَ حتى ليراه، بعد الكتاب كتابا

لم يفتني دم الأعاظم وثّابـ ـاً إذا، فاخر الأباة انتسابا

قال واستقبل الصفوف هماماً كعليٍّ يمزّق الأحزابا

رضي المجد عن فتى شرّف البتّـ ـار ضرباً وأبهج الأحسابا

هدّه الظمءُ، والبراعم دون الجذع صبراً، إنّ فادحُ الخطب نابا

يا أبي قال قد عطشت فهل ماء؟ فإن لم يكن شربت السرابا!

آه لو قطرة تعيد إليَّ الريق! أو في الخيال ألقى الحبابا

فبكى الوالد اللهيف وقال اليوم تلقى الرحيق والأكوابا

فتلاقي محمداً وعليّاً يا لجدين يعلوان السحابا

قد حُرمت الفرات ماءً كثيراً وستسقى شهد الجنان مذابا

إنها جولة العلى، ولك (الطوبـ ـى) تدلي غصونها أعنابا

مت كريماً بُنيَّ إني على إثـ ـرك ماضٍ فلن أطيل الغيابا

أخذته رماحهم، غير مذمـ ـومٍ، فقد كدّس العداةَ هضابا

وتلاقت سيوفهم في الخزام الغض تفري وتقطع الآرابا

وأكبَّ الحسين يلثم نجلاً ودّ لو مات قلبه أو ذابا

يا قتيلاً ولم يغسّل بماءٍ جاءك الدمع لاهباً تسكاباً

يا قتيلاً ولم يضمّخ بعطرٍ إنَّ دمعَ الحسين عطر طابا

لو تهامى على الورود العذارى لسقاها، وأخجل الأطيابا

مصرع الشبل هاج قلب صبيّ لم يجرّد لفتكة قرضابا

عمره عمر وردة لم تفتّح بعد أغصانها فتدفع آبا

عـمـرهُ عـمـر غـادةٍ توشك الأبصـ ـار تلقي في خـدها العنَّابا
لم يعـوّد بنانهـا بعـدُ أن يرخـ ـي نقـاباً أو أن يزيح نقـابا

***

حـمل السـيفَ قـاسمٌ وهو يدري أنـه يطـلب المنـون غـلابا
شُقَّ رأسُ الفـتى بضـربة نذلٍ فـجَّـرت مـقلة الخـزام اكـتئـابا
خـجل السـيف حين لامس رأساً يجـرح الطرف بعـضـه لو أصـابا
حـسب من يقـصـد الحـيَّ بجـرح أن يحـدّ الأجـفـان والأهدابا
صـاح عـمَّـاه وارتمى يتنزّى تفـحص الدمّ رجلُه والتـرابا
كـالحـمام الصبيـر، يرقص مذبوحاً، فـيلقي على البـياض خـضـابا[1]
ضـمَّـه عـمُّـه إلى الصـدر ضمّ النسـ ـر للفـرخ إذ يموت مـصـابا
«يا حـبـيب الحـسين قـال حـسين كـيف تدعـو ولا أردّ الجـوابا
«عـجَـبـاً للزمـان يطعن أهل البيـ ـت غـدراً ويسـتـحبُّ الكلابا»
بـل ذيول الكـلاب فـابن زيادٍ شـامـهم في كـلابه أذنابا
بـرئ الـديـن والـعـروبة منـهم إن يعـدّوا جـدودهم أعـرابا
إنَّ خَـفْـرَ العـهـود والغـدر بالجـيـ ـران عـارٌ مـا لـوّث الأطنابا
لو درى يعـرب وغُـرّ بنيـه أنهم تاركـون نسـلاً كِـذابا
لاصطفـوا عـزلة الرهابين، أو ماتـ ـوا على حـرقـة الهـوى، عُـزّابا

(١) الحمام الصبير : الحمام الأبيض.

الساعة الرهيبة[1]

كسر النسر طرفَه إعياء ... بعدما قرّح الجفون بُكاء

لو أصاب الفراتَ رزءُ حسين ... لانطوى النهر كالرداء انطواءَ

---

(١) وجلس الحسين بجانب الفسطاط وفي حجره ولده عبدالله وهو طفل، فرماه رجل من بني أسد بسهم شق نحره. فتلقى الحسين دمه في كفه ثم صبه في الأرض وقال : يا رب إن تكن حبست عنا النصر فاجعل ذلك لما هو خير منه. وأخذ أولاد علي وعقيل يهوون صرعى واحداً بعد واحد، واشتد العطش بالحسين وركب المسناة يريد الفرات وبين يديه أخوه، فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم فارس من بني دارم، فقال لهم : ويلكم لا تمكّنوه من الماء. فقال الحسين : اللهم أظمئه. فغضب الدارمي ورماه بسهم أثبته في حنكه، فانتزع الحسين السهم وبسط يده تحت حنكه، فامتلأت راحتاه فرمى به ثم قال : اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك. وتقدم إليه شمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه. فأحاطوا به فأسرع منهم رجل يقال له مالك بن النسر الكندي فشتم الحسين وضربه على رأسه بالسيف، وكان عليه قلنسوة فقطعها حتى وصل إلى رأسه فأدماه. فامتلأت القلنسوة دمًا، ورجع عنه شمر ومن كان معه إلى مواضعهم. ثم عادوا إليه وأحاطوا به. فخرج إليهم عبدالله بن الحسن وهو غلام لم يبلغ الحلم حتى وقف إلى جانب عمه. فلحقته زينب، فقال لها الحسين : أحبسيه يا أختي. . فأبى وامتنع عليها امتناعًا شديداً وقال : والله لا أفارق عمي. وأهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف فاتقاه الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا يده معلقة، ونادى الغلام : يا أماه، وسقط. ولم يبق في المعركة سوى الحسين فدعا بسراويل يمانية لبسها لكي لا يسلبها بعد قتله، فيبقى عارياً. ولكن بحر بن كعب سلبه إياها وتركه مجرداً. بقي الحسين وحده وقد أثخن بالجراح في رأسه وبدنه فجعل يضربهم بسيفه وهم يتفرقون عنه يميناً وشمالاً فقال حميد بن مسلم : والله ما رأيت مكثوراً قط قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جنانًا منه. كانت الرجالة لتشد فيشد عليها بسيفه، فتنكشف انكشاف المعزى إذا شد عليها الأسد. فلما رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن، استدعى الفرسانْ فصاروا في ظهور الرجالة وأمر الرماة أن يرموه فرشقوه بالسهام حتى صار كالقنفذ. وخرجت أخته زينب إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبي وقاص وقالت : ويلك يا عمر ! أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟ فلم يجبها عمر بشيء. فنادت ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد بشيء. ونادى شمر بن ذي الجوشن الفرسان والرجالة فقال : ويحكم ما تنتظرون بالرجل ثكلتكم أمهاتكم. . فحملوا عليه من كل جانب. فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى فقطعها، وضربه آخر منهم على عاتقه فكبا منها لوجهه، وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح فصرعه، وبدر إليه خولي بن يزيد فنزل ليحتز رأسه فأرعد، فقال له شمر : فت الله في عضدك ما لك ترعد؟ ونزل إليه فذبحه ثم رفع رأسه إلى خولي بن يزيد. فقال : احمله إلى الأمير عمر بن سعد. ثم أقبلوا على ثياب الحسين فسلبوه إياها. وانتدب عمر بن سعد عشرة فرسان داسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره، وسرح الرؤوس يوم عاشوراء إلى عبيدالله بن زياد فبعث بها مع شمر بن ذي الجوشن وأضرابه، وكان عددها اثنين وسبعين ما عدا رأس الحسين.

ولغـــاضت شطآنه واســـتطار الرمـــ ـلُ، في خـــاطر الأثيـــر، هبـــاء
شـــرّدوه عن وكـــره ورمـــوه حـيث يستـوحش العـراءُ العـراء
وتبـــارى الرمـــاة يرمـــون نســـراً حُـــرم القـــوتَ حلقُـــهُ والماء
حـــرمـــوه إخـــوانه وبنيـــه نشـــروهم على الثـــرى أشـــلاء
ها هنا من فـــراخـــه بعض ريش وهنا التـــربُ يلفظ الأحـــشـــاء

***

حـــضن الطفلَ نجلَه، وهو عـــبـ ـد الله، عـبـدٌ ضمّـوا إليـه السـماء
جـــدّه شـــرّف العـــروبة قـــدراً واســمـه الفـخم، شـرّف الأسـماء
ضـــمَّـــه الوالد اللهـيف، لعلّ الحـ ـبّ يقـصي عن الصـغـيـر العناء
أيُّ طفل؟ كـــأنه الوردة الحـــمـ ـراء جـــفَّت، لم تشـــرب الأنداء
في صـفـاء الشـمع المذاب جـبينٌ كلّمـا الحلم مـاج فـيـه أضـاء
ســـرحت أنملُ الحـــزين بشـــعـ ـر فكأن الحـــسين مسّ ذُكـــاء
خُـصَل من أشـعـة الشـمس سـالت وتهـامت ضـفـائراً شـقـراء
وكـــأن الذوائب الشـــقـــر أضـ ـواء، تؤدي إلى الحـــزين العـــزاء
وإذا في الفـضـاء سـهم يصكُّ السـمـ ـع صكّاً ويجـــرح الأصـــداء
حـسِبَتْـه العـيـون نفـثـةَ بركـ ـانٍ تبـــدّت شـــرارة ســـوداء
شقَّ نحـــر الذبيح فـــاندفق المرجـ ـان، يكســـوه حلّة حـــمـــراء
مـهـجـة البـرعم الرضـيع تلقّـ ـاها حـسين، بكفّـه، أجـزاء
قلبـــه ســـال في يديه فـــلا يـ ـدري أقلبـــاً أراقـــه، أم دمـــاء
روّعـتـه الجـفـونُ، مسـبلةَ الأهداب كـــالزهـر إذ يموت انـطـفـاء
ذلك الفـــجـــر لم يُمـــتَّع بصـبح وقُـبَـيل الصـبـاح لاقى المسـاء
جفَّ دمع الحـــسين، والماء لا يبـ ـدو إن الأرض أصـبـحت رمـضـاء

مُلجِمُ الدمع، يلجم النار في الأجفان تشتد زفرة وصلاء
إنما حرقة الكآبة أقوى حين تبقى كآبة خرساء

***

وتهاوى النسور ولُدُ عليّ فاستماتوا أشاوساً كبراء
ثبتوا في العراك لا يأملون النصر، لكن ضحية وافتداء
علّموا الدهرَ بعدهم كيف تفنى أخوةٌ تشرب الردى بسُلاء
سطّروا بالدماء صفحة مجدٍ غمروها محبةً وإخاء
هلّلت روح هاشم من وراء الغيب تدعو الجحاجح الأمراء
وكأن الروح الكبيرة قالت بعدما أنصت العلى إصغاء
يا بني هاشم نعمَّا فعلتم وهززتم أعطافنا خيلاء
إن تنلْ منكم السيوف لقد نالت كراماً، أعزة، نبلاء
ظمئت في مراتع الذل فاشتاقت ظباها مروءة وإباء
ما هويتم إلا عقيب قتال فرش السهلَ منكم أشلاء
فتبعتم أعضاءكم للمنايا شيمة الجسم يتبع الأعضاء

***

ويقول العبَّاس للسبط هيَّا ننزل الماء لن نموت ظماء
همّ أن ينزل الفرات فنادى دارميٌّ يا ويحكم جبناء
«امنعوه المياه يهلك» فإن الرمـ ـل يشتاق في الهجير شواء
«يا إلهي أظمِئْهُ قال حسين «وليذق فائر الجحيم جزاء»
يحرق المهلُ كبدهُ وعلى النيـ ـران عريان يسحب الأمعاء
غضب الدارميّ فاستلَّ سهماً زاده البغضُ حدَّةً ومضاء
سلّه من كنانة تلمع الأنـ ـصال فيها أسنةً زرقاء

ورماه، فرنّ في مسمع الشيطـ ـان سهم تقمَّص البغضاء
فاستعاذ الهواءُ من سهم نَذْلٍ لوّث الأرض سهمُه والهواء
وأصاب الحديدُ وجه حسينٍ فأصاب التفّاحة الزهراء
فَرّقَ اللؤلؤَ النظيم من الأسنـ ـان، فاسترسل العقيقُ غشاء
نزع النصلَ بالأصابع والصنـ ـديدُ يضفي دماءه حنّاء
جُرح السبط، والدم السمح لم يردع لئاماً زعانفاً أعداء
لم تُنوّر دماءُ فاطمة الزهـ ـراء منهم نواظراً رمداء
أو قلوباً تراكم الشرُّ فيها فاستحالت حجارةً صمَّاء
كل ذنبٍ يمدّها في دَجِيّ الإثـ ـم مَدّاً، وفي العماء عماء
مات وجدانها فلو نام نوماً لصَحا من دجى الضلال وفاء
لرأى في الجراح مهجة طه و(حُنَيناً) (وخيبراً) (وحِراء)
منظر الدمّ ليس يلجم سرحـ ـالاً، ولكن يزيده إغراء
يوقظ الناب والمخالب فالمجـ ـروح يوحي إلى الذئاب الضراء

***

وأتاه الكِنديُّ يضرب رأس السبـ ـط، يفري العمامة الشماء
فيشقُّ الحسام فروة رأسٍ لو علت منكب السماء لناء
بادَ صَحب الحسين إلا غلاماً يُخجِل الطلّ رقّةً وسناء
يا شفار السيوف رفقاً بعبـ ـد الله، يفترُّ وردة بيضاء
فرّ من خيمة النساء، وجاء العـ ـمَّ يفدي، فما أجلَّ الفداء
يولد الطالبيّ شهماً، فإن يصبـ ـح غلاماً توقّلَ الجوزاء
نفست عمة الصبي على الموتـ ـى بضيفٍ لم يُثقل الغبراء
يجرح الضوءُ خَدَّهُ، ويُشيع اللحـ ـظُ في رَيّق الجبين الحياء

لو أتى الورد قـاطفـاً، لتـحـامى الشـ ـوك أن يخـدش الفـتى الوضـاء
أو أتى النهـر في الضـحى مـستـحـمّـاً نثـر الدوحُ لـلحـيـيّ الغـطاء
حـاولت زينب تصـدّ فـتـاها من يصـدُّ الفـتـوَّة الهـوجـاء
احـبـسـيـه قـال الحـسين. فلم تفلـ ـح. وزادت عـلـى الـلـظـاء لـظـاء
قـال إني أمـوت في ظلّ عـمّي بعـد عـمّي أرى الحـيـاة عـفـاء
خفّ نحـو الحـسين (بجـر بن كـعب) يضـرب السـبطَ ضـربة نكراء
فـوقـاه الصـبي بالكفّ، غـارَ السـيـ ـف فـيـهـا فـأصـبـحت جـرداء
علقت بالإهاب كـالغـصن مـقطو عـاً، عليـقـاً بقـشـرة غـضـراء
رامـهـا الطالبيّ للعم ترسـاً فـدحـاهـا سـيف العـدو لواء
صـاح : أمـاه ! لم يزد. فكأن الفـ ـرخ، في يقظة المنون تصـاءى
أصـبح السـبط مـفـرداً بين أمـ ـواتٍ، وكـانوا غـصـونه الخـضـراء
دوحـة في العـراء تلفـحـهـا الرمـضـ ـاء والريح صـرصـراً نكبـاء
مـا له في الذكـور غـيـر (علي) طفله مـدنفـاً يصـارع داء
حـوله نسـوةٌ جـيـاعٌ ثكالى كل أنثى تقـمَّـصت خنسـاء
نظر السـبطُ للخـيـام طويلاً مـسـتـمـيـتـاً يودِّع الأحـيـاء
فـارتدى حلّة الممـات سـراويـ ـلاً، يمـانيَّـةً تـنـاهـت رواء
يتَّـقي العُـريَ والهـوان عـقـيب المـ ـت، يُضـفي على القـتـيل الكسـاء
هاجـمـوه، فـقـبَّل السـيف إجـ ـلالاً لذكـرى أشـاوس عظمـاء
ذكـر الجـد والأب الفـارس المغـ ـوار، فـاهتـز سـيـفـه كـبـرياء
قـال : يا ذا القـفـار آيدْ يميناً لم تُعـوَّدِ إلا العلى والسـخـاء
تتـغنَّى بهـا الحـداة افـتـخـاراً فـتـورّي سـيـوفَـهم والحـداء
كـيـف آتي أبي ولم أُلبس البـيـ ـداء مـجـداً، وأشـبع الدقـعـاء

فيراني عبر الجنان ويغضي ... ويولّي عن نجله استحياء

قال : وانقضّ هيصراً[1] يطلب ... المعزى، فيردي تيوسها والجداء

يطلب الأقرن الشديد فلا يسطـ ... ـو بعنزٍ ضعيفة جمّاء

منذ صار الحديد نصلةَ سيفٍ ... أو سناناً لصعدة سمراء

لم يشاهد مثل الحسين شجاعاً ... وصبوراً يغالب الأسواء

ظامئاً، ثاكلاً، لهيفاً، جريحاً ... في عدوٍّ يكاثر الدأماء

صانك الله ذا الفقار فكم فلّقـ ... ـت درعاً، وكم هدمت بناء

تستفزُّ الحسينَ للضربة النجـ ... ـلاء تغري بضربةٍ عصماء

صنت عهداً للطيبين جدوداً ... لم تعكّر مودّة وولاء

عجباً للحديد يذكر عهداً ... ورعاعٍ يستغربون الوفاء

صفوةُ الأكرمين في كل عصرٍ ... ضمروا في ديارهم غرباء

فالجماهير تخنق العبقريَّ ... الحرَّ خنقاً وتعبد الغوغاء

في ركاب الرعيان يمشي قطيـ ... ـع الشاء، ويلٌ لمنْ أضلّ الشاء

يسمعون العواء صدح هزارٍ ... حين تسترسل الذئاب عواء

***

حصد السيف كل أحمق جاء ... السبطَ فالميتة القريبة جاء

لم يخيب إرثُ الرسول حفيداً ... حسبه أن يهزَّه إيماء

لا سبيل إليه إلّا سهام ... فتنادوا وأمطروه البلاء

نثروها كما الرياح السوافي ... تستقلّ الرمال والحصباء

أنصلاً يطلقونها من بعيدٍ ... فترامى في جسمه عمياء

كان ورداً، بدون شوك، فراح الشـ ... ـوك يخفي من الورود البهاء

---

(١) الهيصر : الأسد.

كـــان نســـراً بدون ريش فـــصـــار ... الـريش وقـــــراً يـحطّم الأحـنـاء

فـتح الرملُ قلبـه مـســتـهـامـاً ... يتـلقّى من الحـــسين الدمـــــاء

يستـبـيـه الدمُ النفـيس، كـسـمط ... الدرّ يغـري الصـيـارف البـخـلاء

يـتـلـقـى دمـــــــاء طـه كـنـوزاً ... سـائلاتٍ فـتـسـتـفـيض ثراء

ويبـــاهي في الأرض، كل بقـاع الأر ... ض، حـتى يكاد يغـزو السـمـاء

ويبـــاهي فكل حـــبَّـــة رملٍ ... دونهـــا حليـــة الملوك غـــلاء

دونهـــا تربة العـــراقين والزوراء، ... من بعـــد مـــا غـــدت زوراء

ولآلي زبيـــدة وجـــبـــال التـبـــر ... تمشي لـتـــــــرفع الـزبّاء[1]

***

نظر الشـمـر مـا به من شـحـوبٍ ... فـرآه يكاد يهـوي عـيـاء

كـإناءٍ أفـرَغـتَـهُ، فـهـبـوب الريـ ... ـح يلوي، إلى الصـعـيـد، الإناء

أو كـسُـوق السنابل الهِـيف جـفَّت ... فـغـدت بعـد نضـرة حـصـداء

صـوّحت في الهـجـيـر سنبلةُ ... الخـيـرات لاقت قطيـعـة وجـفـاء

فـبـدت في الشـحـوب سلك نضـارٍ ... يتـهـاوى في بقـعـةٍ ربداء

***

صـاح شـمـرٌ بالناس هيَّـا اقـتلوه ... أتراكم أصـبـحـتمُ رحـمـاء

قـام بالسـيف زرعـة بن شـريكٍ ... شـرّ من أنبت الورى لؤمـاء

ضـرب الكِتْفَ والتـرائبُ حنَّت ... كـحنين الناعـور يُرخي الدّلاء

ندّ عن دوحـة الأكـارم غـصن ... دونـه كـل روضـةٍ غـنـاء

وتـلاه بطـعـنـة (نُـخـعـيٌّ) ... فـأطَنَّت فـقـاره والصـلاء

تبـعـتـهـا شـفـارهم تتـوالى ... كـالزنابيـر تطلب الحلواء

مـالت الدوحـة الرفـيـعـة فـانهـا ... رت قـواها وهزّت البـيـداء

---

(١) الزباء : زينب ملكة تدمر.

وانبرى الشمر يذبح السبط ذبحاً ... ليت كانت يمينه شلاء

فصلَ الرأسَ عن قتيل شهيدٍ ... فعن الشمس قد أزال الضياء

يبتغيه هدية لعُبيد ... الله يرجو نواله والثناء

هامة السبط في الغنائم تهدى ... لخليع يدنّس الخلعاء

لابن مرجانة! كذلك يحيى[1] ... قرَّبوا رأسه إلى رقطاء

فإذا لم يكن (عُبَيدٌ) بغيّاً ... فلقد كان للنفوس بغاء

ويلكم يا عصائب الشرّ ... أولاد الثعابين تلسع الأبرياء

لا تصلّي إلاّ رجاءَ نوالٍ ... وتصلّي فتذبح الأنبياء

قد نقعتم صفيحة الأرض سمّاً ... وطليتم وجه الزمان رياء

***

جَرَّدوهُ من الثياب وضنُّوا ... أن يبقُّوا على الحسين غطاء

فابن بنت الرسول عريان، والأبـ ... ـرادُ تكسو الفجَّار واللُّقطاء

نزعتها عن الشهيد لصوص ... ولُدُوا يوم أُسقِطوا أدنياء

أوطأوا الخيل ظهرَه فاستعاذ الصلـ ... ـبُ وانقضَّت الحنايا التواء

سخَّروا يوم قتله كل شيءٍ ... سَخَّروا الماء، سخَّروا العجماء

أنِعالُ الأفراس داست حسيناً؟ ... يا ابن (سعد) هلّا قضيت حياء

ما كفاهم سلب الحسين فراحوا ... يسلبون المخدّرات النساء

ربَّ أنثى تستَّرت برداءٍ ... واستغاثت فجاذبوها الرداء

تتهاوى على الجُدالة ظمأى ... ردّها الجوع صورة عجفاء

هدّها مصرعُ النسور فذابت ... في الشرارات شمعة صفراء

***

(١) يحيى هو يوحنا بن زكريا الذي قطع هيرودس رأسه وقدّمه لراقصة فاجرة.

زينب الطُّهرِ والبهاء، أفاض ... الله فيها من السماء البهاء

بنت بنت الرسول جمَّلها البا ... ري فصاغ الخميلة العذراء

أخذت حكمة الرجال فردّت ... ما رواه الرواةُ عن حواء

لو رأتها حواء في الغيب لارتـ ... ـدّت إلى الرشد حشمة وإباء

إيه أخت الحسين بنت عليّ ... حُمِّلت ما يزلزل البطحاء

أقسم الدّهرُ أن ينالَك بالأر ... زاء حتى يستنفد الأرزاء

نال قلبَ الزّهراء منه كلوم ... وهو ما انفك يجرح الزّهراء

فاصبري فالحياة دار عذابٍ ... حسبك الخلد جنَّةً فيحاء

كل أيامها ربيعٌ مقيمٌ ... يكسف القَيظَ بَهْجُهُ والشّتاء

***

عُصبة الشَّرِّ رحمةٌ بالسبايا ... أبناتُ الرسول صارَت إماء

يشتكين العراء والظّمء والأسـ ... ـواء، والثكل والجوى، والحفاء

قد أبدْتم رجالهنَّ وكانوا ... في شراعٍ بين النجوم تراءى

أنتم سقتموهُ للبحر صَخَّا ... بابًا ومزّقتم الشراعَ افتراء

ونبذتم ربّانه في عباب ... اليمّ فرداً لا يبلغُ الميناء

كلما حاول الرسوّ غدرتم ... ومنعتم شراعه الإرساء

زورق في الرياح، في غضبة الآذيّ، يجري فيلطم الأهواء

لا سبيل إلى الرجوع، ولا ثغـ ... ـرٌ وفيٌّ يظلُّهُ إيواء

ودفعتم به إلى القعر يهوي ... هكذا النّمرُ يكرم النزلاء

فنَجَتْ حفنة من النسوة الغرقـ ... ـى وطفلٌ تبغونهم أسراء

عصبة الشرّ بئْسَ سبَّة الأزمـ ... ـانِ ما دامت السماء سماء

أنتم الخسَّة التي تطلع الأقـ ... ـذارُ منها فتستحيل رياء

لست أهجوكم فإن سهام النقـ ـد تجري فتجرح الوجهاء
وأراكم قذارةً في يراعي فأنا عنكم أجلّ الهجاء
قتلكم عترة النبيّين غدراً قد أهان العروبة العرباء
أذبل النَّوْرَ في رياض دمشق وأمضّ القصورَ في صنعاء
واستفاقت أمُّ القرى وبياض الفجـ ـر يكبو، ويلتوي إبطاء
كعجوزٍ شمطاء تعثر بالأحـ ـقاب، تمشي ذليلة عرجاء
ذلك الصبح ينقل النعيَ مشلـ ـولاً فيهوي على الحطيم ارتماء
كادت الكعبةُ الشريفة لولا حكمة الله أن تخرَّ عياء

***

يا ضياء الغروب في كربلاء دونك الشمس في الغروب ضياء
كيف باتت والكوكب الضخم يهوي مثلما تسقط الجبال انكفاء
أدمعَ الطفِّ والفرات وغاضت زقزقات في أيكةٍ غيناء
صُبغ النهر قانياً وتدلّت شجرات تكاد تلقي الرثاء
أرسل العندليب شجو جريح واستحرّت فيه الدموع دماء
حسبته العيون ترجيع صبٍّ باعدته الأيام عن حسناء
وهو لو تعلم الغصون نواح بثَّ فيها الأسى بعاشوراء

***

يا سليل المطيبين جدوداً يفضح الشمس عزّة وانتماء
مجدكم صيَّر النبيل نبيلاً وحباه من العلى ما شاء
أنتم السلَّم المكين إلى العلـ ـياء، إن رام طامح عليـاء
وبكم يفتح العظيم طريـ ـق المجد، لكنه يظلّ ابتداء
يلهث السابق المغبّر في الميـ ـدان، لا يبلغ النجوم ارتقاء

شـــرفُ العين أن ترى البـــدر وضّـ ـاء فـلا تبـتـغي إليـه انتـهـاء

يا ابن بنت الرسـول حسـبك فـخـراً أنك السـبط شـرّف الشـهـداء

جـدّه شـرّف الحـجـاز ومـدّ النـ ـور فـيـه، وآنس الدهنـاء

ولظلّت، جـزيرة العـرب لـ ـولاه، يباباً وقـفـرة صـحـراء

جـذب الكونَ نحـوها وجـلاها فـغـدت كل ربوة سـيناء

دمك السـمح يا حـسين ضـياء في الدياجـيـر يلهم الشـعـراء

***

أيُّ فـضلٍ لشـاعـر، منك يعـتـ ـام اللآلي، يصـوغ منهـا رثاء

شـاعـرٌ مـقـعـدٌ جـريحٌ مـهـيضٌ كل أيامـه غـدت كـربلاء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

غِبّ الوقيعة[1]

شـــهـــد الطفُّ قـــســـوة الأوغـــاد وذئـاباً تـخـــتـــــال فـي أجنـادِ

(١) قال حيدر بن مسلم : شهدت بعيني سلب نساء الحسين. فوالله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه. ثم انتهينا إلى علي بن الحسين وهو عليل على فراشه وكاد الشمر يقتله : فقيل له : لا تفعل سيموت من مرضه. والتمس النسوة من عمر بن سعد أن يرجع إليهن ثيابهن ليستترن بها. فقال : من أخذ من متاعهن شيئاً فليردّه عليهن. فوالله ما رد أحد منهم شيئاً. وفي اليوم الثاني نودي في الناس بالرحيل.

وتوجه الشمر إلى الكوفة ومعه بنات الحسين وأخواته ومن كان معهن من النساء والصبيان وعلي بن الحسين فيهم وهو مريض بالذرب وقد أشفى. ولما رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية، فصلوا على الحسين وأصحابه ودفنوا الحسين حيث قبره الآن ومن حوله أصحابه وأهل بيته. ولما وصل رأس الحسين إلى الكوفة، جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً وأمر بإحضار الرأس، فوضع بين يديه، فجعل ينظر إليه ويبتسم وفي يده قضيب يضرب به ثناياه. وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله وهو شيخ كبير، فلما رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له : ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله عليهما ما لا أحصيه. ثم انتحب باكياً. فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك أتبكي لفتح الله؟ ولولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك.

ونهض زيد بن أرقم من بين يديه وسار إلى منزله. وأدخل عيال الحسين على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكرة وعليها أرذل الثياب. فمضت حتى جلست في ناحية القصر، وعرفها ابن زياد بعدما سأل عنها إماءها فقال لها : الحمد لله فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت زينب : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً. إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله. فقال ابن زياد : كيف رأيت فعل الله بأل بيتك؟ قالت : كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم. وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده. فغضب ابن زياد واستشاط وقال : هذي سجاعة ولعمري لقد كان أبوها سجّاعًا شاعراً. فقالت : ما للمرأة والسجاعة إن لي عنها لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت. وعرض عليه علي بن الحسين فقال : أليس الله قد قتل عليّ بن الحسين. فقال له علي : قد كان لي أخ يسمى عليّاً قتله الناس. فقال ابن زياد : بل الله قتله. فقال علي : الله يتوفى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال : أوبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد علي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلقت به زينب عمته وقالت : يا ابن زياد حسبك من دمائنا. واعتنقته وقالت : والله لا أفارقه. فإن قتلته فاقتلني معه. فقال عبيدالله : دعوه لما به. وأتى المسجد الجامع فصعد المنبر وقال : الحمد لله الذي أظهر الحق ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب وشيعته. فقام اليه عبد الله بن عفيف الأزدي فقال : يا عدو الله ان الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابن مرجانة. تقتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟ فقال ابن زياد : عليّ به. فأخذته الجلاوزة. فنادى شعار الأزد فاجتمع منهم سبعمائة، فانتزعوه من الجلاوزة. فلما كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته، فضرب عنقه وصلبه بالسبخة.

يدخلون الخيام، ينتهبون الحفـ ـش[1] والرحل أو بقيـة زادِ
لحوا المدنف المريض عليّاً وعليه لونُ المنية باد
سلبوه الوساد قسراً وكادوا يدفعون الصبيّ للجلّاد
ثم عادوا إلى الحنان فغلّوه أسيراً يئنُّ في الأصفاد
سيّروه مع النساء الأسارى ورؤوسٍ فُصلنَ عن أجساد
تتدلّى على الرحال فيا نَـ ـوْح الثكالى ومأتم الأكباد
تلك هامُ الأبطال تخفق فـ ـي الأكوار، هامُ الإخوان والأولاد
وتمنَّت حمرُ العيون عماءً أو جفوناً موصولة الإرماد
وتمنَّت تلك القلوب الدوامي أن يكون الأذين بعض[2] الجماد

***

أقفرت كربلاء إلا من القتـ ـلى ومن غيمةٍ بلون الحِداد
تنشر الظلَّ فوقهم وتقيهم منسرَ الطير أو ذئاب البوادي
لكم الأجر يا بني أسدٍ، يبقـ ـى فريداً على مدى الآباد
هالكم منظرُ اليامين صرعى كسيوفٍ تكسَّرت في الجهاد
فأعدتم للأرض خير بنيها فكرام السيوف في الأغماد
مَن هَداكم إلى ابن بنت رسـ ـول الله والرأسُ في يد الحصّاد
دمه السمح! إن فوح عبيـ ـر الورد أهدى هادٍ إلى الأوراد
قادكم للحسين سبعون جرحاً كل جرحٍ فيه شهيد ينادي
دلّكم أنه سليل عليّ عَالمٌ حوله من الأمجاد
وعرفتم فيه النبيَّ فإن الحـ ـدس[3] شيء من معجزات الفؤاد

---

(١) الحفش : المتاع الحقير.
(٢) الأذين : أحد أجزاء القلب.
(٣) الحدس : سرعة الانتقال في التفهم والاستنتاج.

إن للقلب وثبـــةً تلجُ المجـــهـ ـــول عـــفـــواً بلا هداية هاد
سارت العِيس مثقلات كأن الـ ـدرب صارت منابتاً للقتاد
مبطئات كأنها تحمل البطحـ ـاء وقراً، أو بعض أمجاد عاد
مسبلات أعناقها لم يُحرّك من حيازيمها حداءُ الحادي
دخلت كورة الوليّ، فهال العيسَ أنَّ الوليَّ في أعياد
ليس أنكى من قتل سبط رسـ ـول الله إلّا شماتة ابن زياد
ضارباً بالقضيب رأسَ حسينٍ وفماً كان مشرقاً للسداد
قبلةً للعقول إذ تُجدبُ الألبـ ـاب أو تبتغي سبيل رشاد

***

نقل الوحيَ من خزائن طه وروى السحر عن أمير الضاد
صاح زيدُ بنُ أرقم وهو شيخ من بقايا أصحاب طه الجياد
حمَّلته السنون هيبةَ طودٍ لبس الثَّلجَ في ربيع الوادي
قال ردَّ القضيب يا ابن زيادٍ لا تلوّث دم الرسول الهادي
إن هذا الذي تُحقّر ميتاً فَتُروّي خساسة الأحقاد
هزّ أرض الحجاز، يوم أتى الدنـ ـيا، فهشَّ الجماد للميلاد
وتداعت سمرُ الغيوم فلم يُومـ ـئ كثيب إلا سقته الغوادي
وبكى، والبكاء يرسله زيـ ـدٌ لدمعُ الوفاء، دمع الوداد
لم يحرّك قلبَ الأثيم فقال اصمـ ـت أتبكي؟ والعيد عيد البلاد
قد فتحنا الفتح المبين فما للشيـ ـخ يمني أعراسنا بالسواد
خَرِف أنت يا ابن أرقم فاذهب أو يعبّ الحسام منك مرادي

***

ورأى زينباً، عليها من الأسمـ ـال والبؤس ما يسرُّ الأعادي
فأراد امتهانها بشمات بعضُ إيلامه سنانُ الصعاد

فـــأجـــابت بحكمـــةٍ وإباء ... هاج فـــيـــه شـــرارة الإيقـــاد
يفـضح الجـوهرُ القـديم هجـينًا ... مـحـدَث الجـاه زائف الأجـداد
ذاك أن العـريق يبـقى عـريقـاً ... لا يضـيـر الهـزالُ أصلَ الجـواد
ربّ قـصـديرة تغشُّ وتغـري ... حـينمـا التـبـر ذائب في الرمـاد
لا يكون الطود العـتيّ خـصـيـباً ... إنما الخـصـب في وديع الوهـاد

***

ورأى فـضلة المنون (عـليّـاً) ... يتـهـاوى من علّة وسـهـاد
هاله أن يرى من البـاز فـرخـاً ... لم تنله حـبـالة الصـيـاد
بشّـروه بحـصـد أهل حـسين ... عـجـباً أين كـان يوم الحـصـاد
اقـتلوه قـال الوليُّ فـهـبّت ... زينب هبّـة الهـصـور العـادي
صـرخت كـاللبـوءة السـمـحة ... التـزآر مـجـروحـة بدون ضـماد
«اقـتلوني قـبل الغـلام وهذا الصـ ... ـدر سـمح فـاستـفتـحوا بفـؤادي»
«اقـتلوا بنت فـاطم، فَـدمُ الزهـ ... ـراء غـالٍ على السـيـوف الحـداد»
زينب العُـرْب مـا أعـزَّ المفـدَّى ... في الضـحـايا ومـا أجلَّ الفـادي
ليس في الغـاب غـيـر شـبلٍ عليلٍ ... ضَـرّجـتْـهُ ضـغـائن الحسّـاد
فـإذا مـات أقـفـر الخـدر مـ ... ـن ليث وبادت سـلالة الآسـاد
دون درع الحـنـان كُـلّ دلاصٍ ... أحكمـتـهـا أصـابع الزرّاد
من رأى زينبـاً تضمُّ عليّـاً ... وحـشـاها في ثورة واتّـقـاد
جـحظت عـينهـا فـسالت لهـيباً ... وكـأن الجـفـون وَريُ الزناد
شـهـد الروح كـيف تحضن جسـماً ... هددته كفّ البلى والفـسـاد
مـشـهـد يلجم الذؤوبة في الظـ ... ـلام حـتى في صـاحب الأوتاد[1]

---

(١) هو فرعون الملقب بذي الأوتاد الوارد ذكره في سورة الفجر حيث يقول القرآن المجيد ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾. ويروى انه كان يدق أربعة أوتاد يشد إليها يدَيْ ورجلَيْ من يعذبه.

يلجم البحر غاضباً، يصـ ـدعُ الشطآن صدعاً بالموج والإزباد
«أتركوه لما به فسيقضي ويموت العليل موت كساد»
خاب فأل النكس الكذوب، سيحيا ويكون المنار للسُّجَّاد
(زينة العابدين) سمتاً وخلقاً وأجلُّ الأعاظم الأمجاد

***

ودعا الناس للصلاة أثيم منتن النفس والحجى والمُراد
خطبة الحمد قام يتلو عبيـ ـد الله شكراً للخالق الجوّاد
فيصلّي على الرسول يهنّيـ ـه بقتل الأكارم الأولاد
قال: «فلترقص الحواضر بشراً وليعمَّ السرور أهل السواد
«قد ذبحنا الكذّاب ـ يعني حسيناً ـ واقتلعنا أرومة الإفساد
«كاذباً كان، ثائراً كأبيه لا كريمًا ولا رفيع العماد»
وإذا المسجد الرحيب يدوّي بزئير كالغيدق الرعّاد
غضبة السيد الكريم (ابن عوف) سيد (الأزد) سيّد المُرّاد
«يا ابن مرجانة كذبت ومن ولّاك فاصمت عن سبَّة الأجواد
«أوأنت الذي يسبّ حسينًا وعليّاً، وأنت بحر فساد
يفسد الجوَّ والمياهَ فيغدو المـ ـاء قيحاً في حفنة الورّاد
طيف ذكراك إن يمر بروض وَدّعته رَخامة الإنشاد
ينتن الزهر عند ذكرك حتى ليَعافُ النباتَ رَجلُ الجراد
ويقيء السرحانُ والضبع والغربـ ـان والبوم عند ذكر زياد
أوَأنت الذي يسب عليّاً فارسَ الخيل في التحام الطراد
أين كان الرعديد والدك المجهـ ـول في الروع والليالي الشداد
كلما غرّد الهزار لنصرٍ كان ذكر الوصيّ لحنَ الشادي

تتكنّى به الفـــــوارسُ من عـ ـزّ، ويفـــترُّ ذكـــره في النادي

أين كنتم وكـــان جـــد يزيد يوم كـــان الإســـلام رهن العـــوادي

إن هـذا الـذي جنيـــــتم من الآثام فـــوق الكفـــران والإلحـــاد

ســيـعـدّ الرحـمـٰن ألف جـحـيم لـيـــــزيد ورهـطه الأوغـــــاد

تتـــــراءى جـــــهنم جنب تلك النار كـــالمدفـــأ الطريء المهـــاد

جـدّل السـيف بالغـداة جـريئـاً قـــال حـقّـــاً في دولة اسـتـبـداد

صلبـــوه من بعـــد قـتل، وإن البنـ ـد يهـــوى الخـــفـــوقَ في الأعـــواد

فـيكون التـيَّـــاهَ بين عـبـيـدٍ ويكـون الفـــريدَ في الأفـــراد

نـد عـن ذلّـة الـقـطـيع فـلـم يُـذعـن لسـوطٍ بل ظلَّ صـعب القـيـاد

يألف الخـسَّـةَ البـغـاثُ ويبـقى النسـر في الطود شـامخ المنقـاد

لا تفلّ الأيام من عـــزمـــه العـ ـالي، فـيـعنو لذلّةٍ واضطهـاد

وهـو يـدري أن الإبـاء ودرب الحـ ـقّ درب كـثـيـرة الأضـداد

كل قـــول بل كل همـــسـة بالٍ خطوات لميـتـة اسـتـشـهـاد

ذاك شـأن الأحـرار في كل عـصـرٍ ذهَّبـتـه[1] بطولة القـواد

لم يشـيّـد صـرحَ الحـضـارة شـعبٌ فـجـلال التـاريخ في الآحـاد

---

(١) ذهَّبته : موَّهته بالذهب.

التطواف[1]

أمـــر الفـــاجـــر الوليّ الحـــانقْ ... بطواف أشـــاب ســـود المفـــارقْ

طِيفَ بالهـامـة الشـريفـة، فـوق الرمـ ... ـح، مـــعـــروضـــة على كل رامق

رفـــعـــوها على القناة وراحَ الجنـ ... ـد من خلفـهـا يسـيـر فـيـالق

شـهـروا هامـة الحـسين كـأنَّ السـبـ ... ـط وغـــدٌ، أو قـــاتلٌ، أو ســـارق

كـــرةَ اللهـــو باتَ رأس حـــسين ... يتـلقَّـــاه فـــاسقٌ عن منـافق

مـشـهـد آلم العـيـونَ وبثَّ النـ ... ـار فـيـهـا، فـالدمع جـمـر حـارق

مـشـهـد جـرّح النواظرَ، والأجـفـ ... ـانُ لا تحـضن الدخـان الخـانق

شـاب منه الوليـد والطفل رعـبـاً ... وأصـاب الخـبـالُ عـقـلَ المراهق

أجـهـضت كل حـامل نظرته ... فـالحـجـاب الصـفـيق بالدمع شـارق

مـشـهـد آلم الصـخـور، فـمـا أحـ ... ـراه أن يشـتـوي قلوب العـواتق[2]

---

(١) ولما أصبح ابن زياد بعث برأس الحسين فطيف به في سكك الكوفة كلها وقبائلها. ثم أرسلت الرؤوس والنساء إلى يزيد في دمشق، فأظهر الأسف لقتل الحسين. ولكن الأرجح ما رواه بعض المؤرخين، من أنه نكت رأس الحسين بالقضيب شامتاً كما فعل جده صخر بأسد الله حمزة. ولما قرب الركب من الشام وهم في حالة يرثى لها من الذل دعت أم كلثوم أخت الحسين شمر بن ذي الجوشن وقالت له : لي إليك حاجة. فقال : وما حاجتك؟ قالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال. فأمر اللعين أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغيًا منه وكفراً. وسلك بهم في النظارة على تلك الصفة حتى دخل بهم على يزيد. قالت فاطمة بنت الحسين : فلما جلسنا بين يدي يزيد رآني رجل من أهل الشام فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، وكنت جارية وضيئة. فارتعدت وظننت أن ذلك جائز لهم. فأخذت بثياب عمتي زينب وكانت تعلم أن ذلك لا يكون. فقالت عمتي للشامي، ولو مت والله ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد وقال : كذبت. إن ذلك لي، لو شئت أن أفعل لفعلت. قالت : كلا والله إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها. وأخيراً استحيا يزيد وأعاد الأسرى إلى يثرب.

(٢) العواتق : النساء.

يا سماء العراق أين صراخ العـ ـدل يستمطر النجوم حرائق
فيعود الرعاع وابن زياد كثمود رَمِيَّةً للصواعق
تنعب البوم فوقهم وسباع الطيـ ـر تستتبع الغراب الناعق

***

أيها الرأس طبت حيّاً وميتاً وألفتَ العُلى ورمت الشواهق
كنت رأس الأباة حيّاً، ورمت المجـ ـد ميتاً فصرت رأس البيارق
عَلماً كنت لم يُمَتَّعْ بنشر فاته الحظُّ والهواء الموافق
فجلاك الممات بندَ خُلود وروتك الدهور سفر حقائق

***

ودعا بابن جوشن ورجال ليس فيهم إلا الأثيم الفاسق
قال سيروا إلى دمشق وزفّوا ليزيد هذي الرؤوس وثائق
كلُّ رأس على الوفاء دليل ولسان بنصرة الحق ناطق
نهض الركب، والنساء على الأكـ ـوار، في لفحة الهجير الصاعق
لم يمهّد رحالهن وطاءٌ فارتجاج الأقتاب[1] لطم المطارق
رضّة إثر رضة وجراح كلما أسرعت خفافُ الأيانق[2]
بينها نسوة الحسين كأنّ الهـ ـام للنسوة الثكالى نمارق[3]
يا قلوباً تنازعتها العوادي ورمتها دُهم الخطوب الطوارق
نصفها غادر الجسوم وأضحى في رحال المنافقين علائق[4]
وأشدُّ النصفين شقوة حظّ ذلك الحامل القلوب الخوافق
يا لشؤم الجوار يُكره أُمّاً أن ترى رأس وُلْدها في الوسائق[5]

(١) الأقتاب : جمع قتب، وهو الرَّحل من دون وطاء.
(٢) الأيانق : النياق.
(٣) النمارق : الوسائد الصغيرة يُتكأ عليها.
(٤) العلائق : جمع علاقة وهي ما تعلق بالأشجار من الثمر.
(٥) الوسيقة من الإبل كالجماعة من الناس جمعها وسائق وهي أيضاً الناقة الحامل.

مكرهات بنات سبط رسول ... الله، والنسوة الحزانى الشقائق

يتنقَّلن مثلما صاحب الشطرنـ ... ـج يرمي، على هواه، البياذق[1]

لفَّهن الهوان والأعين الشـ ... ـزراء تنثال كالسهام الخوارق

إن بعض العيون تنظر شزراً ... أو شماتاً كأنها من حالق

دونها في الصدور حزُّ المواضي ... دونها وطأة الأشم الشاهق

نظرة المترف الغنيّ، إلى المسكين، ... أنكى من الخطوب البوائق[2]

وعُتوّ الإنسان ينسيه أن ... المرء ماء من الترائب دافق

ما أضلّ الجهول يعمى فينسى ... أن فوق السماء والأرض خالق

***

أمُّ كلثوم راعها الذلُّ، والأَلـ ... ـاظُ تهوي على الوجوه بنادق[3]

فدعت سائق النياق تُرجّي ... أن ينحّي تلك الرؤوس الطوالق[4]

ويُنَحّى عن الحواضر والغوغـ ... ـاء ركباً في حمأة الذل غارق

لم يزده الرجاءُ إلّا عتواً ... ويهيج اللّئيم لطفٌ فائق

لا يميت النيران بردُ نسيم ... بل عصوف من الرياح المواحق

من يؤمّلْ من اللئيم صلاحاً ... يطلب الليث من جحور الخرانق[5]

ومضى السائق اللعين يشيل ... الهام نشراً على الرماح البواسق

ويسوق النياق، حيث رعاع ... الناس بحرٌ، لو أنّ فيه زوارق

أبشع العالمين خَلقاً وخُلقاً ... إنه الشمر كان للركب سائق

***

(١) البياذق : قِطع الشطرنج.

(٢) الخطوب البوائق : الخطوب الدواهي.

(٣) البنادق : ما يرمى به من أجسام كروية صلبة.

(٤) الطوالق : أي التي طلقت أجسادها.

(٥) الخرانق : صغار الأرانب.

بلغ العائدون قصر يزيدٍ ... حوله الدور والقصور السوامق[1]

يكسف العينَ حسنُه فهو صرح ... شيد بالمرمر الكُميت الشائق

بلغ الأوج من تفنن روما ... والذؤابات من نقوش الأغارق[2]

شمخ الفنّ في القباب، ومدّ العـ ... ـز في الجوسق الرفيع سرادق[3]

زخرفته يد الصناعة وشياً ... وصقالاً فكل ما فيه بارق

ركز الفنّ في حجارته الفصـ ... ـحى، سموّ النهى وحذق الحاذق

أسطرٌ باللجين والتبر خطَّت ... يا لحسن الخطوط في كفٍّ نامق[4]

رائعات الإغريق والفُرْس والرومـ ... ـان هلَّت على بَنان الناسق

فتحت في الجلامد الصمّ قلباً ... واستحالت على الرخام زنابق

وورود لو شامها الملك النعمـ ... ـان أهدى فؤاده للشقائق

***

حول قصر الخضراء جاش خصيـ ... ـب الأرض وافترّ للرياض الحدائق

مَدُّ ما تسبح النواظر، أو تنهـ ... ـدّ سكرى على الجنان الفياهق[5]

يستحمُّ الغروب فيها ويرنو ... برعم الورد للصباح الفاتق

كادت الشمس تستحمُّ بحوضٍ ... فوقه أعين الشآم دوافق

ثم خافت ذُكاء أن تتعرَّى ... إنَّ في أملس الرخام مزالق

وهي تخشى فضيحة الماء لو غاصـ ... ـت، فذوب اللجين كالصحو رائق

وهي تخشى فسق الخليع يزيد ... فهو بين القيان والحوض غارق

ذلك القصر ما أحيلاه لولا ... أن ربّ الجنات والقصر فاسق

---

(١) السوامق : الشاهقة.

(٢) الأغارق : اليونان.

(٣) السرادق : الفسطاط الذي يُمد فوق البيت.

(٤) نمَّق الكتاب : حسَّنه وزينه بالكتابة.

(٥) الجنان الفياهق : الفيحاء.

شـهـدت نسـوة الحسين ذليلاتٍ نعـيـمـاً، فـمـا أمضّ الحـرائق
بينهنّ المغلول نجلُ حـسـين صـفّـدوه تصـفـيـد عـبـدٍ آبق[1]
فـبنو هندَ في نعـيـمٍ عـريضٍ وبنو فـاطم وسـيقُ الواسق
لاطئـاتٍ في ظلّ عـرش يزيدٍ كـالرعـابيل عند زهر اليـلامق[2]

* * *

جيء بالرأس هامـة السـبط تلقى بين كـفـي يزيد بئس الدانق[3]
يتلهّى بضـرب رأس حـسين هكذا الجـدّ رأس حـمـزة خـازق
ويذرّ البـغـضـاء في العـتب يزجـيـ ـها سـهـامـاً إلى الصـدور رواشق
للأسـارى، لنسـوة وصـبيّ أمطرتهم سـود الخطوب غـيـادق
حطّم القـيـد يا يزيد فـأنتم طلقـاءُ لجـدّهم وعـتـائق[4]
ورأى فـاطمـاً غـريرٌ شـآميٌّ وكـانـ ـت أخت الصـبـاح الشـارق
فـرمـاها بنظرة دَسّ فـيـهـا كلّ مـا يضـرم الخـيـال بوامق[5]
راح يسـتـوهب الفـتـاة فـهـبّت زينب هبّـة السـهـام الموارق
«مـا بنات الرسـول يا وغـد قـالت في السـبـايا ولا قـرائن عـاشق
«فـأحبّ الأزواج قـبـرٌ صـفـيق وأعـزُّ الأصـهـار رمسٌ نعـانق
«ويزيد لا يسـتطيع الذي تبـغـ ـي فـذاك الطعـام مـرٌّ لذائق
خـجل الفـاجـر الخليع يزيد وإلى يثـرب أعـاد الغـرانق[6]

* * *

(١) الآبق : الهارب من سيده.
(٢) الرعابيل : مفردها رعبلة أي الثوب البالي. واليلامق : مفردها اليلمق وهو القباء الفاخر.
(٣) الدانق : السارق الأحمق.
(٤) أي من الذين أعتقهم رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة.
(٥) الوامق : هو المحب الولهان.
(٦) الغرانق : أي الحديثو السن المتسمون بالجمال.

فكرت زينب إذا العيس تطوي ... بالثكالى بيد القفار المخارق[1]

بالذي شاهدت بجلّق من عزّ ... منيفٍ، ومن رفيع جواسق[2]

فرأت إرث جدّها وأبيها ... كيف أفضى إلى العدو السارق

ذلك الجد باسمه فتحت دنـ ... ـيا، وعزّت على يديه المشارق

لم ينل من دمشق إلا طعام الفقـ ... ـر يحويه عابر في جوالق[3]

لم تُكَحَّل جفونه بسوى الصحـ ... ـراء والآل، عند خفق الدياسق[4]

لم يُشنف سمع النبي بصدح ... غير ما تطلع الفلاة نقانق[5]

ورُغاء الجمال حَنَّتْ إلى الأعطـ ... ـان، تستتبع الحنين شقاشق[6]

لم يمتّع من دهره بصفيّ العيـ ... ـش بل ظل في الحياض الريانق[7]

كلما جاز حفرة شام أخرى ... فكأن الدرب العسير خنادق

شيمة المصلحين، يمشون في الدنـ ... ـيا، على شفرة الحسام الفالق

فإذا يتركونها يتركون الكـ ... ـون روضاً بالخير والفوح عابق

---

(١) القفار المخارق : القفار الواسعة.

(٢) الجواسق : القصور.

(٣) الجوالق : العدل من صوف أو شعر، والمراد بهذا البيت وما يليه الإشارة إلى رحلة النبي (ﷺ) إلى الشام في قافلة خديجة يوم كان في حالة الفقر الشديد فجاء دمشق مصحوباً بميسرة غلام خديجة ولقي من المشقة ما لقي مقابل بكرة أو بكرتين أي ناقتين أجرة له.

(٤) الدياسق : مفردها الديسق، وهو ذكر النعام.

(٥) نقانق : مفردها نقنق، وهو ذكر النعام.

(٦) الأعطان : مفردها عطن وهي مبارك الإبل. الشقائق هي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، ويقال للفصيح : هدرت شقشقته.

(٧) الحياض الريانق : أي الحياض المليئة بالماء الكدر.

الخَاتِمة

يا إله الأكـــوان أشـــفق عليّـــاً ... لا تمتني غِبَّ العـــذاب شـــقيَّـــا

أولني أجـــرَ عـــاملٍ، في صـــعيـ ... ـد الخـــير، يبـــغي ثوابك الأبديَّا

مـــصـــدرَ الحق لم أقل غـــير حق ... أنت أجـــريتـــه على شـــفتـــيَّـــا

أنت ألهـــمـــتني مـــديح عليّ ... فـــهـــمى غـــيـــدقُ البـــيـــان عليَّـــا

وتَخـــيَّـــرْتَ للأمـــيـــر وأهل البـــيـ ... ـت قلبـــاً، آثرته عـــيـــسـويَّا

جل رب الوجـــود بـاري البـــرايا ... أن يُرى في حنانه حـــزبيَّـــا

إنما الخلقَ كلهم لَعـــيـــال ... الله، والشـــهم من يكون تقـــيَّـــا

فـــيـــولّي عن الظلام منيـــراً ... كل من راح في الظلام غـــويَّا

تاركـــاً بعـــده من الخـــير دنيـــا ... ومن الذكـــر هيكلاً ســـرمـــديَّا

هكذا كـان صـهـر أحـمـد يضـفي ... نبله ملء ســـرحـــة الدهر فَـــيَّـــا

هو فـخـر التـاريخ لا فـخـر شـعب ... يدّعـــيـــهِ ويصطفـــيـــه وليَّـــا

ذكـــره إن عـــرى وُجـــومَ الليـــالي ... شقَّ من فلقـــة الصـــبـاح نجـــيَّـــا

لا تَقُل شـــيـــعـــةٌ هُواةُ عليّ ... إن في كل منصف شـــيـــعـــيَّـــا

إنما الشـــمس للنواظر عـــيـــد ... كل طرف يرى الشـــعـــاع السنيَّـــا

***

غـــاص نيـــرون في دمـــاء النصـــارى ... فـــحـــبـــاهم زرعَ الخلود نميَّـــا

وأراق (العُـبَـيـد) مـهـجـة أهل البـيـ ... ـت فـاسـتـشـهـد الحـسين أبيَّـا

ومـــضى للهـــلاك وغـــد زياد ... ولـواءُ الحـــسين ظلّ عـليَّـــا

دمه السمح جلّل الدهر فخراً ... وجرى في العصور خصباً وريّا

كلّما أعوز اليامين عزم ... لمسوه فعاد غضاً طريّا

من خلال التاريخ ـ زيّفه الأعـ ... ـداء ـ يبقى دم الحسين زكيّا

ذاك أن التاريخ في قيد جورٍ ... بات سفراً مزوّراً أمويّا

لا يضير الإسلام أني هجوت ... الأمويين، قد وصفت الشقيّا

ليس فيهم غير ابن عبد عزيزٍ ... مسلماً كان، قانتاً صوفيّا

وسواه ما كان إلّا ظلوماً ... أو خليعاً أو ملحداً وثنيّا[1]

فابن مروان يوم بُشّر بالسلـ ... ـطان ألقى كتابه علنيّا

قال للمصحف المجيد : «فراقاً ... لن تراني أتلوك ما دمت حيّا

---

(١) ومن جملة أعمال الأمويين ومآثمهم أن عبد الملك بن مروان كان يرى الشدة ولو خالف أحكام الدين. وهو أول من نهى عن المعروف إذ قال : «والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه»، وكان قبل أن يتولى الخلافة يتظاهر بالتدين فلما جاؤوه ببخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فأطبقه وقال : «هذا آخر العهد بك، أو هذا فراق بيني وبينك». فلا غرو بعد ذلك إذا أباح لعامله الحجاج أن يضرب الكعبة بالمنجنيق وأن يقتل ابن الزبير، ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة. والكعبة حرم لا يجوز القتال فيها ولا في جوارها، فأحلوه وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها مما لم يحدث مثله في الإسلام. ودخلوا المدينة وهي أحد الحرمين وقاتلوا أهلها وسفكوا دماءهم. ولم يغلق لها باب إلا أحرق ما فيه، حتى أن الأقباط والأنباط كانوا يدخلون على نساء قريش فينتزعون خمرهن من رؤوسهن، وخلاخلهن من أرجلهن، سيوفهم على عواتقهم والقرآن تحت أرجلهم. (تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان أخذاً عن الأغاني، وابن الأثير، وأبي الفداء، والعقد الفريد، وابن خلكان).

وتوفق بنو أمية إلى عمال أشداء زادوهم استبداداً، وشدة بما توخوه من تمليقهم بالتعظيم والتغرير مما يخالف أحكام الدين. وأول من تجرأ على ذلك الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك فإنه سمى الخليفة : خليفة الله، وعظم أمر الخلافة حتى فضلها على النبوة فإذا حاجه أحد في ذلك قال : «أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته» وكان عبد الملك إذا سمع ذلك أعجب به. واقتدى بالحجاج من جاء بعده من العمال : كخالد القسري عامل هشام بن عبد الملك. وذكروا أن خالداً هذا كان قليل العناية في حفظ القرآن فإذا تلا آية أخطأ فيها ولحن في نطقها. فوقف مرة للخطابة فقال، وأخطأ ثم أرتج عليه وفشل. فنهض صديق له من تغلب فقال : خفض عليك أيها الأمير ولا يهولنك. فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال. فقال خالد : «صدقت يرحمك الله» ـ فلا غرو بعد ذلك إذا علمنا أن الوليد بن يزيد رمى القرآن بالنشاب وهو في مجونه وسكره. فقد ذكروا أنه عاد ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه وافق صفحة فيها : ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد، من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾. فأمر بالمصحف فعلقوه وأخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزّقه. ثم قال :

«فـــأنا المالك الخليـــفـــة ظلّ ... الله أعلى من النبي صـــفـــيًّـــا
«أيكون المليك أدنى مـــقـــامـــاً ... من رســـول؟ إذن أكـــون غـــبـــيًّـــا»
والوليـــــد السكران يمزق بالنشـ ... ـاب قـــرآنه ويشـــتط غـــيًّـــا
«قل لمولاك إن تجئ يوم حـــشـــر ... قـد لقـيت الوليـد قـرمـاً عـتـيًّـا»
وهشـام ينحـــو من الخـالد القـــ ... ـريّ في الفـسق نهـجـه الكفـريًّا
أوَليس الحـــجـــاج أوقح أهل الأر ... ض ذئبـــاً في ظِلّهم يتـــفـــيًّـــا؟
ولد الجـــور يوم مـــولده المشـ ... ـؤوم فـاستـعـذب الدمـاء صـبـيًّـا
فـهـو إبليس! قـد ظلمـتك يا إبليس ... خلقـــاً ورأفـــة ومـــحـــيًّـــا
يثـــربًا قـــد أباح للجند فـــالأحـ ... ـدار تلقى الزنجيّ والنبطيًّـــا
كـعـبـة الدين من يبح حـرمـيـهـا ... كـيف يخـشى من بعـد ذلك شـيًّـا
ليس بدعـــاً فكل ينبـــوع شـــرٍّ ... كـان في أصل أصله عـبـشـمـيًّـا[1]

***

يا عليّ العـــصـــور هذا بيـــانـي ... صـغـت فـيـه وحي الإمـام جليًّـا
أنت سلسلت من جـمـانك للفـصـ ... ـحى ونسَّـقت ثوبهـا السـحـريًّا
يا أمـيـر البـيـان هذا وفـائي ... أحـمـد الله أن خُلقت وفـيًّـا

= أتوعـــد كل جـــبـــار عنيـــد ... فـــهـــا أنذاك جـــبـــار عنيـــد
إذا لاقـــيت ربك يوم حـــشـــر ... فـــقـــل لله مـــزقني الوليـــد

ولم يكن يهم بني أمية نشر الإسلام، وإنما كان همهم الفتح والتغلب وحشد الأموال. وتوقف نشر الإسلام على عهدهم في الأطراف البعيدة : كالسند، والتركستان مع رغبة أهلها فيه. وإنما نفرهم منه شدة بني أمية وجشعهم. فكانوا يسلمون ثم يرتدون تبعًا لما يرونه من المعاملة الحسنة أو السيئة. فلما تولى عمر بن عبد العزيز التقي الورع اقتفى آثار سميّه ابن الخطاب. وعمر هذا هو الذي قرع الأمويين. وطعن في السياسة التي يتبعها أقرباؤه حاشدي الأموال بكلمته المأثورة «إن الله بعث محمداً هادياً لا جابيًا». وكتب إلى ملوك السند وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وكانت سيرته قد بلغتهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب. فلما قتل عمر المذكور سنة ١٠١ هـ وعاد بنو أمية إلى سابق سيرتهم ارتد أولئك عن الإسلام ـ وقس على ذلك ما ارتكبه الأمويون من قتل أبناء علي وصلبهم، والمثلة بهم، غير من قتلوه من التابعين وأهل الصلاح صبراً. (المسعودي وابن الأثير والأغاني).

(١) عبشمياً : في النسبة إلى عبد شمس.

وهو جهد المريض ليس عليه ... من جناح إن لم يدقّ الثريّا

حطَّمت سَورةُ العذاب يراعي ... واستباحت فمي وغَلَّت يديَّا

أتلوّى على الجراح صباحاً ... ويفتّ الناسورُ عظمي عشيَّا

فتعجب لسابحٍ في جحيمٍ ... ردَّه الخطب زورقاً بشريَّا

كدت أقضي لولا النهى والتأسي ... ونعيم أصوغه وهميَّا

أتأسى بابن البتول فيولين ... ـي عزاء ويلسماً معنويَّا

فاسم عيسى على الشفاه حبيب ... طاب وقعاً على القلوب نديَّا

شرب الكأس مُرّة وتمنَّى ... مرفقاً راحماً ولو صخريَّا[1]

أتأسى بهاجرٍ يقطع الصحـ ... ـراء قسراً عن بيته منفيَّا

ما رأى في الحياة ظلّ هناء ... منذ ما عاد من (حسراء) نبيا

أتأسى بالأكرمين خصالاً ... لم يسيغوا في العمر شرباً مريّاً

بالذي باكر الشهادة (بدريّا) ... وأغلى إكليلها (الكوفيَّا)

بجراح الحسين، في كل جرحٍ ... يجد الصبر كهفه الأزليَّا

***

ويح حظي ! تنوء بالحسّ أعصـ ... ـابي إذا جلجل الخيال دويَّا

فإن استمسكَتْ فعيد القوافي ... وإذا ما وهت ذويتُ شجيَّا

ليس عجباً أن يخطىءَ الصيد رامٍ ... أوهن الحظُّ طرفَه العبقريَّا

آه يا داءُ لو تركت لعيني ... فسحة الأفق ملعباً ورديَّا

أو أزحت الكابوس عن صدريَ ... الواهي، أعبّ النسيم ورداً شذيَّا

فيسيل الجمال خمرَ حياة ... وتهلُّ اليراع دفقَ حُميَّا

---

(١) ولما رأى يسوع جموعًا كثيرة أمر بالذهاب إلى العبر. فدنا إليه كاتب وقال له : يا معلم أتبعك إلى حيث تمضي. فقال له يسوع : إن للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكاراً، وأما ابن البشر فليس له موضع يسند إليه رأسه. (إنجيل متى، الفصل الثامن، عدد ١٨ ـ ٢١ .

لتـــركتُ الغـــبـــار للمـــتنبي ولخلّفت بعـــده البـــحـــتـــريًا
مَنْ رأى الأرض حـــفـنة من تراب شـــاد أحـــلام قلبـــه شـــعـــريًا

***

إنما الشـــاعـــر المحلق روض يُتـــرع الأفق بالشـــذا عنبـــريًا
كـيـفـمـا جـئـتـه نشـقت عـبـيـراً وتنســمتَ حلمــه السندســيًا
كلمـــا ازداد من سنًا جَنْيَ ســحـــر راح في بـذله السـنا حـــاتميًّـــا
يا أمـيـر الإسـلام حـسـبيَ فـخـراً أنني منك مـــالئ أصـــغـــريًا
جلجل الحق في المسـيـحيّ حـتى عُـــدّ من فـــرط حـبّـــه علويًا
أنا من يعـــشق البطولة والإلـهـ ـام والعـــدل والخـــلاق الرضـــيًـــا
فـــإذا لـم يكن عليّ نبـــيّـــاً فلقـــد كـــان خلقـــه نبـــويًا
أنتَ ربٌّ للعـــالمين إلـــهي فـــأنلـهم حـنانـك الأبـويًـا
وأنلني ثواب مـــا سطّرت كـــفـ ـي، فـهـاج الدمـوعَ في مـقلتـيًـا
سـفـر خـيـر الأنام من بعـد طه مـــا رأى الكون مـــثله آدمـــيًـــا
يا سـمـاءُ اشـهـدي ويا أرض قـرّي واخـــشـــعي، إنني ذكـــرت عليًـــا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی